

النص الكامل
الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

انجازات كريسي

www.liilas.com



قطار 4.50 من بادِنغتون



الأجيال
للترجمة والنشر
ROYAL Publishers



www.liilas.com

Agatha Christie



4.50 from
Paddington

قطار 4.50 من بادنغتون

مرّ القطاران متجاورين بمحاذاة بعضهما بعضاً، وتباطأ أحد القطارين قليلاً قبل أن يتسارع من جديد. وفي تلك اللحظة الخاطفة التي تحاذت فيها نوافذ القطارين شاهدت إيلسيث الجريمة! كان الرجل (الذي رأيت ظهره) يضغط على عنق المرأة بكل قوته حتى سقطت ميتة وقد احتقن وجهها. ثم ازدادت سرعة القطار ومضى مختفياً عن الأنظار.

ولكن من سيصدق هذه القصة غير الأنسة ماربل؟ ولا سيما حين لم توجد أدلة، ولم يوجد شهود، ولم توجد جثة!



الآنسة ماربل



رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها ألفي مليون نسخة!

٥٨

رقم هذه الرواية حسب ترتيب
صدور الروايات بالإنكليزية

الناشر وصاحب الحق الحصري
بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم



الأجيال

للترجمة والنشر

AJYAL Publishers

ISBN 2-1957-2633-2



978219572633

US \$ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

الفصل الأول

ركضت السيدة ماغليكيدي لاهثةً على طول الرصيف وهي تحاول اللحاق بالحمال الذي كان يحمل لها حقيبتها. كانت السيدة ماغليكيدي قصيرةً وبدينةً بينما كان الحمال طويلاً واسع الخطى. وبالإضافة إلى ذلك كانت السيدة ماغليكيدي محملة بعدد كبير من الأكياس التي كانت حصيلة تسوق بمناسبة الأعياد؛ ولذلك كان السباق سباقاً غير متكافئ. وانعطف الحمال عند زاوية في طرف الرصيف بينما كانت السيدة ماغليكيدي متخلفة وراءه بمسافة بعيدة.

لم يكن الرصيف رقم ١ في هذه اللحظة مزدحماً كثيراً، إذ أن أحد القطارات كان قد غادر لتوه، ولكن في المنطقة الخالية وراءه كانت حشود المسافرين تندفع في عدة اتجاهات مرة واحدة خروجاً أو دخولاً لأنفاق المحطة ومكاتب إيداع الأمتعة والاستراحات ومكاتب الاستعلامات ولوحة حركة القطارات.

كانت السيدة ماغليكيدي وأكياسها تصطدم بهذه الحشود المندفعة لتشق طريقها حتى وصلت إلى مدخل الرصيف رقم ٣ بشق الأنفس، ثم وضعت أحد الأكياس عند قدميها بينما كانت تفتش

حقيقتها بحثاً عن التذكرة التي تمكنها من عبور ذلك الحارس العتيد عند بوابة الرصيف.

وفي تلك اللحظة سمعت صوتاً يتكلم عبر السماعة فوق رأسها ويقول: القطار الواقف عند الرصيف ٣ هو قطار الخامسة إلا عشر دقائق المتجه إلى براكهامبتن، ميلشستر، ويفرثن، نقطة تقاطع كارفيل، روكزيتير ثم يتوقف في شارماوث. المسافرين المتجهون إلى براكهامبتن وميلشستر عليهم ركوب العربة في مؤخرة القطار. المسافرين إلى فانكيه يبدلون القطار في محطة روكزيتير.

سكت الصوت قليلاً ثم عاد ثانية ليعلن وصول قطار الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة القادم من بيرمنغهام وولفرهامبتن إلى الرصيف رقم ٩.

وجدت السيدة ماغليكدي تذكرتها وقدمتها. ثقبها الرجل وهو يقول: على اليمين، الجزء الخلفي.

سارت السيدة ماغليكدي على الرصيف ووجدت حماتها، وكان ضجراً يحدق إلى الفراغ وهو واقف عند باب عربة الدرجة الثالثة.

- ها هي أمتعتك يا سيدتي.

- إنني مسافرة على الدرجة الأولى.

دمدم الحمال متذمراً: لم تقولي هذا.

كان يستعرض بنظرات استهانة معطفها المرقط الذي يبدو كمعطف رجل. ولم تستطع السيدة ماغليكدي مجادلته فقد كانت أنفاسها مقطوعة.

أخذ الحمال الحقيبة مرة أخرى وسار بها إلى العربة المجاورة حيث استقرت السيدة ماغليكدي متشامخة وحيدة. لم يكن قطار الخامسة إلا عشر دقائق مأهولاً كثيراً لأن ركاب الدرجة الأولى يفضلون -غالباً- إما قطار الصباح السريع أو قطار السادسة إلا ثلثاً الذي يضم مقصورة لتقديم وجبات العشاء. سلمت السيدة ماغليكدي الحمال إكراميته التي قبلها باستياء وخيبة أمل، وبدأ واضحاً أنه اعتبرها إكرامية لا تليق بمقام راكبة في الدرجة الأولى... بل الدرجة الثالثة. ورغم أن السيدة ماغليكدي كانت مستعدة لإنفاق المال على سفرة مريحة بعد رحلة ليلية من الشمال وبعد نهار قضته في تسوق محموم، إلا أنها لم تكن -أبداً- من دافعي الإكراميات الأسخياء.

جلست مسندة ظهرها على المقعد المخملي وهي تتنهد ثم فتحت مجلتها. بعد خمس دقائق انطلقت صافرة القطار وتحرك. انزلت المجلة من يد السيدة ماغليكدي ومال رأسها إلى الجانب، وبعد ثلاث دقائق كانت تغط في نوم عميق. نامت مدة خمس وثلاثين دقيقة ثم استيقظت نشطة متعشة. عدلت قبعتها التي مالت جانباً أثناء نومها، ونظرت خارج النافذة إلى الريف الذي كان يجري بسرعة الريح. أصبح الوقت ليلاً الآن، وكان اليوم ضبابياً كثيباً من أيام كانون الأول، لا يفصله عن العيد إلا خمسة أيام فقط. كانت لندن أيضاً معتمة وكثيبة، وكذلك الريف، رغم المظهر البهيج لأضواء البلدات والقرى التي تلتصع عند مرور القطار خلالها.

قال مضيف القطار وهو يفتح باب الممر فجأة وكأنه عفريت من الجان: وجبة الشاي الأخيرة تقدم الآن.

كانت السيدة ماغليكدي قد تناولت الشاي في أحد المحلات قبل ركوبها، ولم تشعر في تلك اللحظة بالحاجة إلى المزيد. واصل المضيف ندائه خارج الممر بعبارته الرتيبة المكررة. رفعت السيدة ماغليكدي بصرها إلى الرف حيث كانت تقبع طرودها وأكياسها المختلفة ونظرت إليها بارتياح. كانت مناشف الوجه رائعة، وهي ما أرادته مارغريت بالضبط. وبندقية الفضاء لروبي والأرنب لجين، كلها رائعة وسوف ترضيهم، وتلك السترة القصيرة هي ما كانت تريده بالضبط، تمنح الدفء فوق أنها أنيقة. وبلوزة هكتور أيضاً...

وسرحت بتفكيرها السعيد بسلامة مشترياتها ومعقوليتها.

عادت بتفكيرها المريحة إلى النافذة. مر قطار يسير في الاتجاه المعاكس بسرعة محدثاً ضجيجاً عالياً مما جعل النوافذ تتحرك فجفلت، ووصل القطار عند نقاط التحويل ثم عبر إحدى المحطات.

ثم بدأ يبطئ فجأة فيما بدا أنه استجابة لإحدى الإشارات. سار القطار ببطيئاً لدقائق معدودة ثم توقف لحظة وتحرك من جديد. مر من جانب القطار قطار آخر رغم أنه لم يكن سريعاً كالأول، ثم استجمع القطار سرعته ثانية. في تلك اللحظة جاء قطار آخر بنفس الاتجاه، واقترب من هذا القطار مما كان له وقع مخيف، وظل القطاران متوازيين لبعض الوقت قبل أن يبدأ أي منهما بزيادة سرعته ليسبق الآخر. نظرت السيدة ماغليكدي من نافذتها إلى نوافذ عربات القطار الموازي. كانت معظم الستائر مسدلة ولكن كان يمكن رؤية

ركاب القطار من وقت لآخر. لم يكن القطار مليئاً كثيراً وكانت به عربات كثيرة خالية.

وفي اللحظة التي بدا فيها القطاران وكأنهما ثابتان ساكنان ارتفعت ستارة إحدى العربات بحركة سريعة مفاجئة. نظرت السيدة ماغليكدي إلى عربة الدرجة الأولى المضاءة التي لم تكن تبعد عنها سوى مترين أو ثلاثة أمتار. ثم سحبت أنفاسها بشهقة وكادت أن تقف على قدميها.

كان رجلٌ يدير ظهره للنافذة ولها، كانت يدها مطبقتين حول رقبة امرأة كانت تواجهه وهو يخنقها ببطء ودون رحمة. كانت عيناها تبرزان من محجريهما وقد بدا وجهها محمراً ومحتقناً. وبينما حدثت السيدة ماغليكدي مصعوقة جاءت النهاية؛ فقد تراخى جسد المرأة وسقط بين يدي الرجل.

وفي نفس اللحظة أبطأ قطار السيدة ماغليكدي سرعته من جديد وبدأ الآخر يتسارع. وتقدم ذلك القطار كثيراً، وبعد لحظات ابتعد عن مرمى البصر.

امتدت يد السيدة ماغليكدي بطريقة آلية إلى مقبض الإنذار الذي يوقف القطار، ثم توقفت مترددة... فما هي الفائدة من شد مقبض الإنذار في القطار الذي تسافر هي فيه؟ شعرت وكأنها شُلت من هول ما رآته بمثل هذا القرب وبمثل هذا الموقف الفريد. كان من الضروري اتخاذ إجراء فوري... ولكن ما هو؟

فُتح باب مقصورتها ودخل منه مفتش التذاكر وقال: التذكرة من فضلك.

التفتت السيدة ماغليكدي إليه بحماسة وقالت: لقد خنقت امرأة قبل قليل... في القطار الذي مر من جانبنا للتو. لقد رأيت ذلك.

نظر مفتش التذاكر إليها بارتياح وقال: معذرة يا سيدتي، ماذا نقولين؟

- رجلٌ خنق امرأة، لقد رأيت ذلك... من هنا.

وأشارت إلى النافذة.

ازداد ارتياح مفتش التذاكر. قال وهو غير مصدق: خُنقت؟

- نعم، خُنقت. قلت لك إنني رأيت ذلك. يجب أن تفعل شيئاً على الفور.

تنحجج مفتش التذاكر معذراً وقال: "ألا ترين يا سيدتي أنه ربما أخذتك سنة من نوم و..."، ثم سكت سكوتاً لبقاً.

- لقد غفوت فعلاً، ولكن إن كنت تظن أنه كان حلماً فأنت مخطئ تماماً. قلت لك إنني رأيت الحادث.

نظر مفتش التذاكر إلى المجلة المفتوحة على المقعد. ظهرت في الصورة الموجودة على الصفحة المشرعة فتاة تُخنق بينما وقف رجلٌ عند مدخل الباب يهدد المجرم والضحية بمسدس معه.

قال المفتش على سبيل الإقناع: ألا تظنين يا سيدتي أنك كنت تقرئين قصة مثيرة ثم أخذك النعاس فنمت قليلاً و...

قاطعت السيدة ماغليكدي قائلة: لقد رأيته بأم عيني. كنت في كامل وعيي كما أنت الآن، ونظرت من نافذتي إلى نافذة القطار الذي

يسير إلى جانب قطارنا هذا فرأيت رجلاً يخنق امرأة. ما أريد أن أعرفه هو ما ستفعله حيال ذلك؟

- حسناً يا سيدتي...

- أظن أنك ستفعل شيئاً ما؟

تنهد مفتش التذاكر متردداً ونظر إلى ساعته وقال: سوف نصل إلى براكهامبتن بعد سبع دقائق بالضبط، وهناك سأبلغ بما أخبرتني به. إلى أي اتجاه كان القطار الذي ذكرته ذاهباً؟

- في هذا الاتجاه بالطبع. أنتظن أن باستطاعتي رؤية ما حدث لو أن القطار كان ماراً مروراً سريعاً في الاتجاه المعاكس؟

بدا مفتش التذاكر وكأنه يرى في السيدة ماغليكدي امرأة تستطيع رؤية أي شيء في أي مكان حسبما يقودها خيالها، ولكنه استمر في تصرفه المؤدب وقال: يمكنك الاعتماد عليّ يا سيدتي؛ سأبلغهم بشهادتك. هل لك أن تعطيني اسمك وعنوانك، فيما لو...

أعطته السيدة ماغليكدي العنوان الذي ستقيم فيه خلال الأيام القليلة القادمة إضافة إلى عنوانها الدائم في اسكوتلاندا فسجلهما، ثم خرج وهو يشعر بأنه قام بواجبه وتعامل بنجاح مع واحدة من الركاب المزعجين.

ظلت السيدة ماغليكدي عابسة غير مقتنعة. هل سيقوم مفتش التذاكر بالإبلاغ عما قالته، أم أنه كان يحاول تهدئتها فقط؟ فكّرت بوجود نساء عجائز يسافرن كثيراً في جميع أنحاء البلاد وهن مقتنعات تمام الاقتناع بأنهن كشفن مؤامرات شيوعية، أو أنهن معرضات للقتل،

أو أنهم رأين أطباقاً طائرة وسفن فضاء سرية، أو يبلغن عن جرائم قتل لم تحدث أبداً. ماذا لو أن هذا الرجل اعتبرها واحدة منهن؟

بدأ القطار يخفض سرعته ويعبر محولات السكة الحديدية ويدخل في بلدة كبيرة ذات أضواء بهيجة. فتحت السيدة ماغليكدي حقيبتها اليدوية وأخرجت فاتورة هي كل ما وجدته من أوراق فيها وكتبت على ظهرها ملاحظة سريعة ثم وضعتها في مغلف صدف -لحسن الحظ- أن كان معها، وأغلقت المغلف ثم كتبت عليه.

توقف القطار عند رصيف مزدحم. كان الصوت الصاخب المعتاد يعلن: وصل القطار الذي توقف الآن عند الرصيف رقم ١ وهو قطار الساعة الخامسة وثمان وثلاثين دقيقة المتجه إلى ميلشستر، ويفرتون، روكزيت، ويتوقف عند تساوماوث. الركاب المسافرون إلى ماركت بيسنغ عليهم أن يتجهوا إلى القطار الذي ينتظر الآن عند الرصيف رقم ٣. القاعة رقم ١ للقطار المتوقف الذي سيتجه إلى كاربري.

نظرت السيدة ماغليكدي إلى الرصيف نظرات لهفة. كثير من المسافرين وقليل من الحمالين. آه، ها هو واحد! نادته بنبرة أمرة: أيها الحمال! من فضلك خذ هذا إلى مكتب رئيس المحطة على الفور.

أعطته الظرف وشلناً معه، ثم انكأت على مقعدها متنهدة؛ لقد فعلت ما تستطيعينه. وتوقف عقلها -في لحظة ندم- عند الشلن الذي دفعته... إن ست بنسات كانت كافية بالتأكيد!

عاد تفكيرها إلى المشهد الذي رآته. مفزع، مفزع جداً! كانت امرأة ذات أعصاب قوية لكنها ارتعشت مع ذلك. يا له من شيء

غريب! شيء خيالي يحدث لها وهي الشبث ماغليكدي! لو أن ستارة نافذة المقصورة لم ترتفع في تلك اللحظة... لكن ذلك كان بفعل الإرادة الإلهية بالطبع.

لقد شاءت إرادة الله أن تكون هي -الشبث ماغليكدي- شاهدة على الجريمة... وانقبضت شفتاها عابسة.

تعالّت الأصوات وانطلقت صافرة القطار وأغلقت الأبواب بقوة. تحرك القطار في الساعة الخامسة وثمان وثلاثين دقيقة من محطة براكهامبتن ببطء، وبعد ساعة وخمس دقائق توقف في ميلشستر.

جمعت السيدة ماغليكدي أغراضها وحقيبتها وخرجت. نظرت إلى أعلى الرصيف ثم إلى أسفله، وكررت حكمها السابق: "لا يوجد حمالون بما فيه الكفاية". يبدو أن الحمالين مشغولون بحقائب البريد وعربات الأمتعة. يبدو أنه يُتوقع من ركاب هذه الأيام حمل حقائبهم بأنفسهم، لكنها لا تستطيع حمل حقيبتها ومظلتها وكل هذه الأكياس؛ وهكذا سيتعين عليها الانتظار... وأثناء ذلك جاءها حمال.

- سيارة أجرة؟

- أظن أنها توجد سيارة في انتظاري.

وخارج محطة ميلشستر تقدم نحوها سائق سيارة أجرة كان يرقب مخرج المحطة. خاطبها بصوت هادئ وبلكنة محلية: أنت السيدة ماغليكدي؟ ذاهبة إلى قرية سينت ميري ميد؟

أقرت السيدة ماغليكدي بهويتها، وكوفى الحمال مكافأة مناسبة

وإن لم تكن مجزية. تحركت السيارة وهي تحمل السيدة ماغليكدي وأمتعتها مخترقة ظلمة الليل. كانت مسافة الرحلة تسعة أميال، ولم تستطع السيدة ماغليكدي الاسترخاء في السيارة بل ظلت جالسة يقظة منتبهة واشتاق مشاعرها إلى التعبير. وأخيراً دخلت سيارة الأجرة في شارع القرية المألوف ثم توقفت في النهاية عند وجهتها. نزلت السيدة ماغليكدي من السيارة وسارت فوق الممر المرصوف نحو باب المنزل، وأودع السائق الحقيبة والأكياس داخل المنزل بعد أن فتحت الباب خادمة كهلة. دخلت السيدة ماغليكدي الصالة واتجهت إلى باب غرفة الجلوس المفتوح حيث كانت مضيفتها العجوز الضعيفة في انتظارها.

- إلسيث!

- جين!

تبادلنا القبلات، ودون مقدمات اندفعت السيدة ماغليكدي في الكلام: آه، جين... لقد شاهدت لتوي جريمة قتل!

* * *

كان المبدأ الذي توارثته الأنسة جين ماربل عن أمها وجدتها هو أن السيدة الحقيقية هي التي تُصدم ولا تُفاجأ... وقد كانت وفيه لهذا المبدأ إذ اكتفت بأن رفعت حاجبيها وهزت رأسها وهي تقول: أمر بالغ الأسى بالنسبة لك يا إلسيث، وهو خارق للمألوف بالتأكيد! من الأفضل أن تخبريني بذلك على الفور.

كان ذلك ما أرادت السيدة ماغليكدي فعله بالضبط. جلست بعد أن سمحت لمضيفتها بأن تقربها إلى النار أكثر وخلعت قفازيها وبدأت تسرد قصتها بحماسة ونشاط.

أصغت لها الأنسة ماربل باهتمام شديد، وعندما سكنت السيدة ماغليكدي أخيراً لالتقاط أنفاسها تكلمت الأنسة ماربل بحزم: أعتقد يا عزيزتي - أن أفضل شيء لك هو أن تذهبي فتغتسلي، ثم سنتناول عشاءنا، ولن تناقش هذا الأمر أثناءه أبداً. وبعد العشاء نستطيع دراسة المسألة دراسة متأنية ومناقشتها من كل الجوانب.

أذعنت السيدة ماغليكدي لهذا الاقتراح. تناولت السيدتان العشاء وكانتا تناقشان -وهما تأكلان- مختلف المسائل الحياتية في

قرية سينت ميرى ميد. علقت الآنسة ماربل على العداء الموجود بين مديرة المدرسة وجمعية القرية، ودار النقاش بينهما حول حديقة كل منهما. ثم جلستا قرب النار مرة أخرى وأحضرت الخادمة القهوة.

قالت الآنسة ماربل: إنك منفعلة جداً، ولا عجب!

قالت السيدة ماغليكدي وهي ترشف من فنجانها: هل تظنين - يا جين - أنني كنت أحلم أو أتخيل ما حدث!

ردت عليها الآنسة ماربل بحماسة: بالتأكيد لا.

تنهدت السيدة ماغليكدي بارتياح وقالت: مفتش التذاكر كان يظن ذلك. كان مؤدباً جداً لكنه مع ذلك...

- أعتقد - يا إلسبت - أن ذلك أمر طبيعي في مثل هذه الحالات؛ فالقصة تبدو بعيدة الاحتمال... وهي كذلك بالفعل. كما أنه لا يعرفك. لا أشك أبداً أنك رأيت فعلاً ما أخبرتني أنك رأيته. إنه شيء غريب جداً، لكنه ليس مستحيلاً. أتذكر كيف نار اهتمامي عندما كان أحد القطارات يسير ذات مرة موازياً للقطار الذي كنت مسافرة فيه فلاحظت كيف هي الصورة الحبة التي يأخذها المسافر لما يجري في داخل عربات القطار الموازي. أذكر أن فتاة صغيرة كانت تلعب بلعبة صغيرة على شكل دب وفجأة ألقتها متعمدة على رجل بدين كان ينام في زاوية العربة فقفز مذعوراً وبدأ ساخطاً جداً، بينما بدا الركاب الآخرون في غاية الاستمتاع بذلك.

ثم سألت الآنسة ماربل صديقتها: قلت بأن الرجل كان يدير ظهره باتجاهك. إذن لم تري وجهه؟

- لا، لم أر الوجه.

- وماذا عن المرأة، هل يمكنك وصفها؟ شابة، مسنة؟

- شابة تقريباً. بين الثلاثين والأربعين من عمرها على ما أظن، لا أستطيع تقريب عمرها أكثر من ذلك. وقد كان وجهها ملتوي القسماحت محتقناً.

قالت الآنسة ماربل: نعم، نعم أفهم هذا. ماذا كانت ترتدي؟

- كانت ترتدي معطف فراء من نوع ما، شاحب اللون. لم تكن ترتدي قبعة، وكانت شقراء الشعر.

- ألم يكن في الرجل أي شيء مميز يمكنك أن تتذكره؟

أخذت السيدة ماغليكدي بعض الوقت للتفكير قبل أن تجيبها: "كان يميل إلى الطول، وأظن أنه أسمر. وكان يرتدي معطفاً ثقيلاً ولذلك لا أستطيع الحكم على بنية جسمه تماماً". ثم أضافت مكتئبة: إنها ليست - في الحقيقة - أوصافاً يمكن اعتمادها أساساً لتحقيق ما.

قالت الآنسة ماربل: "ولكن لا بأس بها". وسكتت قبل أن تقول: هل تشعرين في قرارة نفسك بالثقة التامة بأن تلك الفتاة قد... ماتت بالفعل؟

- لقد ماتت... أنا واثقة من هذا الأمر. لقد خرج لسانها و... من الأفضل ألا أتحدث عن هذا.

- بالطبع، بالطبع. أعتقد أننا سنعرف المزيد في الصباح.

- في الصباح؟

- أظن أن الحادثة ستظهر في صحف الصباح؛ فهذا الرجل -بعد أن قتل المرأة- أصبحت أمامه جثة عليه أن يتصرف بها. فماذا سيفعل؟ من المفترض أن يغادر القطار بسرعة عند أول محطة. بالمناسبة، هل تذكرين إن كانت العربة من تلك العربات التي يخرقها ممر إلى العربات الأخرى أم كانت مستقلة؟

- كانت عربة مستقلة.

- هذا يشير -على ما يبدو- إلى أنه قطار محلي لا يسافر لمسافات بعيدة. كان سيتوقف في براكهامبتن بالتأكيد. لنفترض أن القاتل غادر القطار في براكهامبتن، وربما وضع الجثة في مقعد منزو ووجهها مغطى بمعطف الفراء ليؤخر اكتشافها. نعم، أعتقد أن هذا ما كان سيفعله. لكنها ستُكتشف قبل مضي وقت طويل بالطبع، ويخيل إليّ أن خبر اكتشاف جثة امرأة في قطار سيظهر في صحف الصباح دون شك... سوف نرى ذلك.

* * *

لكن الخبر لم يرد في صحف الصباح. بعد أن تأكدت كل من الأنسة ماربل والسيدة ماغليكدي من هذا الأمر أنهيتا إفطارهما في صمت، وكانتا تفكران.

وبعد الإفطار خرجتا في جولة في الحديقة، ولكن تلك الجولة -التي كانت في العادة بهيجة تأسر اهتمامهما- اتسمت اليوم بالفتور. لفتت الأنسة ماربل انتباه ضيفتها إلى بعض الأزهار والنباتات

النادرة التي زرعتها في حديقتها الصخرية، ولكنها فعلت ذلك وهي شاردة الذهن، كما أن السيدة ماغليكدي لم تبادر إلى شن هجوم مضاد -كعادتها- تعدد فيه أنواع النباتات والزهور التي تزرعها في حديقتها.

قالت الأنسة ماربل وهي ما تزال شاردة الذهن: الحديقة لا تبدو كما ينبغي أن تكون عليه؛ فقد منعني الدكتور هيدوك من الانحناء أو الركوع، فماذا يمكن للمرء أن يفعل إن هو لم يستطع الانحناء أو الركوع؟ لديّ البستاني العجوز إدواردز بالطبع، لكنه عنيد جداً، كما أن طبيعة عمله الموسمي المتقطع تكسبه عادات سيئة، حيث الإكثار من شرب الشاي وإضاعة الوقت، والقليل القليل من العمل الحقيقي.

قالت السيدة ماغليكدي: آه، أعرف. صحيح أنني لم أُمْنع بعد من الانحناء، ولكنني -بعد زيادة وزني- أصاب بحرقه المعدة، وخصوصاً بعد الوجبات.

ساد الصمت قليلاً، ثم وقفت السيدة ماغليكدي بثبات وجمود والتفتت إلى صديقتها وقالت: حسناً؟

كانت كلمة صغيرة مبهمة في ظاهرها لكنها اكتسبت دلالة كبيرة بسبب نبرة السيدة ماغليكدي، ففهمت الأنسة ماربل معناها تماماً وقالت: أعرف.

تبادلت المرأتان النظرات ثم قالت الأنسة ماربل: أحسب أن بإمكاننا السير إلى مخفر الشرطة لتحدث إلى الرقيب كورنيس. إنه

ذكي وصبور، كما أنني أعرفه جيداً وهو يعرفني، أظن أنه سيصغي ثم يوصل المعلومات إلى السلطات المختصة.

وهكذا، بعد ثلاثة أرباع الساعة، كانت الأنسة ماربل والسيدة ماغليكدي يتحدثان مع رجل هادئ ذي وجه مشرق بين الثلاثين والأربعين من عمره، وهو يصغي إلى ما تقولانه باهتمام شديد.

استقبل فرانك كورنيش الأنسة ماربل بود، بل حتى باحترام. قدم كرسيين للسيدتين وقال: بماذا نستطيع أن نخدمك يا آنسة ماربل؟

قالت الأنسة ماربل: أريدك أن تتفضل وتصغي إلى قصة صديقتي السيدة ماغليكدي.

وهكذا أصفى الرقيب كورنيش، وعندما أنهت القصة ظل صامئاً لبعض الوقت، ثم قال: إنها قصة غريبة جداً.

كان ينظر إلى السيدة ماغليكدي وهي تحكي قصتها نظرات تقويمية دون أن يبدو عليه ذلك. وعلى وجه العموم فقد تأثر بما سمع، ورأى في السيدة ماغليكدي امرأة عاقلة تستطيع أن تحكي قصتها بوضوح، فلم تكن ممن يجنح بهم الخيال أو يتعرضون لنوبات هستيرية. والأهم من ذلك أن صديقتها الأنسة ماربل قد آمنت - كما يبدو - بدقة رواية صديقتها. وكان الرقيب يعرف عن الأنسة ماربل كل شيء، فهي عجوز واهنة في مظهرها لكنها في داخلها حادة الذهن والذكاء.

تنحى ثم قال: ربما كنت قد أخطأت بالطبع... أرجو أن

تنتهي إلى أنني لا أقول بأنك أخطأت، ولكن أقول ربما. كلنا نعلم أن الكثير من المزاح الثقيل يجري... وربما لا يكون الحادث خطيراً أو مميتاً.

قالت السيدة ماغليكدي عابسة: أنا واثقة مما رأيته.

فكر فرانك كورنيش قائلاً لنفسه: "كما أنك لن تتزحزحي عن موقفك هذا، وأظن أنك ربما كنت على حق". ثم قال بصوت مرتفع: لقد بلغت مسؤولي السكة الحديدية وها أنت أيضاً جئت لإبلاغي بهذا الأمر... هذا هو الإجراء الصحيح. يمكنك الاعتماد عليّ في التحقق من هذا الأمر.

ثم توقف عن الكلام. أومأت الأنسة ماربل برأسها راضية، لكن السيدة ماغليكدي لم تكن راضية كثيراً، ومع ذلك لم تقل أي شيء. خاطب الرقيب كورنيش الأنسة ماربل، لا طلباً لأفكارها بل لمجرد سماع ما قد تقوله: لو سلمنا بالحقائق كما ذكرت، فما الذي ترين أنه قد حدث للجثة؟

قالت الأنسة ماربل دون تردد: يبدو أنه يوجد احتمالان فقط. الأرجح منهما هو أن تكون الجثة قد تُركت في القطار، ولكن هذا يبدو بعيداً الآن لأنه كان من شأن راكب آخر أن يكتشف الجثة الليلة الماضية أو أن يكتشفها عمال القطارات في آخر محطة للقطار.

أوما فرانك كورنيش برأسه.

- الطريق الآخر الوحيد الذي كان مفتوحاً أمام القاتل ربما يكون إلقاء الجثة خارج القطار على السكة الحديدية. أظن أنها لا بد

العلاج لامرأة حسب الأوصاف التي قدمته ضيفتك، كما لم تلاحظ حالة امرأة تعاني من صدمة أو مرض أو تغادر المحطة بمساعدة رجل. أرجو أن تثقي بأننا قمنا بعمل تحريرات كاملة وشاملة. أظن أن صديقتك ربما شاهدت منظراً كالذي وصفته لكنه أقل خطورة مما خيل إليها.

* * *

أن تكون موجودة في مكان ما على الطريق لم تكتشف بعد (رغم أن هذا يبدو غير محتمل بعض الشيء). ولكن -كما أرى- لا يوجد طريق آخر للتعامل معها.

قالت السيدة ماغليكدي: كنا نقرأ عن جثث توضع في صناديق الثياب الكبيرة. ولكن أحداً لا يسافر هذه الأيام ومعه صناديق ثياب وإنما حقائب فقط، ولا يمكن وضع جثة في حقيبة سفر.

قال كورنيس: نعم، أتفق معكما. كان يُفترض أن تكتشف الجثة الآن إن كانت توجد جثة، أو أنها ستُكتشف قريباً جداً. سأبلغكما بأية تطورات تحدث، رغم اعتقادي أنكما ستقرأنها في الصحف. ويبقى احتمال -بالطبع- ألا تكون المرأة قد ماتت رغم الاعتداء الوحشي عليها، وربما استطاعت مغادرة القطار على قدميها.

قالت الأنسة ماربل: يصعب ذلك دون مساعدة أحد لها. وإن كان ذلك فسوف يراها الناس.

قال كورنيس: نعم، كانت ستشاهد، ولو وجدت امرأة فاقدة الوعي أو مريضة في عربة قطار ثم أخذها الناس إلى أحد المستشفيات فإن ذلك سيكون مسجلاً. أظن أن بإمكانكما الاطمئنان بأنكما ستسمعان عن هذا خلال وقت قصير.

لكن ذلك اليوم مر ثم اليوم الذي يليه. وفي المساء تلقت الأنسة ماربل رسالة من الرقيب كورنيس. كانت تقول:

بخصوص المسألة التي راجعتني فيها، قمنا بتحريرات كاملة دون نتيجة. لم يعثروا على جثة امرأة، ولم يقدم أي مستشفى

لقد بلغت مسؤولي السكة الحديدية والشرطة بما رأيت. كلا، ليس من شيء آخر يمكنك فعله.

- أجد في هذا عزاء لي؛ لأنني -كما تعلمين- ذاهبة إلى سيلان بعد فترة وجيزة لأمكث عند رودرك، ولا أريد تأجيل تلك الزيارة بالتأكيد لأنني كنت أتطلع إليها كثيراً. ومع ذلك يمكنك تأجيلها إذا ظننت أن ذلك من واجبي.

- أنا واثقة من ذلك يا إلسبث ولكنني -كما قلت- أرى أنك فعلت كل ما يمكنك فعله.

- الأمر يعود إلى الشرطة، وإذا اختاروا أن يكونوا أغبياء...

هزت الآنسة ماربل رأسها بحزم وقالت: آه، كلا، الشرطة ليسوا أغبياء؛ وهذا يجعل الأمر مثيراً، أليس كذلك؟

نظرت السيدة ماغليكدي إليها دون أن تستوعب ما قالته صديقتها، وأعادت الآنسة ماربل تأكيد حكمها على صديقتها بأنها امرأة ذات مبادئ رائعة ولكنها تفتقر إلى الخيال.

قالت الآنسة ماربل: نريد أن نعرف ما الذي حدث حقيقة.

- لقد قُتلت.

- نعم، ولكن من الذي قتلها؟ ولماذا؟ وماذا حدث لجثتها؟ أين هي الآن؟

- هذا من شأن الشرطة أن يكتشفوه.

الفصل الثالث

قالت السيدة ماغليكدي: أقل خطورة؟ هراء، كانت جريمة قتل!

نظرت إلى الآنسة ماربل نظرات تحد فبادلتها الآنسة ماربل النظرات. قالت السيدة ماغليكدي: هيا يا جين. قللي إن الأمر كله غلطة مني! قللي إنني توهمت هذا كله! هذا ما تربته الآن، أليس كذلك؟

أشارت الآنسة ماربل بلطف: يمكن لأي شخص أن يخطئ، أي شخص يا إلسبث... حتى أنت. أظن أن علينا أن نبقي ذلك في أذهاننا، لكنني ما زلت أرى أنك غالباً لم تخطئي. أنت تستخدمين نظارة للقراءة، لكن بصرك ممتاز عن بعد، والذي رأيت أثره عليك بقوة. كان واضحاً أنك تعانين من صدمة عندما وصلت إلى هنا.

- إنه شيء لن أنساه أبداً. المشكلة هي أنني لا أعرف ماذا أعمل بهذا الخصوص!

- لا أظن أنه بقي شيء آخر يمكنك أن تفعله بهذا الخصوص.

- تماماً، لكنهم لم يفعلوا بعد، وهذا يعني أن الرجل كان ذكياً... ذكياً جداً. لا أستطيع أن أتصور كيف تخلص منها. عندما تقتلين امرأة في نوبة من الهيجان لابد أن يكون ذلك عملاً غير مدبر مسبقاً. فلا يمكن أن تختاري قتل امرأة في مثل هذه الظروف عندما يكون القطار قد أوشك على الوصول إلى محطة كبيرة. لا، لا بد أنها كانت شجاراً... غير... شيئاً من هذا. تخفنيها فيكون بين يديك جثة والقطار على وشك الوصول إلى المحطة. ما الذي تستطيعين عمله سوى ما قلته في البداية: أن تضعي الجثة في إحدى الزوايا لتبدو وكأنها نائمة مخفية وجهها، ثم تغادري القطار بأسرع وقت ممكن. هذا هو الاحتمال الذي فكرت فيه بدايةً، ولكن لا بد من وجود احتمال آخر.

استغرقت الآنسة ماربل بالتفكير، وكلمتها السيدة ماغليكدي مرتين قبل أن تجيبها.

- لقد بدأت تفقدين سمعك يا جين.

- ربما بعض الشيء.. بئس أحسن أن الناس لا ينطقون الكلمات بما عهده منهم من وضوح، ولكن لا يعني هذا أنني لم أسمعك. أخشى أنني لم أصغ إليك فحسب.

- أردت أن أسألك عن القطارات المتجهة إلى لندن غداً. هل ترين قطار بعد الظهر مناسباً؟ سوف أذهب لزيارة مارغريت وهي لا تتوقع قدومي قبل العصر.

- تستطيعين الذهاب بقطار الثانية عشرة والربع. يمكننا تناول الغداء بالطبع، كما أن...

أكملت الآنسة ماربل حديثها متجاهلة كلام صديقتها: كما أنني أنساءل أيضاً إن كانت مارغريت ترى بأساً في تأخيرك لبعض الوقت... في وصولك عند الساعة مثلاً؟

نظرت السيدة ماغليكدي إلى صديقتها نظرات فضولية وقالت: ماذا يدور في ذهنك يا جين؟

- أقترح عليك أن أسافر معك إلى لندن ثم نسافر معاً إلى براكهامبتن مرة أخرى في القطار الذي سافرت فيه عندما جئت إلى هنا أول مرة. يمكنك بعدها أن تعودني إلى لندن من براكهامبتن ثم أرجع إلى هنا كما فعلت أنت. أنا سأدفع ثمن التذاكر بالطبع.

شدت الآنسة ماربل على عبارتها الأخيرة بقوة. وتجاهلت السيدة ماغليكدي الجانب المالي من الأمر وسألتها: ما الذي تتوقعينه بالله عليك يا جين؟ جريمة قتل أخرى؟

هزت الآنسة ماربل رأسها وهي تقول: كلا بالتأكيد، لكنني أريد أن أرى بنفسي وتحت إشرافك الـ... الـ... أجد من الصعب العثور على العبارة الصحيحة، ولكن لأقل إنني أريد رؤية «ساحة الجريمة».

وهكذا، في صباح اليوم التالي، وجدت الآنسة ماربل والسيدة ماغليكدي نفسيهما جالستين على مقعدين متقابلين في عربة الدرجة الأولى في قطار الخامسة إلا عشر دقائق المنطلق من محطة بادينغتن في لندن. كانت محطة بادينغتن أكثر ازدحاماً من يوم الجمعة الذي سبق حيث لم يبق سوى يومين لحلول عيد الميلاد، لكن قطار الساعة الخامسة إلا عشر دقائق كان هادئاً نسبياً... في جزئه الخلفي على الأقل.

- مجرد خسارة محزنة للمال.

قالت السيدة ماغليكدي باستياء أقل مما لو كانت هي التي دفعت النقود (وقد كانت الآنسة ماربل مصرة تماماً في موضوع دفع الأجور). قالت: مع ذلك يحب المرء أن يرى مكان حدوث الشيء بأم عينه. لقد تأخر هذا القطار بضع دقائق. هل وصل قطارك يوم الجمعة في موعده المحدد؟

- أظن ذلك. أنا لم أنتبه في الواقع.

توقف القطار في محطة براكهامبتن المزدهمة. أعلنت الإذاعة الداخلية بصوت أجش وصول القطار، وفتحت الأبواب وأغلقت ودخل الناس وخرجوا وتحركوا فوق الرصيف جيئة وذهاباً.

كان مشهداً مزدهماً جداً.

رأت الآنسة ماربل أنه من السهل بالنسبة لقاتل أن يتوارى بين هذه الحشود ويغادر المحطة وسط هذه الجموع المتدافعة، أو حتى أن يختار عربة أخرى ويكمل رحلته في نفس القطار إلى وجهته النهائية. من السهل أن يكون رجلاً بين رجال كثر، ولكن ليس من السهل أن يجعل جثة تتوارى وتختفي هكذا. لا بد أن تلك الجثة موجودة في مكان ما.

كانت السيدة ماغليكدي قد نزلت من القطار ووقفت على الرصيف تتحدث مع الآنسة ماربل الجالسة في مقعدها من خلال النافذة: انتبهى على نفسك يا جين حتى لا تصابي بالبرد. إنه طقس

وفي هذه المرة لم يسر بمحاذاته أي قطار كما لم يسر هو بمحاذاة أي قطار، ولكن بعض القطارات كانت تمر بسرعة خاطفة في الاتجاه المعاكس إلى لندن. وفي مرتين عبّر في الاتجاه المقابل قطاران بسرعة البرق. كانت السيدة ماغليكدي تنظر إلى ساعتها من وقت لآخر، بارتياب.

- من الصعب معرفة متى... كنا قد مررنا بمحطة أعرفها...

لكنهما كانتا تعبران محطات مختلفة بشكل مستمر.

قالت الآنسة ماربل: سنصل إلى براكهامبتن خلال خمس دقائق.

ظهر مفتش التذاكر عند المدخل. رفعت الآنسة ماربل عينيها متسائلة، وهزت السيدة ماغليكدي رأسها بالنفي؛ إذ لم يكن هو نفسه مفتش التذاكر. ثقب المفتش تذكرتهما ثم خرج مترنحاً بينما كان القطار ينعطف في منحنى طويل، وأبطأ القطار سرعته وهو على هذه الحال.

قالت السيدة ماغليكدي: أظن أننا وصلنا إلى براكهامبتن.

- إننا ندخل ضواحيها كما أظن.

كانت الأضواء تلمع في الخارج، وخفت سرعة القطار أكثر، وبدأ يعبر نقاط التحويل. قالت السيدة ماغليكدي: سنصل خلال دقيقة، ولا أرى أن هذه الرحلة قد أفادتنا بأي شيء أبداً. هل أوحى لك بأي شيء يا جين؟

قالت الآنسة ماربل بارتياب: أخشى ألا تكون كذلك.

متقلب في مثل هذا الوقت من العام، وأنت لم تعودتي شابة كما كنت.

قالت الأنسة ماربل: أعرف.

- كما لا نريد أن نزعج أنفسنا أكثر مما فعلنا بخصوص هذا الأمر؛ فقد بذلنا كل ما في وسعنا.

أومات الأنسة ماربل وقالت: لا تقف في البرد يا إلسيث، وإلا فستكونين أنت التي تصابين بالمرض. اذهبي وتناولتي فنجاناً من الشاي الحار في مقهى المحطة. يوجد وقت، فلديك اثنتا عشرة دقيقة قبل أن يعود قطارك إلى المدينة.

- سوف أفعل. وداعاً يا جين.

- وداعاً يا إلسيث. أرجو أن تجدي مارغريت بخير. متعي نفسك جيداً في سيلان وبلغني حبي لرودرك... إن كان يتذكرني، وهو ما أشك فيه.

- إنه يتذكرك بالطبع... يتذكرك جيداً. لقد ساعدته بطريقة ما عندما كان طالباً في المدرسة. كان الأمر يتعلق بنقود تختفي من إحدى الخزائن في المدرسة، وهو لم ينسَ ذلك أبداً.

- آه، تذكرت ذلك!

ثم ذهبت السيدة ماغليكدي وانطلقت صافرة القطار وبدأ يتحرك. راقبت الأنسة ماربل صديقتها البدينة وهي تبتعد. تستطيع

إلسيث الآن أن تذهب إلى سيلان دون أن تشعر بالندم؛ فقد قامت بواجبها وتحررت من أي التزام آخر.

لم تسند الأنسة ماربل ظهرها إلى مقعدها عندما بدأ القطار بزيادة سرعته، وبدلاً من ذلك جلست منتصبية وغرقت في بحر أفكارها. ورغم أن الأنسة ماربل كانت تبدو مشوشة في كلامها قليلة الدقة، إلا أنها -في تفكيرها- صافية الذهن وحادة الذكاء. كانت لديها مشكلة تريد حلها؛ مشكلة تصرفها المستقبلي الخاص، والغريب أن هذه المشكلة قد طرحها نفسها عليها كما سبق أن طرحها نفسها على السيدة ماغليكدي، أي باعتبارها قضية واجب.

لقد قالت السيدة ماغليكدي إنهما بذلتا كل ما تستطيعانه. وكان ذلك صحيحاً بالنسبة لصديقتها، ولكن الأنسة ماربل لم تشعر بمثل ذلك الاطمئنان لذلك.

أحياناً تكون المسألة مسألة استخدام مواهب الشخص الخاصة، ولكن ربما كان ذلك غروراً، إذ ما الذي يمكنها أن تفعله؟ تذكرت مرة أخرى -كلمات صديقتها: "أنت لم تعودتي شابة كما كنت...". جلست الأنسة ماربل تزن -بهدوء- الحقائق المتوفرة لها في عملها، مثل الجنرال الذي يخطط لحملة عسكرية أو المحاسب الذي يقوم مشروعاً. بالنسبة للنواحي الإيجابية كان أمامها (كما فكرت) ما يلي:

خبرتي الطويلة في الحياة وفي الطبيعة البشرية.

ديرموت كرادوك الذي يعمل الآن مفتشاً في شرطة سكوتلانديارد. إن صديقي العزيز (السير هنري) هو عزابه، ولن يتردد كرادوك في مساعدتي.

ديفيد، الولد الثاني لابن أخي ريموند، والذي يعمل
في شركة خطوط السكك الحديدية البريطانية.
ابن غريزلدا، ليونارد، الخبير جداً في الخرائط.

استعرضت الأنسة ماربل هذه الإيجابيات وأقرتها. كانت كلها
ضرورية جداً لتعويض نقطة ضعفها المتمثلة في تقدمها في السن
وعجزها عن الحركة. وقالت في نفسها: لا أستطيع الذهاب من مكان
لآخر لأقوم بالتحريات وأكتشف الحقائق.

نعم، تلك هي المشكلة التي تواجهها؛ عمرها وضعفها.
وبالرغم من أن صحتها كانت جيدة بالنسبة لعمرها، إلا أنها كبيرة
في السن. فإذا كان الدكتور هيدوك قد حظر عليها بشدة أن تقوم
بأي عمل في الحديقة فليس من الممكن أن يوافق على أن تخرج
لمطاردة قاتل خطير... لأن ذلك - عملياً - هو ما كانت تخطط له! وهنا
-أيضاً- كانت الثغرة في عزمها؛ فلئن كانت جرائم القتل قد فرضت
نفسها فرضاً عليها فيما مضى، فإنها ستكون هي التي تجري عامدة
سعيّاً وراءها في هذه الحالة. ولم تكن واثقة أنها تريد فعل ذلك؛ فقد
كانت كبيرة بالسن... كبيرة ومتعبة. أحست في تلك اللحظة، وفي
نهاية يوم متعب، بتردد بالغ في الدخول في أي مشروع. لم تُرد الآن
شيئاً سوى السير إلى بيتها والجلوس إلى جانب النار مع وجبة طعام
لذيذة تذهب بعدها إلى النوم، ثم تشغل نفسها -في اليوم التالي-
بقص بعض النباتات في الحديقة وترتيبها دون أن تحني ظهرها ودون
أن تجهد نفسها.

قالت الأنسة ماربل تخاطب نفسها وهي تنظر عبر النافذة بذهن

شارد إلى الخط المنحني لسكة القطار: إنني كبيرة على أي مغامرات
أخرى.

المنحني...

تحرك في رأسها شيء ما بشكل غامض، وتذكرت: بعدما خرم
مفتش التذاكر تذكريتهما مباشرة...

جاءتها فكرة، مجرد فكرة. ولكنها فكرة مختلفة تماماً.

احمر وجه الأنسة ماربل قليلاً، وفجأة لم تشعر بأي تعب أبداً!
قالت تخاطب نفسها: سأكتب رسالة لديفيد صباح الغد.

ثم لمعت في ذهنها، وفي نفس الوقت، فكرة رصيد آخر بالغ
القيمة: بالطبع، عزيزتي المخلصة فلورنس!

* * *

بدأت الأنسة ماربل خطة حملتها بأسلوب منهجي آخذة بعين
الاعتبار موسم عيد الميلاد الذي كان -دون شك- عامل تأخير.

كتبت لديفيد وست (ابن ريموند ابن أخيها) تطلب منه بعض
المعلومات بالحاج، وضمنت الخطاب أمنياتها السعيدة له بمناسبة
عيد الميلاد.

ولحسن حظها فقد كانت مدعوة -كما هي العادة كل سنة- إلى
بيت الكاهن لتناول العشاء ليلة العيد، وهناك استطاعت الحديث مع
ليونارد الشاب حول الخرائط. كانت هواية ليونارد تشمل الخرائط
من جميع الأنواع، ولم يثر فضوله سبب استفسار السيدة العجوز

عن خريطة كبيرة ومفصلة لمنطقة معينة. تحدّث معها عن الخرائط بوجه عام بكفاءة عالية وكتب لها ما يمكن أن يناسب طلبها تماماً، بل إنه قام بما هو أفضل من ذلك، إذ تذكّر إن لديه خريطة ضمن مجموعته فأعارها لها، ووعدته الأنسة ماربل بأن تعتي بها كثيراً وتعيدها إليه عما قريب.

* * *

قالت غريزelda تخاطب ابنها ليونارد: خرائط! ما الذي تريده من الخرائط؟ أقصد لماذا تريدها؟

- لا أدري، لا أظنها أخبرني عما تريده منها بالضبط.

- ترى... يبدو لي ذلك أمراً مريباً! إن عجوزاً في مثل سنّها يجب أن تتخلى عن مثل هذه الأعمال.

سألها ليونارد أية أعمال تقصد فأجابته أمه: آه، دس الأنف في كل الأمور. ترى لماذا تريد الخرائط؟

تسلمت الأنسة ماربل رسالة في الوقت المناسب من ديفيد وست، ابن ابن أخيها. كانت الرسالة تقول:

عمتي العزيزة جين،

ما الذي تخططين له؟ حصلت على المعلومات التي أردتها. يوجد قطاران فقط يمكن أن ينطبق عليهما سؤالك: قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة وقطار الخامسة. الأول قطار بطيء ويتوقف في هيلنغ

برودواي وبارويل هيث وبراكهامبتن ثم ينتهي في محطة ماركت بيسنغ. أما قطار الساعة الخامسة فهو قطار ويلز السريع المتجه إلى كارديف ونيوبورت وسوانسي. يمكن لقطار الساعة الخامسة إلا عشر دقائق أن يلحق الأول في مكان ما، رغم أنه يصل إلى براكهامبتن قبله بخمس دقائق، أما الأخير فيمر من جانب قطار الخامسة إلا عشر دقائق قبل براكهامبتن تماماً.

هل أشك -من كل ذلك- بوجود فضيحة دسمة في القرية؟ هل لاحظت وأنت عائدة إلى البلدة في قطار الساعة الخامسة إلا عشر دقائق -بعد رحلة تسوق- زوجة العمدة يعانقها مفتش الصحة في قطار مر من جانب قطارك؟ ولكن لماذا أنت مهتمة بمعرفة أي قطار كان؟ شكراً لك على الكثرة؛ كانت ما أحججه بالضبط. كيف هي حديقتك اليوم؟ لا أظنها جميلة ومنعشة في مثل هذا الوقت من السنة.

المخلص: ديفيد

ابتسمت الأنسة ماربل قليلاً ثم فكرت بالمعلومات التي قدّمت لها. لقد جزمت السيدة ماغليكيدي بأن العربّة كانت مستقلة لا يخترقها ممر إلى العربات الأخرى، ولذلك فليس القطار المقصود قطار سوانسي السريع، وهذا يشير -إذن- إلى قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة.

إن المزيد من السفر مسألة لا مفر منها. تنهدت الأنسة ماربل لكنها وضعت خططها. ذهبت إلى لندن -كالمرّة السابقة- في قطار

الثانية عشرة والربع، لكنها لم تعد هذه المرة في قطار الخامسة إلا عشر دقائق، بل في قطار الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة إلى براكهامبتن. كانت الرحلة خالية من الأحداث لكنها سجلت بعض التفاصيل. لم يكن القطار مزدحماً حيث أن هذا الوقت كان يسبق ساعة الازدحام في المساء، وكانت عربة واحدة فقط من عربات الدرجة الأولى مشغولة، وكان شاغلها رجلاً عجوزاً يقرأ إحدى المجلات. ركبت الأنسة ماربل مقصورة خالية وعندما توقف القطار في كل من هالنج برودوي وبارويل هيث أطلت من النافذة لترقب الركاب وهم يدخلون القطار ويخرجون منه. ركب عدد قليل من الركاب عربات الدرجة الثالثة في هالنج برودوي، أما في بارويل هيث فقد خرج الكثير من ركاب الدرجة الثالثة. لم يدخل أحد عربات الدرجة الأولى أو يخرج منها باستثناء الرجل العجوز الذي كان يحمل مجلته. وبينما كان القطار يقترب من براكهامبتن ويدور في أحد المنعطفات السريعة، وقفت الأنسة ماربل -على سبيل التجربة- وظهرها إلى النافذة التي كانت قد أسدلت ستائرهما.

فكرت قائلة لنفسها: "إن قوة الانعطاف المفاجئ للقطار (مع تقليل السرعة) من شأنه أن يربك توازن المرء ويلقيه إلى الخلف ليصطدم بالنافذة، ويمكن للستارة -نتيجة ذلك- أن ترتفع فجأة بسهولة". أطلت تنظر إلى عتمة الليل؛ كانت العتمة شديدة ولم يكن إلا القليل مما يمكن رؤيته، وحتى ترى لا بد أن تقوم برحلة أخرى في وضع النهار.

في صباح اليوم التالي ذهبت في قطار الصباح المبكر واشترت أربعة أغطية للوسائد لكي تجمع بين التحري وتلبية متطلبات المنزل،

ثم عادت في قطار يغادر بادنغتن في الساعة الثانية عشرة والربع. ومرة أخرى كانت وحدها في عربة الدرجة الأولى.

وقبل أن يصل القطار إلى براكهامبتن بنحو ربع ساعة أخرجت الأنسة ماربل الخريطة التي استعارتها من ليونارد وبدأت ترقب المناطق الريفية. كانت قد درست الخريطة دراسة دقيقة مسبقاً، وبعد أن قرأت اسم إحدى المحطات التي مر بها القطار استطاعت أن تحدد أين هي حين بدأ القطار في إبطاء سرعته عند أحد المنعطفات. كان منعطفاً كبيراً جداً، وقربت الأنسة ماربل وجهها إلى النافذة ونظرت إلى الأرض تحتها (كانت الأرض منخفضة تماماً على جانبي القطار). كانت تنظر بانتباه شديد، ووزعت انتباهها بين أراضي الريف خارج القطار وبين الخريطة التي بيدها إلى أن دخل القطار -في نهاية الأمر- إلى براكهامبتن.

في تلك الليلة كتبت رسالة وأرسلتها إلى الأنسة فلورنس هيل في المنزل رقم ٤ بشارع ماديسون في براكهامبتن. وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى المكتبة العامة ودرست الدليل الجغرافي للمنطقة بالإضافة إلى تاريخ المقاطعة.

لم تجد -حتى الآن- ما يتنافى مع تلك الفكرة الباهتة العامة التي خطرت لها؛ فما تخيلته كان ممكناً. لن تذهب أبعد من ذلك، فالخطوة التالية كانت تتطلب عملاً... عملاً كثيراً، عملاً لم يكن يناسب قدراتها البدنية. وإذا كان لها أن تثبت من صحة نظريتها أو بطلانها فلا بد أن تحصل -في هذه المرحلة- على مساعدة من مصدر آخر. كان السؤال هو... من هو؟ استعرضت الأنسة ماربل

أسماء واحتمالات مختلفة ورفضتها جميعاً بهزة غيظ قوية من رأسها؛
فالناس الأذكياء الذين يمكن أن تعتمد على ذكائهم مشغولون جداً.
إنهم لا يعملون فقط في وظائف مختلفة ومهمة بل إن أوقات فراغهم
أيضاً تكون -في العادة- مخصصة لمواعيد محددة مسبقاً قبل فترة
طويلة. أما غير الأذكياء الذين يملكون الوقت الكثير فقد قررت الآنسة
ماربل أنهم لا ينبغي أن يفعلوا.

فكرت في الأمر وقد ازدادت حيرتها وغضبها. ثم انفجرت
أساربرها فجأة وصاحت بصوت عال: بالطبع! لوسي آيلسبارو!

* * *

الفصل الرابع

كان اسم لوسي آيلسبارو قد اكتسب بعض الشهرة في أوساط
معينة. كانت في الثانية والثلاثين من عمرها، وقد حازت على المرتبة
الأولى في الرياضيات في جامعة أكسفورد، وكانت معروفة بامتلاكها
عقلاً ذكياً. وكان متوقعاً لها أن تعمل في وظيفة أكاديمية رفيعة.

لكن لوسي آيلسبارو كانت تملك -بالإضافة إلى ذكائها
الأكاديمي- الفطرة السليمة والقدرة على الحكم الصائب. لقد رأت
أن حياة التميز الأكاديمي ليست بالحياة المجزية كثيراً. لم تكن لديها
أية رغبة في ممارسة مهنة التعليم وكانت تستمتع بالاتصال بأناس ذوي
ذكاء أقل من ذكائها. وباختصار، كان لديها ميل للناس؛ كل الناس...
وليس مع نفس الناس دائماً. كما كانت -بصراحة- تحب المال؛ فمن
أجل كسب المال لا بد للمرء أن يستغل النقص والحاجة.

وقد عثرت لوسي آيلسبارو فوراً على أزمة نقص وعجز خطيرة
يمكن استغلالها؛ تلك هي النقص الحاد في مدبرات المنازل
القديرات. وقد أدهشت أصدقاءها وزملاءها عندما دخلت مجال
العمل المنزلي. كان نجاحها فورياً وأكيداً، وبعد بضع سنوات على

عملها أصبحت الآن معروفة في جميع أنحاء البلاد. كان من المألوف جداً أن تقول المرأة لزوجها وهي مبتهجة: "لا بأس، يمكنني أن أسافر معك؛ فعندي لوسي آيلسبارو!". وكانت سمعتها -في هذا المقام- هي أنها بمجرد أن تدخل بيتاً فإن القلق والضيق والتعب يغادرونه. وقد قامت لوسي بكل شيء وعالجت كل شيء ورتبت كل شيء، وكانت كفاءتها في كل مجال لا تصدق. كانت تعني بالعجائز وقبلت العناية بالأطفال الصغار وقامت بتمريض من كان مريضاً وكانت تطهو الطعام بطريقة بارعة ورائعة، وأقامت علاقات جيدة مع كل الخدم إن وُجد خدم (وفي العادة لا يوجد)، وكانت لبقة مع كل الناس الذين لا يُحتملون. والأفضل من هذا كله أنها لم تكن تنذر من طبيعة ما يوكل إليها من عمل؛ فكانت تسمح أرضية المطبخ وتحفر في الحديقة وتنظف بيوت الكلاب ومخازن الفحم!

كان أحد شروطها ومبادئها ألا تقبل أبداً أي عمل لفترة طويلة. كانت فترة العمل المعتادة التي تقبل بها أسبوعين فقط، وشهراً واحداً على أقصى تقدير في الظروف الاستثنائية. كان عليك أن تدفع مبالغ طائلة مقابل هذين الأسبوعين، ولكن أثناء هذين الأسبوعين تصبح حياتك نعيماً. تستطيع أن ترتاح تماماً وتسافر إلى الخارج أو تبقى في بيتك وتفعل ما تشاء مطمئناً إلى أن كل شيء في البيت يسير سيراً حسناً بين يدي لوسي آيلسبارو القديرة.

وكان طبعياً أن يكون على خدماتها طلب كبير. كان بوسعها -لو أرادت- أن تبقى نفسها محجوزة سلفاً لأكثر من ثلاث سنوات، وقد عرض بعضهم عليها مبالغ ضخمة لتعمل عندهم بشكل دائم، ولكنها لم تكن تعترز العمل عند أحد بصورة دائمة، كما أنها لم تكن تحجز

نفسها لأكثر من ستة أشهر مقدماً. وفي أثناء تلك الفترة كانت تحتفظ لنفسها -دون أن يدري عملاؤها- بفترات راحة إما لقضاء إجازة مترفة باهظة التكاليف (إذ أنها لم تكن تصرف شيئاً غير ذلك، وكانت أجورها وطلباتها مستجابة) وإما لقبول عمل مفاجئ يصادف أن ينال إعجابها بسبب طبيعته أو بسبب حبها لمن طلب منها القيام به.

وحيث أنها الآن حرة في اختيار زبائنها الذين يقبلون على خدماتها (وهم كثر) فإنها تختارهم حسب ميلها نحوهم وإعجابها بهم. إن مجرد الغنى والثروة لا يؤهلك لشراء خدمات لوسي. كانت تستطيع اختيار زبائنها كما تريد، وكانت تستمتع بحياتها كثيراً وتجدها مصدراً مستمراً للمتعة.

قرأت لوسي آيلسبارو رسالة الأنسة ماربل أكثر من مرة. كانت قد عرفت إلى الأنسة ماربل قبل سنتين عندما استعان الروائي ريموند وست بخدماتها لتقوم على رعاية العجوز (أي الأنسة ماربل) التي كانت تتعافى من مرض ذات الرئة، وقد قبلت لوسي الوظيفة وذهبت إلى قرية سينت ميري ميد للعناية بالأنسة ماربل... وأحبت لوسي الأنسة ماربل كثيراً. أما بالنسبة للأنسة ماربل فما أن لمحت لوسي من نافذة غرفتها وهي تحفر لزراعة البازلاء العطرية بطريقة صحيحة حتى عادت لتتكئ على وسادتها مرتاحة مطمئنة، ثم أخذت تلتهم وجبات الطعام اللذيذة التي تحضرها لها بحيث أدهشت طبيعتها بسبب شفافها السريع.

كتبت الأنسة ماربل تطلب من الأنسة آيلسبارو أن تقوم بمهمة معينة لصالحها، وهي مهمة غير عادية. وطلبت منها تدبير لقاء لمناقشة المسألة بينهما.

قطبت لوسي آيلسبارو جيئنها لحظة وهي تفكر. كانت مشغولة جداً في الواقع، ولكن عبارة «مهمة غير عادية» وما تذكره من شخصية الأنسة ماربل هما اللذان انتصرا في النهاية، فاتصلت بالأنسة ماربل مباشرة شارحة لها أنها ستكون حرة ما بين الساعة الثانية والرابعة من بعد ظهر الغد وتستطيع لقاءها في أي مكان في لندن. وقد اقترحت أن يكون ذلك في ناديها الخاص، وهو ناد غريب فيه عدة غرف صغيرة للكتابة تكون فارغة في العادة.

قبلت الأنسة ماربل هذا الاقتراح فجرى اللقاء في اليوم التالي.

تبادلت السيدتان التحيات ثم أخذت لوسي ضيفتها إلى غرفة مظلمة من غرف الكتابة وقالت: أخشى أن أكون مشغولة في الوقت الحاضر، ولكن بإمكانك أن تخبريني بالذي تريد مني عمله.

قالت الأنسة ماربل: الأمر بسيط للغاية. بسيط ولكنه غريب... أريدك أن تعثري لي على جثة!

خيل للوسي -للحظات- بأن الأنسة ماربل قد تكون مجنونة أو معتوهة، ولكنها طردت هذا الخاطر؛ فقد كانت الأنسة ماربل راجحة العقل، وكانت تعني ما تقوله بالضبط.

سألتها لوسي برباطة جأش تثير الإعجاب: أي نوع من الجثث؟

- جثة امرأة؛ امرأة قُتلت... أو خُنقت في الواقع، في قطار. رفعت لوسي حاجبيها قليلاً وقالت: حسناً، هذا غريب بالتأكيد. أخبريني عن الأمر.

أخبرتها الأنسة ماربل. أصغت لوسي آيلسبارو باهتمام دون أن تقاطعها، وعندما انتهت قالت: يعتمد الأمر على ما رأيته صديقتك... أو ظنت أنها رأيته...

تركت الجملة دون أن تكملها وكأنها سؤال.

- السبب لا تتخيل أشياء، وهذا ما يدعوني للاعتماد على ما قالته. لو كانت دوروثي كارترأيت لكان الأمر مختلفاً تماماً. فدوروثي عندها دائماً قصة محبوبة غالباً ما تصدقها هي أولاً، ويكون فيها في العادة أساس من حقيقة، ولكن ليس أكثر من ذلك بالتأكيد. أما السبب فامرأة يصعب أن تقنع نفسها بتصديق إمكانية وقوع شيء غريب وعلى غير العادة. إنها امرأة لا تتأثر بالإيحاء، بل هي أصلب من الصخر.

- فهمت. حسناً، لنقبل ما قالته كله. ما هو دوري في هذا الأمر؟

- لقد أعجبتني كفاءتك كثيراً، وكما ترين فإنني لا أملك القوة البدنية لأتحرك وأقوم بهذا العمل بنفسني.

- هل تريد مني القيام بالتحريات أو شيئاً من هذا النوع؟ ولكن ألا يفترض أن يقوم الشرطة بهذا كله، أم أنت ترين أنهم يهملون واجباتهم؟

- لا، إنهم لم يقصروا بواجبهم. الأمر هو أن لديّ نظرية حول جثة المرأة: لا بد أن تكون في مكان ما، وإذا لم توجد في القطار فلا بد -إذن- أن تكون قد أُلقيت خارجه في مكان ما. ولكن أحداً

لم يعثر عليها على خط السكة الحديدية، ولذلك فقد سافرت في نفس القطار لأرى إن كان يوجد مكان يمكن إلقاء الجثة فيه خارج القطار دون أن يعثروا عليها، وقد وجدت مكاناً. إن خط السكة الحديدية ينعطف في منحنى كبير قبل أن يصل إلى براكهايمتن فوق مرتفع تنخفض الأرض حوله. ولو ألقيت جثة خارج القطار هناك -والقطار ينحرف في زاوية حادة- فإنني أظن أن من شأنها أن تسقط مباشرة إلى منخفض الأرض ذلك.

- ولكن كان يمكن العثور عليها، حتى في ذلك المكان؟

- آه، كان سيتعين إبعادها من هناك. لكننا سنتناقش هذا الأمر في الحال: ها هو المكان، على هذه الخريطة؟

انحنت لوسي لتفحص المكان الذي كانت الأنسة ماربل تشير إليه بأصبعها. قالت الأنسة ماربل: إنه حقل في ضواحي براكهايمتن تماماً الآن، لكنه كان -في الأصل- بيتاً ريفياً له حديقة واسعة وتتبعه أراضٍ كبيرة ممتدة، وهو ما زال موجوداً هناك دون أن يلمسه أحد... محاطاً بالمباني والبيوت الصغيرة. إنه يُدعى «رذرفورد هول»، وقد بناه عام ١٨٨٤ رجل يُدعى كراكنثورب، وكان رجل صناعة ثرياً جداً. إن ابن كراكنثورب الأصلي رجل كهل الآن وما زال يعيش هناك مع ابنته كما علمت. وخط القطار يلتف حول نصف أراضي الحقل تقريباً.

- وما الذي تريدين مني عمله؟

أجابتها الأنسة ماربل على الفور: أريدك أن تحصلي على عمل هناك. الكل يصرخون الآن طلباً لمديرات قديرات في منازلهم، ولا أظن أن حصولك على عمل هناك مسألة صعبة.

- لا، لا أظن أنها ستكون صعبة.

- علمت أن السيد كراكنثورب معروف بين أهل منطقته بالبخل إلى حد ما. إذا قبلت براتب منخفض فسوف أعوضك عن الفرق حتى يصل إلى مبلغ أكبر من المعدل الذي تتقاضينه حالياً.

- بسبب الصعوبة؟

- ليس بسبب الصعوبة بقدر ما هو بسبب الخطر؛ فقد يكون العمل خطيراً... من الحكمة أن أحذرك من هذا.

قالت لوسي متأملة: لا أظن أن فكرة الخطر يمكن أن تعيقني.

- ولا أنا ظننت فيك ذلك، فأنت لست من هذا النوع.

- لعلك رأيته أمراً ربما يجذبني؟ لم أواجه في حياتي إلا القليل من المخاطر، ولكن هل تعتقدين أنه قد يكون عملاً خطيراً بالفعل؟

- لقد ارتكب شخصٌ ما جريمة ناجحة جداً. لم يسمع أحد صرخات أو ضجة ولم تثر أية شكوك حقيقية. سيدتان كبيرتان سردتا قصة لا يمكن تصديقها، وقد تحقق الشرطة من تلك القصة ولم يجدوا فيها شيئاً يلفت النظر؛ ولذلك فإن كل شيء -بالنسبة لذلك المجرم- رائع وهادئ. ولا أظنه سيتنبه إلى احتمال إثارة هذه القضية مجدداً.

- ما الذي تريدين مني أن أبحث عنه بالضبط؟

- أي إشارات على طول المنخفض الموازي لسكة القطار...

قطعة من قماش، أو أغصان مكسورة، شيء من هذا النوع.

أومات برأسها وقالت: وبعدها.

- سأكون قريبة منك. لي خادمة قديمة (خادمتي المخلصة فلورنس) تعيش في براكهامبتن. كانت تعتني بوالديها العجوزين لسنوات طويلة وكلاهما الآن ميت، وهي توجر غرفة في بيتها... لأناس محترمين. وقد دبرت لي غرفة معها هناك، وستقوم على رعايتي بإخلاص. أشعر برغبتني في أن أكون في مكان قريب؛ ولذا أقترح أن تذكرني لهم أن لك عمة عجوزاً تعيش في منطقة قريبة وأنتك تريدين عملاً قريباً منها حتى تذهبي لزيارتها بين الفينة والأخرى.

أومات لوسي مرة أخرى وقالت: كنت سأذهب إلى تورمينا لقضاء إجازة بعد غد، ولكن يمكن تأجيل ذلك. على أنني لا أستطيع أن أعد إلا بالعمل لثلاثة أسابيع فقط؛ فأنا محجوزة بعد ذلك.

- ثلاثة أسابيع فترة كافية، إذا لم نستطع العثور على أي شيء خلال ثلاثة أسابيع فمن الأفضل أن نتخلى عن العمل كله باعتباره وهماً خادعاً.

غادرت الآنسة ماربل. وفكرت لوسي للمحطات قبل أن تتصل بمكتب التسجيل في براكهامبتن حيث كانت تعرف مديرته جيداً. أوضحت لها رغبتها في العمل في منطقة قريبة حتى تكون قرب عمتها. وبعد أن رفضت -بشيء من الصعوبة وكثير من الذكاء- عدة عروض أكثر إغراء ذكرت لها مديرة المكتب اسم «رذرفورد هول».

قالت لوسي جازمة: هذا ما أريده بالضبط.

اتصل مكتب التسجيل بالآنسة كراكنشورب فاتصلت الأخيرة بلوسي.

بعد ذلك بيومين غادرت لوسي لندن في طريقها إلى «رذرفورد هول».

عبرت لوسي آيلسبارو بسيارتها الخاصة الصغيرة بوابة حديدية ضخمة مهيبة. كان هناك داخل البوابة مباشرة ما كان في الأصل بيتاً صغيراً للحارس، لكنه يبدو اليوم مهجوراً ومتداعياً إما بسبب الخراب الذي أحدثته الحرب أو بسبب الإهمال، وكان هناك طريق طويل متعرج يتخلل شجيرات الورد المتشابكة الكبيرة ليفضي إلى البيت. حبست لوسي أنفاسها عندما رأت المنزل الذي كان أقرب إلى نموذج مصغر من قلعة ويندسور. كان من شأن الدرج الحجري أمام الباب أن يبدو أفضل إذا ما توفرت له بعض العناية، وكان المنحدر المكسو بالحصى مخضراً بنباتات مهملة. سحبت خيطاً خاصاً بجرس حديدي قديم فسمعت صداه بعيداً داخل البيت.

فتحت الباب امرأة قدرة كانت تمسح يديها بمربولها ونظرت إليها نظرات ارتياب وقالت: أأنت من تنتظره سيدتي؟ قالت إن الآنسة... بارو ستأتي.

قالت لوسي: هذا صحيح.

كان البيت شديد البرودة من الداخل. أخذتها دليلتها ودخلت بها صالة معتمة ثم فتحت أحد الأبواب جهة اليمين، وقد دهشت

لوسي عندما رأت أمامها غرفة جلوس تبعث في النفس الارتياح وفيها كتب وكراسي منجدة.

قالت المرأة: سأخبرها.

ثم ذهبت بعد أن أغلقت الباب وهي تنظر إلى لوسي نظرة ازدراء عميق. وبعد بضع دقائق فتح الباب ثانية، وقررت لوسي - منذ اللحظة الأولى - أنها أحبت إيما كراكنثورب.

كانت امرأة في وسط العمر دون مواصفات بالغة التميز، فلا هي بالجميلة ولا بالدميمة، ترتدي - باحتشام - تنورة وكنترة من الصوف، وكان شعرها الأسود مشدوداً إلى الخلف. كانت عيناها عسليتين وصوتها جميلاً.

مدت يدها وهي تقول: الآنسة آيلسبارو؟

ثم بدت متشككة وقالت: ترى، هل هذه الوظيفة هي ما تبحثين عنه؟ إنني لا أريد مدبرة منزل تشرف على الأعمال في البيت، بل أريد واحدة تقوم بهذه الأعمال بنفسها.

قالت لوسي إن ذلك هو ما يحتاجه أغلب الناس.

قالت إيما كراكنثورب معذرة: كثير من الناس يعتقدون أن نقض قليل من الغبار ينفي بالغرض، لكنني أستطيع نقض الغبار بنفسني.

- أفهم هذا جيداً. تريدان امرأة تطبخ وتغسل وترتب البيت وتذكي النار في المدفأة. لا بأس بذلك؛ فهذا ما أقوم به. إنني لا أخشى العمل أبداً.

- إنه في الواقع بيت كبير علينا، ونحن نعيش في قسم منه فقط بالطبع... أعني أنا ووالدي، وهو رجل مقعد نوعاً ما. نحن نعيش حياة هادئة، ولدينا جهاز تدفئة. لدي عدة إخوة لكنهم لا يأتون إلى هنا كثيراً. تأتينا فقط امرأتان: السيدة كيدر في الصباح والسيدة هارت ثلاثة أيام في الأسبوع لتقوم بتنظيف الأواني النحاسية وغيرها. هل لديك سيارتك الخاصة؟

- نعم، ويمكنني إيقافها في العراء إلم يكن لها مكان هنا. إنها معتادة على ذلك!

قالت: "آه، لدينا الكثير من الأسطبلات القديمة. لا مشكلة في هذا". ثم قطبت جبينها وقالت: آيلسبارو، إنه اسم غير مألوف نوعاً ما. أخبرني بعض الأصدقاء عنك... وهم من عائلة كندي؟

- نعم. كنت معهم في نورث ديفون عندما وضعت السيدة كندي طفلاً.

ابتسمت إيما كراكنثورب وقالت: قالوا بأنهم لم يعيشوا أوقاتاً رائعة كتلك التي عاشوها عندما كنت معهم تشرفين على كل شيء. لكنني عرفت أن أجرك مرتفع جداً. إن المبلغ الذي ذكرته...

قالت لوسي: لا بأس. إنني أريد - بشكل خاص - أن أكون قرب براكهامبتن؛ فلدي عمّة عجوز في حالة صحية حرجية وأريد أن أكون قريبة منها، وهذا ما يجعل الراتب مسألة ثانوية. لا أستطيع تحمل حياة بلا عمل. إن كان باستطاعتي الخروج لبعض الوقت في معظم الأيام؟

- آه، بالطبع. كل يوم بعد الظهر وحتى السادسة إن شئت؟

- هذا رائع.

الشيب شعره الأسود الكثيف، وكانت عيناه صغيرتين يبدو فيهما شك وريبة. قال: دعينا ننظر إليك أيتها الفتاة.

تقدمت لوسي مبشمة رابطة الجأش. قال: شيء واحد ينبغي أن نفهمه منذ البداية. إن عشنا في بيت كبير لا يعني أننا أغنياء؛ فنحن لسنا كذلك. إننا نعيش بتقدير... أفهمين؟ لا فائدة من المجيء إلى هنا بأفكار طنانة. إن سمك القد يفي بالغرض كأى سمك فاخر كل يوم، لا تنسي هذا. أنا لا أطيق التبذير. إنني أعيش هنا لأن والدي بنى البيت وأنا أحبه، وبعد أن أموت يمكنهم بيعه إن أرادوا... وأظنهم يريدون ذلك، فلا يوجد إحساس بمفهوم العائلة. لقد بنى هذا البيت بناء جيداً. إنه قوي متين، ولدينا أرضنا الخاصة بنا حولنا مما يجعلنا بعيدين عن أعين الناس. كان يمكن أن يباع بسعر عال جداً لو بيع لاستخدامه أرضاً للبناء، ولكن هذا لن يحدث وأنا على قيد الحياة... لن نخرجوني من هنا إلا إلى قبري.

ثم نظر إلى لوسي فقالت: بيت المرء قلعته.

- أنهزئين بي؟

- كلا بالطبع. أعتقد أنه من المثير جداً أن يكون لديك مكان ريفي حقيقي والمدينة حوله.

- صحيح. أنت لا تستطيعين رؤية بيت آخر من هذا المكان، اليس كذلك؟ حقول بها أبقار... في وسط براكهامبتن تماماً. تسمعين أصوات حركة المرور قليلاً عندما تهب الريح من ذلك الاتجاه، وفيما عدا ذلك لا تزال المنطقة ريفية.

ترددت الأنسة كراكتشورب لحظة قبل أن تقول: والدي رجل كهل قارب الشيخوخة وهو صعب المزاج قليلاً. إنه رجل يحب الاقتصاد كثيراً، وفي بعض الأحيان... أحياناً يقول أشياء تضايق الآخرين. لا أريد أن...

قاطعتها لوسي بسرعة: أنا معتادة على كبار السن من جميع الأنواع، وأنا أنجح دائماً في إقامة علاقات جيدة معهم.

بدا الارتياح على إيما، وفكرت لوسي: مشكلات مع الأب! أراهن على أنه عجوز سريع الغضب.

خصصت إيما للوسي غرفة نوم كبيرة كثيرة مع مدفأة كهربائية صغيرة لم تكن تدفئ الغرفة كما ينبغي، وأخذتها في جولة حول المنزل الذي كان أقرب إلى قصر واسع غير مريح. وفيما كانتا تمران من أمام أحد الأبواب في الصالة صاح شخص مزمجرأ: أهذا أنت يا إيما؟ هل أحضرت الفتاة الجديدة هنا؟ أدخلوها... أريد أن أراها.

احمر وجه إيما وهي تنظر إلى لوسي معذرة.

دخلت المرأتان الغرفة التي كانت مفروشة بالمخمل الداكن، ولم تكن نوافذها الضيقة تسمح إلا بالقليل من النور، وكانت مليئة بالآثاث الفكتوري الثقيل.

كان السيد كراكتشورب العجوز جالساً على كرسي العجزة وبجانبه عصا ذات رأس فضي. كان ضخم الجسم وقد بدا كمن أضناه الإعياء، وكان له ذقن بارز ووجه عريض القسمات، وقد تخلل

ثم أضاف دون أن يتوقف أو يغير من نبرته مخاطباً ابنته: اتصلي بذلك الطبيب الأحق وقولي له إن الدواء الأخير لم ينفع أبداً.

خرجت إيما ولوسي، ولم يلبث أن صاح من جديد: ولا تدعي تلك المرأة القذرة تنظف الغبار هنا؛ لقد أفسدت ترتيب كتي كلها.

سألت لوسي: منذ متى والسيد كراكثورب مريض؟

قالت إيما بشيء من التملص: آه، منذ سنوات عديدة... هذا هو المطبخ.

كان المطبخ ضحكاً وبارداً ومهملاً، وفي أحد أركانها موقد التدفئة الكبير. سألتها لوسي عن أوقات الوجبات وفشتت خزانة حفظ الأطعمة، ثم قالت تخاطب إيما وهي مبتهجة: أعرف كل شيء الآن. لا تقلقي، اتركي كل شيء لي.

تنهدت إيما كراكثورب بارتياح عميق بينما كانت تصعد إلى غرفة نومها في تلك الليلة. قالت: كانت عائلة كندي على حق تماماً؛ إنها رائعة.

استيقظت لوسي من نومها في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي. رتبت البيت وأعدت الخضار ثم قامت بإعداد الإفطار وتقديمه، وبعد ذلك قامت مع السيدة كيدر بترتيب الأسرة، وفي الساعة الحادية عشرة جلستا تشربان الشاي في المطبخ. ارتاحت السيدة كيدر وشرعت في الثرثرة بعد أن اطمأنت إلى أن لوسي ليست متكبرة، وبعد أن فكت عذوبة الشاي لسانها. كانت امرأة صغيرة

الجسم نحيلة ذات نظرات حادة وشفيتين مزومتين.

- إنه عجوز بخيل جداً، وعليها أن تتحمل الكثير! ومع ذلك فهي ليست مضطهدة. إنها تستطيع الصمود والتحمل عندما يتوجب عليها ذلك. وحين يأتي الرجال إلى هنا فإنها تحرص على تحضير طعام جيد لهم.

- الرجال؟

- نعم، كانت عائلة كبيرة. أكبر الأولاد هو السيد إدموند (وقد قتل في الحرب). ثم السيد سدريك الذي يعيش في الخارج حيث يرسم اللوحات في بلاد أجنبية، وهو ليس متزوجاً. ثم السيد هارولد الذي يعيش في لندن، وهو متزوج بابنة أحد النبلاء. ثم السيد ألفرد، وهو ذو أسلوب لطيف في التعامل مع الناس، ولكنه شقي العائلة إلى حد ما، وقد وقع في المشكلات أكثر من مرة. وأخيراً يوجد السيد برايان زوج إدث، وهو رجل لطيف جداً، ماتت زوجته قبل سنوات لكنه ظل دائماً واحداً من أفراد العائلة، وألكساندر، وهو ابن إدث الصغير. إنه في المدرسة ويأتي إلى هنا لقضاء جزء من عطلة، وإيما تحبه بشكل فظيع.

استوعبت لوسي كل هذه المعلومات وواصلت تزويد مخبرتها بالمزيد من الشاي، وفي نهاية المطاف نهضت السيدة كيدر بتردد وقالت: يبدو أننا انسجمنا كثيراً هذا الصباح. هل تريدني مني مساعدتك في تقطيع البطاطا يا عزيزتي؟

- لقد جهزتها وانتهيت منها.

- أنت خير من ينتهي من الأشياء! أستطيع أن أخرج الآن حيث لا يوجد ما أقوم به.

غادرت السيدة كيدر المطبخ وقامت لوسي - وقد أتيح لها فائض من الوقت - بتنظيف طاولة المطبخ بالفرشاة (وهو ما كانت مشتاقة لعمله لكنها كانت تؤجله حتى لا تشعر السيدة كيدر بالذنب؛ لأنه عملٌ من اختصاصها أساساً)، ثم نظّفت الأواني إلى أن أصبحت تشع نوراً، وطهت طعام الغداء وقدمته ثم غسلت الأطباق، وفي الساعة الثانية والنصف كانت على استعداد للبدء في مهمة البحث والتنقيب. وكانت قد قامت بتجهيز عدة الشاي ووضعتها فوق الصينية مع الفطائر والخبز والزبدة بعد أن لفتها بالمناديل حتى تظل طرية.

بعد ذلك ذهبت في جولة حول حدائق المنزل (وهو ما كان إجراءً طبيعياً لكل من يراها). كانت حديقة المطبخ مزروعة ببعض الخضروات، وكانت البيوت الزجاجية مدمرة والأعشاب تغطي الممرات في كل مكان. كانت المنطقة المحيطة بالمنزل هي المكان الوحيد الذي يخلو من الأعشاب البرية ويبدو في حالة جيدة، وقد شكّت لوسي أن هذا بفعل إيما نفسها؛ فالبستاني رجل عجوز وضعيف وأصم إلى حد ما وكان يتظاهر بالعمل دون أن ينتج من عمله شيء. تحدثت لوسي معه بمرح ونشاط، وعرفت أنه يعيش في كوخ مجاور لساحة الإسطبلات الكبيرة.

كان وراء الإسطبلات طريق خلفي يتخلل الممتزّه الذي كان مسيجاً على جانبيه ويجري تحت جسر القطار ثم ينتهي في مرجة خضراء صغيرة، وكان يمر على هذا الجسر قطارٌ ذو ضجيج شديد كل بضع دقائق. راقبت لوسي القطارات وهي تبطئ سرعتها عندما

سار في هذا المنحنى الذي يدور في محيط أراضي كراكنثورب. مرت تحت الجسر حتى وصلت إلى المرجة، وبدأ ذلك الطريق قليل الاستخدام. كان على أحد الجانبين ذلك الارتفاع من الأرض الذي بُنيت عليه سكة القطار، وعلى الجانب الآخر مرتفع يحيط ببعض المباني الخاصة بأحد المصانع. سارت لوسي بمحاذاة المرجة إلى أن وصلت إلى صف من البيوت الصغيرة، وكانت تسمع عن قرب حركة المرور المزدحمة على الطريق العام. نظرت إلى ساعتها.

خرجت امرأة من أحد البيوت المجاورة فأوقفتها لوسي وقالت لها: أرجو المعذرة، هل يوجد هنا هاتف عمومي؟
- في مكتب البريد عند زاوية الطريق.

شكرتها لوسي وسارت إلى أن وصلت إلى مكتب البريد (الذي كان عبارة عن مكتب بريد ويقال في آن واحد). كان كشك الهاتف عند أحد الزوايا، وذهبت لوسي إليه وأجرت مكالمته. طلبت أن تتحدث إلى الأنسة ماربل، وردّ عليها صوت امرأة بنبرة حادة قائلة: إنها ترتاح ولن أزعجها! إنها تحتاج إلى راحة؛ فهي سيدة مسنة. من المتكلم حتى أبلغها؟

- الأنسة أيلسبارو. لا حاجة لأن تزعجها، فقط أخبرها أنني وصلت وأن كل شيء يجري بصورة حسنة وأني سأخبرها عندما يجذ أي شيء.

وضعت سماعة الهاتف ثم عادت إلى رذرفورد هول.

* * *

ذلك... في عيد الميلاد. لقد تعرضت وقتها لأعراض فظيعة حيرت الطبيب السخيف كويمبر الذي سألني الكثير من الأسئلة الخاصة على أفراد.

- الكل يصاب بعسر الهضم بين الفينة والفينة يا أبي.

- حسناً، حسناً، قولها صراحة... قل لي إنني أكلت الكثير! هذا ما تعنيه. ولماذا أكلت كثيراً؟ لأنه كان على المائدة طعام كثير، كثير جداً. إسراف وتبذير. وهذا يذكرني... أنت أيتها الشابة، لقد أرسلت خمس حبات بطاطا للغداء، وهي كبيرة الحجم أيضاً. إن حبتين من البطاطا كافيتان لأي شخص؛ لذلك لا تطبخي أكثر من أربع حبات في المستقبل. لقد أضعنا الحبة الخامسة اليوم.

- لم نضيعها يا سيد كراكثورب. كنت أعتزم استخدامها في طبق من العجة الإسبانية هذه الليلة.

قال السيد كراكثورب بعد أن خرجت لوسي ومعها صينية القهوة: فتاة بارعة عندها كل الإجابات دائماً. كما أنها تطهو جيداً... وهي فتاة أنيقة أيضاً.

أخذت لوسي آيلسبارو عصا غولف خفيفة من مجموعة العصي التي أحضرتها معها وكرة وخرجت إلى المنتزه بعد أن عبرت السياج.

بدأت تقذف الكرة في ضربات متتالية، وبعد خمس دقائق أو نحو ذلك سقطت كرة بالقرب من سكة القطار. ذهبت إلى ذلك المكان وبدأت البحث عنها، ونظرت وراءها إلى المنزل. كان بعيداً جداً ولم يكن أي شخص مهتماً بما كانت تفعله. واصلت بحثها عن

الفصل الخامس

قالت لوسي: أظن أن الأمر سيكون طبيعياً لو أنني تمرنت على لعب الغولف في المنتزه؟

أجابتها إيما كراكثورب: آه، نعم، بالتأكيد. هل تحبين الغولف؟

- لست ماهرة في اللعب لكنني أحب التمرين. إنه أسلوب تمرين أفضل من مجرد المشي.

زمجر السيد كراكثورب قائلاً: لا يوجد أي مكان تمشين فيه خارج هذا المكان... لا شيء سوى أرصفة وبعض البيوت الصغيرة البائسة كأنها غلب الثقب. يريدون أخذ أرضي لبناء مزيد من هذه البيوت، لكن هذا لن يحدث وأنا على قيد الحياة.

قالت إيما كراكثورب بلطف: اهدأ يا أبي.

- أعرف ما يفكرون فيه والذي ينتظرونه... جميعهم. سدريك وذلك الخبيث المغرور هارولد. وبالنسبة لألفرد فإنني أعجب لماذا لم يحاول التخلص مني وقتلي حتى الآن. لست واثقاً أنه لم يحاول

الكرة وهي تتظاهر بين الحين والآخر بتنفيذ ضربات على العشب. وفي عصر ذلك اليوم فتشت ما يقرب من ثلث المسافة المحاذية لسكة القطار دون أن تجد شيئاً. وهكذا قذفت بالكرة ثانية باتجاه المنزل.

وفي اليوم التالي عثرت على شيء؛ وجدت غصناً شائكاً في منتصف المرتفع المفضي إلى سكة الحديد وقد قطع، وكانت أجزاء منه متناثرة في المكان. تفحصت لوسي الشجيرة نفسها فوجدت مزقة من فراء عالقة بإحدى أشواكها. كانت المزقة بنفس لون الجذع؛ لون بني شاحب.

نظرت لوسي إليها لحظة ثم أخرجت من جيبتها مقصاً وقصتها بحذر نصفين ووضعت النصف الذي قصته في ظرف كان في جيبتها، ثم نزلت المنحدر تبحث عن أي شيء آخر. تفحصت العشب الخشن على الحقل. ظنت أن بوسعها تمييز بعض الآثار التي خلفها شخص أثناء سيره على العشب، لكنها آثار باهتة جداً وليست واضحة كأثار أقدامها هي. لا بد أنها آثار مضي عليها زمن طويل، ولم تستطع أن تتأكد إن كانت مجرد وهم من طرفها أم لا.

بدأت البحث بحرص ودقة في العشب القريب من المنحدر عند الشجيرة التي انكسر غصنها، وسرعان ما حصلت على نتيجة مجزية. وجدت علبة تجميل مرصعة من النوع الرخيص، فلفتها في منديلها ووضعتها في جيبتها. ثم بحثت وفتشت لكنها لم تعثر على أي شيء آخر.

بعد ظهر اليوم التالي ركبت سيارتها وذهبت لزيارة عمته

المريضة. قالت إيما كراكنثورب بلطف: لا تتعجلي العودة؛ فلن نحتاجك إلا عند ساعة العشاء.

- أشكرك، لكنني سأعود في الساعة السادسة على أقصى تقدير.

كان المنزل رقم ٤ في شارع مادسون بيتاً صغيراً كثيباً في شارع صغير كثيب. كانت ستائره نظيفة مزركشة، وكانت عتبة بيضاء لامعة ومقبض بابه من النحاس المصقول جيداً.

فتحت الباب امرأة طويلة القامة عابسة الوجه تلبس السواد وتجمع شعرها الرمادي في كرة ضخمة فوق رأسها. نظرت إلى لوسي بعين الارتياب وهي تأخذها إلى الأنسة ماربل.

كانت الأنسة ماربل تشغل غرفة جلوس خلفية كانت تطل على حديقة صغيرة وجميلة. كانت غرفة نظيفة مرتبة بها الكثير من قطع السجاد ومناديل المائدة والكثير من قطع الفخار الصيني وطقم أثاث كبير أنيق ونبتان داخليتان في آنيتين من فخار. كانت الأنسة ماربل على كرسي كبير قرب النار وكانت مشغولة بغزل الصوف بصنارتها.

دخلت لوسي وأغلقت الباب، وجلست على كرسي في مواجهة الأنسة ماربل، ثم قالت: حسناً؛ يبدو أنك كنت على حق! أخرجت الأشياء التي عثرت عليها وأعطتها تفصيلات عن كيفية اكتشافها.

احمرّ وجه الأنسة ماربل سروراً بهذا الإنجاز وقالت: ربما

يتوجب على المرء ألا يشعر بذلك، لكنه أمر مفرح أن يفترض شيئاً
ثم تثبت صحته!

تحسست قطعة الفراء الصغيرة بإصبعها وقالت: قالت إلسبث
إن المرأة كانت ترتدي معطف فراء فاتح اللون. أعتقد أن علبة
التجميل كانت في جيب المعطف وسقطت من الجثة أثناء تدحرجها
فوق المنحدر. لا يبدو في العلبة ما يميزها أبداً، ولكنها قد تساعدنا.
ألم تأخذي كل الفراء؟

- بل تركت نصفه على الشجيرة.

أومأت الأنسة ماربل باستحسان وقالت: عمل سليم. إنك ذكية
جداً يا عزيزتي؛ لأن الشرطة سيرغبون بالتفتيش في نفس المكان.

- هل ستذهبن إلى الشرطة... بهذه المكتشفات؟

فكرت الأنسة ماربل ثم قالت: ليس بعد... أعتقد أنه من
الأفضل العثور على الجثة أولاً. أليس كذلك؟

- بلى، ولكن أليس ذلك عملاً صعباً (حتى لو افترضنا صحة
تقديرك)؟ ألقى القاتل الجثة من القطار ثم يفترض أنه خرج في
براكها مبتن، وفي وقت معين... ربما في نفس تلك الليلة... جاء
وأبعد الجثة عن المكان. ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ ربما أخذها
بعد ذلك إلى أي مكان.

- ليس أي مكان. لا أظن أنك تابعت الأمر وصولاً إلى نتيجة
المنطقية يا عزيزتي الأنسة أيلسبارو.

- أرجو أن تنادينني لوسي. لماذا لا يكون أي مكان؟

- لأنه إن كان كذلك لكان أسهل عليه بكثير أن يقتل الفتاة
في مكان منعزل ثم يأخذ الجثة بعيداً عن ذلك المكان. أنت لم
تقدرى...

قاطعتها لوسي قائلة: هل تريدان القول إنها كانت جريمة
متعمدة... مع سبق الإصرار؟

- لم أر ذلك في البداية. من الطبيعي ألا يفترض المرء ذلك؛
فقد بدا الأمر وكأنه شجار فقد فيه الرجل السيطرة على نفسه وخنق
الفتاة ثم أصبحت أمامه مشكلة ينبغي عليه حلها خلال بضع دقائق.
ولكن في الأمر أكثر مما تتحمله المصادفة؛ إذ لا يعقل أن يقتل الفتاة
في نوبة غضب ثم ينظر خارج النافذة فيرى أن القطار ينعطف تماماً
عند نقطة كان يستطيع إلقاء الجثة فيها، وفي مكان يستطيع -فوق ذلك
كله- أن يتأكد من إمكانية قدومه لاحقاً لأخذ الجثة منه! لو أنه قد ألقى
الجثة هناك عن طريق الصدفة لكان تركها حيث هي ومضى إلى سبيله
دون أي إجراء آخر، ولكانت الجثة قد وُجدت منذ زمن طويل.

حدقت لوسي إليها فقالت متأملة: إنها طريقة ذكية جداً في
التخطيط لجريمة، وأظن أنها جريمة خطط لها بدقة وحذر شديدتين.
إن القطار يخفي شخصية القاتل، فلو قتلها في المكان الذي كانت
تعيش أو تقيم فيه، فلربما شاهده شخص وهو يأتي أو يخرج. أو
لو كان قد أخذها معه بسيارته في مكان ما من الريف، فلربما شاهد
شخص السيارة وسجل رقمها ونوعها. أما القطار فهو مليء بغرباء
بأنون ويذهبون، وفي عربة مستقلة لا يخترقها ممر كان من السهل

تماماً أن يقوم بفعلته، وخصوصاً إذا علمت أنه كان يعلم بالضبط ما الذي كان عليه عمله بعد ذلك. لا بد أنه كان يعرف كل شيء عن رذرفورد حول بموقعه الجغرافي وعزلته التي أصبح معها أشبه بجزيرة تحدها خطوط السكة الحديدية.

قالت لوسي: إنه كذلك بالضبط... إنه أثر من الماضي يعيش هذا العصر. حياة المدينة تدور حوله لكنها لا تقترب منه.

- إذن نفترض - كما قلت - بأن القاتل قد جاء إلى رذرفورد حول تلك الليلة. كان الجو معتماً عندما ألقى الجثة ولم يكن من المحتمل أن يكشفها أحد قبل اليوم التالي.

- كلا بالطبع.

- كيف جاء القاتل؟ في سيارة؟ من أي طريق؟

فكرت لوسي ثم قالت: يوجد طريق وعر بمحاذاة حائط المصنع، وربما جاء من ذلك الطريق ثم انعطف من تحت جسر القطار وسار على الطريق الخلفي. كان يستطيع تسلق السياج والسير إلى مقربة من السكة ليجد الجثة ثم يحملها معه في السيارة.

أكملت الأنسة ماربل: ثم يأخذها إلى مكان كان قد اختاره مسبقاً. لقد فكر في هذا كله، وكما قلت فإنني لا أظن أنه أخرج الجثة من رذرفورد حول، وإذا حدث ذلك فإنه لم يذهب بها إلى مكان بعيد. أظن أن الحل الواضح أمامه هو أن يدفنها في مكان ما؟

نظرت إلى لوسي نظرات تساؤل، فقالت لوسي وهي تفكر: أظن ذلك، لكن الأمر ليس بمثل هذه السهولة.

وافقتها الأنسة ماربل قائلة: ليس باستطاعته دفنها في المتنزه؛ فسيكون عملاً صعباً وشاقاً كما أنه يمكن ملاحظته. ربما دفنها في مكان كانت التربة قد قلبت فيه أصلاً. ما رأيك؟

- ربما حديقة المطبخ. لكنها قريبة جداً من كوخ البستاني. إنه عجوز وأصم... ولكن قد ينطوي الأمر - مع ذلك - على مجازفة.

هل في المكان كلب.

- لا.

- إذن في كوخ أو في أحد الإسطبلات الخارجية؟

- هذا أسهل وأسرع. يوجد هناك العديد من المباني القديمة المهجورة والزرائب الخربة وغرف الخردوات التي لا يقترب منها أي أحد. أو قد يكون ألقاها بين الأشجار والنباتات في مكان ما.

أومأت الأنسة ماربل برأسها وقالت: نعم، أعتقد أن هذا هو الأرجح.

سمعتا طرقات على الباب ودخلت فلورنس العابسة وهي تحمل صينية. قالت تخاطب الأنسة ماربل: جميل أن يكون عندك زائرة. لقد عملت لك الكعك الخاص الذي تحببته.

قالت الأنسة ماربل: إن فلورنس تعمل دائماً كعك الشاي اللذيذ.

ابتسمت فلورنس -وقد تلقت مديحاً- ابتسامة غير متوقعة ثم غادرت الغرفة.

قالت الآنسة ماربل: لا نريد أن نتحدث أكثر من ذلك عن الجريمة ونحن نشرب الشاي. إنه موضوع كرهه!

* * *

نهضت لوسي بعد شرب الشاي وقالت: سأعود الآن. كما قلت لك لا يوجد رجل في رذرفورد هول يمكن أن يكون الرجل الذي نبحث عنه. هناك رجل عجوز ضعيف فقط وامرأة في وسط العمر وبستاني عجوز أصم.

قالت الآنسة ماربل: لم أقل إنه يعيش هناك فعلياً. كل ما أعنيه أنه شخص يعرف البيت جيداً. ولكننا نستطيع البحث في هذا الموضوع بعد أن نكتشف الجثة.

- يبدو أنك واثقة تماماً من عثوري عليها. أنا لا أشعر بهذا القدر من التفاؤل.

- أنا واثقة أنك ستنجحين يا عزيزتي لوسي... إنك فتاة قديرة.

- في مجالات معينة، ولكنني لا أملك أية خبرة في البحث عن الجثث.

قالت الآنسة ماربل مشجعة: إنني واثقة أن كل ما يحتاجه الأمر هو القليل من الفطرة السليمة وحسن التقدير.

نظرت إليها لوسي وضحكت، وبادلتها الآنسة ماربل بالابتسام.

* * *

شرعت لوسي في العمل بعد ظهر اليوم التالي.

فتشت البيوت الخارجية، وقلبت النباتات والحشائش التي كانت تغطي الزرائب القديمة. وكانت تنظر إلى داخل غرفة التدفئة تحت البيت الزجاجي عندما سمعت صوت سعال جاف فالتفت لترى هيلمان، البستاني العجوز، ينظر إليها نظرات استياء.

حذرهما قائلاً: احذري يا آنسة من السقوط. هذه الدرجات ليست آمنة، وقد كنتِ قبل قليل في العلية مع أن الأرضية فيها غير آمنة أيضاً.

حرصت لوسي على ألا تبدي أي ارتباك أو حرج وقالت مبهجة: أظنك تراني شديدة الفضول، ولكنني كنت أتساءل إن كان بالإمكان الاستفادة من هذا المكان... لتربية الفطر مثلاً أو غيره. يبدو أن كل شيء قد أهمل بشكل فظيع.

- إنه بسبب السيد الذي لا يريد أن ينفق بنساً واحداً. كان يجب أن يعمل معي رجلان وصبي حتى يعود المكان إلى وضعه الصحيح، لكنه لا يطيق سماع ذلك. لقد بذلت جهدي لإقناعه بشراء آلة لجز العشب... إنه يريد مني أن أجز كل هذه الحشائش والأعشاب بيدي.

- ولكن إذا ما أصبح المكان ينتج أشياء مجزية مادياً... مع بعض الإصلاحات؟

- لا يمكن جعل هذا المكان مفيداً... أمر مستبعد، وهو غير مهم بهذا على أية حال. إنه يهتم بالادخار فقط. يعرف جيداً ما

سيحدث بعد وفاته، فأولاده سيبيعون البيت بأسرع وقت ممكن. إنهم ينتظرون وفاته، وقد سمعت أنهم سيحصلون على ثروة كبيرة من المال عندئذ.

-أعتقد أنه رجل غني جداً؟

- إنها ثروات كراكثورب الطائلة. الرجل العجوز والد السيد كراكثورب الحالي هو الذي بدأ جمع المال والثروة. كان رجلاً ذكياً في كل شيء وقد جمع ثروته وبنى هذا المكان. يقولون بأنه كان قاسي الفؤاد قوي الشكيمة ولا ينسى الإساءة أبداً. لكنه -مع كل هذا- كان سخياً كريماً ولم يكن بخيلاً. ويقولون إن أمله قد خاب في ولديه الاثنين. علمهما في أكسفورد ورباهما ليكونا رجلين محترمين، لكنهما لم يرغباً في العمل. تزوج الصغير منهما ممثلة، ثم قُتل في حادث سيارة بينما كان ثملاً. أما الأكبر -وهو الموجود هنا- فإنه لم يكن محل إعجاب والده كثيراً. كان يسافر كثيراً إلى الخارج واشترى كثيراً من التماثيل وأرسلها إلى بيته، فلم يكن بمثل هذا البخل عندما كان شاباً... كلا، لم يكونا على وفاق أبداً هو وأبوه، هذا ما سمعته.

استوعبت لوسي هذه المعلومات دون أن تبدي من الاهتمام إلا ما تقتضيه اللباقة. اتكأ الرجل العجوز على الحائط واستعد لمواصلة ثرثرته، وكان يفضل -كثيراً- الكلام على العمل.

- لقد مات الرجل العجوز قبل الحرب. كان عصبي المزاج كثيراً، وما كان ليحتمل الخطأ.

- وبعد وفاته جاء السيد كراكثورب هذا ليعيش هنا، أليس كذلك؟

- هو وعائلته، بلى. كان أولاده قد كبروا في ذلك الوقت.

- ولكن بالتأكيد... آه، فهمت، أنت تقصد الحرب الأولى في ١٩١٤.

- كلا، ما أقصده أنه مات عام ١٩٢٨.

افترضت لوسي أن «١٩٢٨» و «قبل الحرب» تعنيان نفس الأمر رغم أنها ليست الطريقة التي تصف هي بها هذا الأمر: حسناً، أظن أنك تريد مواصلة عملك. لا يجدر بي أن أعطلك أكثر من ذلك.

قال السيد هيلمان دون حماسة: لا يمكن العمل كثيراً في مثل هذه الساعة من النهار... إن الجو معتم جداً.

عادت لوسي إلى البيت، وكانت تتوقف -بين فينة وأخرى- تفتش بين الأعشاب والنباتات.

وجدت إيما كراكثورب تقف في الصالة تقرأ رسالة، فقد كان يريد المساء قد وصل لثوّه. قالت: ابن أختي سيصل هنا غداً... مع زميل دراسة له. غرفة ألكساندر هي التي تعلو الشرفة. الغرفة المجاورة لها ستكون مناسبة لجيمس ستودارت، ويمكنهما استخدام الحمام المقابل لغرفتيهما.

- نعم يا آنسة كراكثورب... سأجهز الغرفتين.

- سيصلان صباح الغد قبل الغداء. أظن أنهما سيكونان

جائعين.

- بالتأكيد. هل أصنع لهما لحماً مشوياً برأيك؟ وربما فطيرة

الدبس أيضاً؟

- ألكساندر يحب فطيرة الدبس كثيراً.

* * *

وصل الولدان صباح اليوم التالي. كانا مرتبين مؤدبين ولهما

وجهان ملائكيان. كان ألكساندر يستلي أشقر الشعر أزرق العينين،

بينما كان جيمس ستودارت أسود الشعر ويلبس نظارة.

تحدثا بهدوء أثناء الغداء حول الرياضة العالمية وأحداثها، وبين

الفينة والأخرى عن آخر روايات الفضاء. كانا كأنهما أستاذان كبيران

يناقشان موضوعات مهمة وخطيرة. وسرعان ما أتى الاثنان على قطعة

لحم الخاصرة كلها، وألحقاها بفطيرة الدبس عن آخرها.

صاح السيد كراكتشورب متذمراً: أنتما الاثنان ستأكلانني.

نظر ألكساندر إليه نظرة توبيخ وقال: ستناول الخبز والجبن

إذا كنت لا تقدر على مصاريف اللحم يا جدي.

- أقدر على مصاريفها؟ أنا أقدر، ولكني لا أحب التبذير.

قال جيمس ستودارت وهو ينظر أسفل منه (وكان المكان حوله

نظيفاً يؤكد عبارته): إننا لم نبذر شيئاً.

- لقد أكل كلُّ منكما ضعف ما أكله أنا.

أوضح ألكساندر: إننا في مرحلة النمو وبناء أجسامنا، ونحن

بحاجة إلى كميات كبيرة من البروتين.

أبدى الرجل العجوز تأفقه. وعندما غادر الولدان المائدة

سمعت لوسي ألكساندر يقول لصديقه معتذراً: لا تكثرث لكلام

جدي؛ إنه يفرض على نفسه حمية من نوع ما وهو ما يجعله غريب

التفكير... كما أنه بخيل جداً. أظن أن ذلك بسبب عقدة معينة.

قال صديقه مظهرأ استيعابه: لي عمة تعتقد دائماً أنها ستفلس،

والحق أن عندها أكواماً من الأموال. يقول الطبيب إن تلك حالة

مرضية. هل لديك كرة قدم يا أليكس؟

خرجت لوسي بعد أن نظفت المائدة وأطباق الغداء. كانت

تسمع صيحات الولدين من مكان بعيد على المرحلة، وذهبت هي في

اتجاه معاكس إلى أسفل الطريق الأمامي، ومن هناك عبرت إلى حيث

توجد بعض الأشجار المتشابكة. بدأت البحث بحذر شديد وهي

تبعد أوراق الشجر بعضها عن بعض وتُطلُّ إلى داخلها. انتقلت من

مجموعة أشجار إلى أخرى بأسلوب منظم، وكانت تفتش باستخدام

عصا الغولف عندما أجفلها صوت ألكساندر وهو يسألها بأدب: هل

تبحثين عن شيء يا آنسة أيلسبارو؟

أجابته لوسي على الفور: كرة غولف... والواقع أنها أكثر من

كرة. كنت أتدرب على رميات الغولف بعد ظهر كل يوم تقريباً وقد

فقدت عدداً كبيراً من الكرات، وأنا جادة بالبحث للعثور على بعضها

على الأقل.

قال ألكساندر: سنساعدك؟

- هذا من لطفك. كنت أظن أنكما تلعبان كرة القدم.

أوضح جيمس قائلاً: لا نستطيع مواصلة لعب الكرة، فقد حميت أجسامنا كثيراً. هل تلعبين الغولف كثيراً؟

- أحبها كثيراً، لكنني لا أحصل على كثير من الفرص للعب.

- هذا مفهوم؛ فلديك واجباتك، أليس كذلك؟

- بلى.

- هل أنت التي طهوت الغداء اليوم؟

- نعم، هل كان جيداً؟

قال ألكساندر: ممتاز جداً. إننا نأكل لحمًا سيئاً في المدرسة. إنني أحب لحم البقر عندما لا يبالغ في شوائه فيبقى أحمر من الداخل، كما أن فطيرة الدبس كانت لذيذة جداً هي الأخرى.

- يجب أن تخبراني عن الأشياء التي ترغبان في أكلها.

- هل يمكننا تناول فطيرة التفاح يوماً ما؟ إنها أكلتي المفضلة.

- بالطبع.

تهند ألكساندر مسروراً وقال: توجد عدة غولف تحت الدرج. نستطيع تثبيتها على المرجة ثم نقوم ببيع الرميات، ما رأيك يا جيمس؟

أجابه الفتى محاولاً تقليد اللهجة الأسترالية: جيد!

أوضح ألكساندر بأدب: إنه ليس أستراليا، لكنه يتدرب على اللهجة الأسترالية عسى أن يأخذه أهله إلى أستراليا لمشاهدة دورة ألعاب رياضية.

ذهبا لإحضار عدة الغولف بعد أن شجعتهما لوسي على ذلك. وبعد ذلك، وعندما كانت عائدة إلى البيت وجدتهما يضعانها على المرجة ويتجادلان على موقع الأرقام.

قال جيمس: لا نريدها مثل الساعة، فهذه طريقة طفولية. نريد أن نجعلها كمضمار الغولف تماماً بحفر طويلة وقصيرة. للأسف فإن الأرقام قد علاها الصدا ولا يكاد المرء يراها.

قالت لوسي: تحتاج إلى طلاء أبيض. يمكنكما إحضار طلاء في الغد لدهانها.

أشرق وجه ألكساندر وهو يقول: فكرة جيدة. أظن أن في حظيرة الماشية بعض علب الطلاء القديمة من مخلفات الدهانين الذين عملوا هنا في العطلة الأخيرة. هل نذهب لنرى؟

سأله لوسي: أية حظيرة هذه؟

أشار ألكساندر إلى مبنى حجري طويل يبعد عن المنزل قليلاً بجانب الطريق الخلفي وقال: إنه مبنى قديم جداً. يقول جدي بأنه من العهد الإليزابيثي، لكن هذا من باب الغرور فقط. كان يعود للمزرعة التي كانت هنا في الأصل قبل بناء البيت، وقد هدمها جدّ والدي وبني هذا البيت الفظيع بدلاً منها.

ثم أضاف: يوجد في هذه الحظيرة الكثير من أغراض جدي.
الأشياء التي أرسلها من الخارج عندما كان شاباً، ومعظمها فظيع
جداً أيضاً... تعالي معنا لنرى.

مضت لوسي معهما طائعة.

كان للحظيرة باب كبير من خشب البلوط دقت به مسامير
ضخمة. رفع ألكساندر يده وأخذ مفتاحاً كان موجوداً في أعلى الباب.
وضع المفتاح في القفل وفتحه، ثم دخلوا جميعاً.

أحست لوسي -من الوهلة الأولى- أنها دخلت متحفاً سيئاً
جداً. كان ينظر إليها رأساً إمبراطورين رومانيين من الرخام من عيين
متفخخين، وكان يوجد تابوت حجري ضخيم من العصر الروماني
الإغريقي، وتمثال لفينوس وهي تتكلف الابتسامة حيث كانت تقف
على حامل وهي ممسكة بثوبها المسدل. وإلى جانب هذه التحف
والتماثيل كانت هناك طاولتان وبعض الكراسي المرصوفة وأشياء
وعدد مختلفة مثل جزازة يدوية صدئة وسطرين ومقعدي سيارة
أكلتهما العثة، ومقعد حديقة مطلبي بالطلاء الأخضر كان قد فقد
ساقاً من سيقانه.

قال ألكساندر: أعتقد أنني رأيت الدهان هناك.

ذهب إلى أحد الزوايا وسحب -جانباً- ستارة من قماش كانت
تحمي هذه الزاوية.

وجدوا علبي دهان ولكن لم يعثروا على أي فرشاة. قالت
لوسي: إنكما بحاجة إلى فرشاة.

اقترح الولدان الذهاب على الدراجة الهوائية لشراء الفراشي،
وشجعتهما لوسي على ذلك. رأت أن طلاء أرقام لعبة الغولف
سيشغلها لبعض الوقت. وانطلق الولدان وتركها في الحظيرة.

قالت للولدين قبل ذهابهما: "هذه الحظيرة تحتاج فعلاً إلى
تنظيف". ونصحها ألكساندر قائلاً: ما كنت ساهتم لذلك. يمكن
تنظيفها إذا كانت ستستخدم لأي شيء، لكنها لا تستخدم في مثل
هذا الوقت من العام.

- هل أعلق المفتاح خارج الباب مرة أخرى؟ هل هذا هو
مكانه؟

- نعم. لا شيء يستحق السرقة من هنا. لا أحد يريد هذه
التماثيل الرخامية الفظيعة، وعلى أية حال فهي ترن أطناناً.

وافقت لوسي. لم يعجبها ذوق السيد كراكنشورب في الفن،
وبدا لها أنه صاحب نظرة لا تخيب في اختيار أسوأ العينات من كل
عصر.

وقفت تنظر حولها بعد أن ذهب الولدان. وقعت عيناها على
التابوت الحجري وظلت تنظر إليه.

ذلك التابوت...

كان الهواء داخل الحظيرة عفناً وكان المكان لم تتم تهويته منذ
فترة طويلة. ذهبت إلى حيث التابوت، كان غطاؤه محكماً ثقيلًا.
نظرت لوسي إليه نظرات تأمل. ثم غادرت الحظيرة فذهبت إلى
المطبخ وعادت بعنلة ثقيلة.

لم تكن مهمة سهلة لكن لوسي بذلت جهداً كبيراً لفتح التابوت.
وشيناً فشيئاً بدأ غطاء التابوت يرتفع بواسطة العتلة.
ارتفع الغطاء بما سمح للوسي أن ترى ما بداخله...

* * *

الفصل السادس

بعد بضع دقائق غادرت لوسي الحظيرة شاحبة اللون وأغلقت الباب ثم وضعت المفتاح فوق الباب.

ذهبت إلى الإسطبلات بسرعة وأخرجت سيارتها وقادتها في الطريق الخلفي. وقفت عند مكتب البريد في نهاية الطريق، وذهبت إلى حيث الهاتف العمومي فوضعت قطعة نقدية فيه وضربت الرقم.

- أريد التحدث إلى الأنسة ماربل.

- إنها ترتاح يا آنسة... هل أنت الأنسة آيلسبارو؟

- نعم.

- لن أزعجها مهما كان الأمر يا آنسة. إنها عجوز وتحتاج إلى راحة.

- يجب أن ترعجها... الأمر ملح.

- لن...

- أرجوك أن تفعلني ما أقوله فوراً.

كان صوت لوسي يغدو صلباً حاسماً حين تريد ذلك، وعرفت فلورنس خطورة الأمر. وعلى الفور كانت الأنسة ماربل تتحدث معها: نعم يا لوسي؟

أخذت لوسي نفساً عميقاً وقالت: كنت على حق تماماً. لقد وجدتها.

- جثة امرأة؟

- نعم. امرأة ترتدي معطفاً من فراء. إنها في تابوت حجري داخل حظيرة أشبه بالمتحف قرب المنزل. ما الذي تريدني مني عمله؟ أظن أن عليّ أن أبلغ الشرطة.

- نعم، يجب أن تبلغني الشرطة فوراً.

- ولكن ماذا عن بقية الأمر؟ ماذا عنك؟ أول ما سيريدون معرفته هو سبب محاولتي رفع ذلك الغطاء الذي يزن طناً دون سبب واضح. هل تريدني مني اختراع سبب؟ أستطيع ذلك.

- لا، أظن أن أفضل ما يمكنك فعله هو أن تخبريهم بالحقيقة كاملة.

- بخصوصك؟

- بخصوص كل شيء.

ارتسمت على وجه لوسي ابتسامة أزاحت عنها الشحوب. قالت: هذا بسيط بالنسبة لي. لكن أظن أنهم لن يصدقوا!

وضعت السماعة وانتظرت لحظة ثم اتصلت بمركز الشرطة. قالت: لقد اكتشفت لتوي جثة داخل تابوت حجري في حظيرة ماشية في رذرفورد هول.

- ما هذا الذي تقولينه؟

أعادت لوسي كلامها، واستبقت السؤال التالي فأعطته اسمها.

عادت بسيارتها إلى المنزل ووضعت سيارتها بعيداً ودخلت البيت. وقفت في الصالة تفكر لبعض الوقت، ثم أومأت برأسها إيماءة قصير حادة وذهبت إلى المكتبة حيث كانت الأنسة كراكتشورب جالسة تساعد والدها في حل الكلمات المتقاطعة في صحيفة التايمز.

- هل أستطيع أن أتحدث إليك لحظة يا آنسة كراكتشورب؟

رفعت إيما بصرها وقد ارتسم على وجهها شيء من الخشية والترقب، ورأت لوسي أن خشيتها كانت عادية لا تذهب أبعد من شؤون المنزل.

قال العجوز كراكتشورب: حسناً، تكلمي يا فتاة، تكلمي.

قالت لوسي تخاطب إيما: أريد الحديث معك على انفراد، من فضلك.

رد عليها السيد كراكتشورب: هراء. قولي صراحة هنا ما تريدني قوله.

- لحظة واحدة من فضلك يا أبي.

قال العجوز غاضباً: كله هراء يمكن تأجيله.

قالت لوسي: أخشى ألا يكون بالإمكان تأجيله.

- يا لها من وقاحة!

خرجت إيما إلى الصلاة. تبعثها لوسي وأغلقت الباب وراءها.

قالت إيما: نعم؟ ما الأمر؟ إن كنت تعتقدين أن العمل كثير بسبب الولدين فيمكنني مساعدتك و...

- ليس هذا أبداً. لم أرد أن أتكلم أمام والدك لأنني فهمت أنه

رجل مريض وقد يصاب بصدمة. باختصار، لقد اكتشفت امرأة قتيلة في ذلك التابوت الكبير داخل الحظيرة.

حدقت إيما إليها وقالت: في التابوت؟ امرأة مقتولة؟

مستحيل!

- بل هو صحيح تماماً. لقد اتصلت بالشرطة، وسيكونون هنا

في أية لحظة.

احمرت وجنتا إيما وقالت: كان يجب أن تخبريني أولاً... قبل

إبلاغ الشرطة.

- أنا آسفة.

قالت إيما وهي تنظر إلى الهاتف الموجود على طاولة الصلاة:

لم أسمعك تتحدثين...

- لقد اتصلت من مكتب البريد أسفل الطريق.

- لكنه أمر غريب. لماذا لم تتصلي من هنا؟

فكرت لوسي بسرعة وقالت: كنت أخشى أن يكون الأولاد

قريباً مني... وقد يسمعون إذا ما اتصلت من هذه الصلاة.

- فهمت... نعم، فهمت. إنهم قادمون... أعني الشرطة، أليس

كذلك؟

- ها قد وصلوا الآن.

* * *

قال المفتش بيكون: أنا آسف جداً لأنني طلبت منك ذلك.

أخذ المفتش إيما كراكتشورب من ذراعها إلى خارج الحظيرة.

كانت شاحبة الوجه وبدت مريضة لكنها كانت تمشي بخطوات ثابتة.

قالت: أنا متأكدة تماماً من أنني لم أر هذه المرأة في حياتي أبداً.

- نحن شاكرون لك كثيراً يا سيدتي. هذا كل ما أردت معرفته.

هل تودين أن تستريحي؟

- يجب أن أذهب إلى والدي. لقد اتصلت بكويمبر حالما

سمعت عن هذا والطبيب معه الآن.

خرج الدكتور كويمبر من المكتبة وهم يعبرون الصلاة. كان

رجلاً طويل القامة لطيفاً وصاحب أسلوب ساخر مرتجل طالما أثار

إعجاب مرضاه.

تبادل التحية مع المفتش. قال سيكون: لقد قامت الأنسة كراكثورب بمهمة عسيرة بشجاعة فائقة.

قال الطبيب وهو يربت على كتفها: حسناً فعلت يا إيما. تستطيعين التصرف دائماً... حسناً، أبوك بخير. اذهبي وتحديثي معه قليلاً ثم اشربي كأساً من العصير، هذه هي وصفتي لك.

ابتسمت له إيما بامتنان ودخلت المكتبة.

قال الطبيب وهو ينظر إليها: هذه المرأة لطيفة... أشعر بشديد الأسف لأنها لم تتزوج، وكانت ستنجح في حياتها زوجة وأماً لو تزوجت. هذه هي ضريبة كونها الأنثى الوحيدة في عائلة من الرجال.

قال المفتش سيكون: أظن أنها تحب أباه كثيراً.

- إنها لا تحبه حقاً لهذه الدرجة، لكنها تملك -شأن بعض النساء- تلك الغريزة التي تجعل المرأة تسعد الرجال من أهل بيتها. إنها ترى أن والدها يحب أن يكون مريضاً لذلك فإنها تتركه لمرضه... ونفس هذا السلوك مع إخوتها. يشعر أخوها سدريك بأنه رسام جيد فتقبل ذلك منه، وذاك الذي اسمه هارولد... يعرف إلى أي حد تعتمد على آرائه السديدة. وهي تترك ألفرد يدهشها بقصصه عن صفقاته الذكية. آه، نعم. إنها امرأة ذكية. حسناً، هل تريدني لأي شيء؟ أتريد مني إلقاء نظرة على الجثة بعد أن قام جونستون، طبيب الشرطة، بواجبه تجاهها لأرى إن كان ذلك بسبب خطأ طبي مني؟

- نعم، أريدك أن تلقي نظرة عليها يا دكتور. نريد التعرف على

هويتها. أعتقد أن ذلك مستحيل بالنسبة للسيد كراكثورب فرويتها ستسبب له صدمة شديدة، أليس كذلك؟

- صدمة؟ هراء. إنه لن يغفر لك أو لي أبداً إذا لم تسمح له بإلقاء نظرة عليها. سيكون متلهفاً لرؤيتها؛ فهذا أكبر حدث مشير يواجهه منذ خمسة عشر عاماً. كما أن الأمر لن يكلفه شيئاً!

- إذن فمرضه ليس خطيراً؟

- إنه في الثانية والسبعين من عمره؛ هذه هي مشكلته في الواقع. إنه يعاني من الروماتيزم، ومن لا يعاني في مثل سنه؟ وهو يسميه التهاب المفاصل. ويعاني من سرعة دقات قلبه بعد تناول الوجبات ويعزو ذلك إلى مرض بالقلب، لكنه يستطيع دوماً أن يفعل ما يريد! عندي كثير من المرضى مثله فيما المرضى الحقيقيون يصرون -بعناد- على أنهم بصحة جيدة. هيا نذهب لنرى جثتك هذه. أظنها في وضع كريه؟

- جونستون يقدر أنها ماتت قبل أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

- إذن فهي كريهة جداً.

وقف الطبيب قرب التابوت ونظر أسفل منه بفضول صريح دون أن تطرف له عين. قال: لم أرها من قبل أبداً... ليست من مرضاي، ولا أذكر أنني رأيته في براكهامبتن من قبل. لا بد أنها كانت امرأة جميلة. لا شك أن شخصاً قد قتلها.

ثم خرجا إلى الهواء الطلق. رفع الدكتور كويمبر بصره إلى

المبنى وقال: جثة ملقاة في حظيرة الماشية... في تابوت حجري.
غريب! من الذي وجدها؟

- الآنسة لوسي آيلسبارو.

- آه، آخر طراز من الخادومات! وما الذي كانت تفعله داسّة
أنفها في التوابيت؟

قال المفتش سيكون عابساً: هذا بالضبط ما سوف أسألها عنه.
والآن بخصوص السيد كراكتشورب... هل تسمح؟

- سأحضره فوراً.

جاء السيد كراكتشورب متلفعاً في وشاحه يسير بخطوات سريعة
وإلى جانبه الطبيب. قال: أمرٌ مخزٍ... مخزٍ جداً! لقد أحضرت ذلك
التابوت من فلورنسا عام ١٩٠٨ أو ١٩٠٩.

حذره الطبيب قائلاً: تمالك نفسك الآن؛ لن يكون المشهد
جميلاً.

- عليّ أن أقوم بواجبي بغض النظر عن مقدار مرضي.

كانت تلك الزيارة القصيرة جداً للحظيرة كافية تماماً. خرج
السيد كراكتشورب إلى الهواء الطلق مرة أخرى بخطوات سريعة
ملحوظة. قال: لم أرها من قبل في حياتي أبداً! ماذا يعني هذا؟ أمر
مخزٍ جداً. لم يكن من فلورنسا... لقد تذكرت الآن. أحضرته من
نابولي. قطعة جميلة جداً... ثم تأتي امرأة حمقاء وتسمح لنفسها أن
تقتل فيه!

أمسك بطرف ثنايا معطفه عند الجانب الأيسر وقال: هذا كثير
عليّ. قلبي... أين إيما؟ دكتور...

أمسك الدكتور كويمبر به من ذراعه وقال: "لا بأس عليك،
سأعطيك دواء مهدئاً". وعادا معاً إلى البيت.

* * *

- سيدي، أرجوك يا سيدي.

التفت المفتش بكون. كان الولدان قد وصلا لاهتين على
دراجتيهما، وكانت اللهفة بادية على وجهيهما.

- أرجوك يا سيدي، هل نستطيع رؤية الجثة؟

قال المفتش بكون: كلا، لا يمكنكما.

- آه، أرجوك يا سيدي... أرجوك. من يدري؟ فقد نعرف من
تكون. آه، أرجوك يا سيدي، هذا ليس بالعدل. إنها جريمة قتل في
حظيرتنا... وهي فرصة قد لا تتكرر ثانية. أرجوك... كن ذا روح
رياضية يا سيدي.

- من أنتما؟

- أنا ألكساندر إيسلي، وهذا صديقي جيمس ستودارت.

- هل رأيتما امرأة شقراء ترتدي معطف فراء فاتح اللون في
أي مكان هنا؟

قال ألكساندر بذكاء: لا أتذكر بالضبط، ولكن إذا رأيتموها...

قال المفتش سيكون للشرطي الذي يقف قرب باب الحظيرة:
أدخلهما يا ساندروز؛ فالمرء لا يكون صغيراً إلا مرة واحدة!

فرح الولدان وقالوا: آه. شكراً لك يا سيدي، شكراً لك. إنه
لطف منك يا سيدي.

التفت بيبكون إلى البيت وقال يحدث نفسه عابساً: والآن، إلى
الآنسة لوسي آيلسبارو!

* * *

بعد أن أخذت لوسي الشرطة إلى الحظيرة وأعطت شهادة
مختصرة عن أعمالها انشغل رجال الشرطة بأمور أخرى، ولكنها
كانت تعلم أن الشرطة لم ينتهوا من التحقيق معها بعد.

كانت قد أنهت إعداد البطاطا للقلي مساءً عندما قيل لها بأن
المفتش بيبكون يطلب حضورها. وضعت طبق الماء البارد والملح
جانباً وبه شرائح البطاطا، ولحقت بالشرطي إلى حيث كان المفتش
ينتظرها. جلست وانتظرت أسئلته رابطة الجأش.

أعطت اسمها وعنوانها في لندن ثم أضافت: سأعطيك بعض
أسماء وعناوين من يمكنهم أن يعطوك معلومات عني.

كانت الأسماء مرموقة جداً. أدميرال في البحرية، وعميد كلية
في أكسفورد، وسيدة في البلاط البريطاني. ولقد تأثر المفتش بيبكون
بمعارفها رغماً عنه.

- والآن يا آنسة آيلسبارو، ذهبت إلى الحظيرة بحثاً عن بعض

الدهان. هل هذا صحيح؟ وبعد أن وجدت الدهان أحضرت عتلة
وفتحت غطاء التابوت هذا ووجدت الجثة.

- بل كنت أبحث عن جثة.

- كنت تبحثين عن جثة... ووجدتها! ألا ترين هذه رواية غريبة
جداً؟

- بلى، إنها رواية غريبة. ولكن أرجو أن تسمع لي بشرح
الأمر لك.

- من الأفضل لك - بالتأكيد - أن تفعل ذلك.

أعطته لوسي وصفاً كاملاً للأحداث التي قادت بها إلى اكتشافها
المثير هذا. واختصر المفتش إفادتها بصوت غاضب: لقد استخدمت
امرأة عجوز لكي تحصل علي عمل هنا وتبحثني في البيت والأرض
المحيطة فيه عن جثة؟ هل هذا صحيح؟

- نعم.

- من هي السيدة العجوز هذه؟

- الآنسة جين ماربل. إنها تعيش في الوقت الحالي في المنزل
رقم ٤ بشارع ماديسون.

سجل المفتش التفاصيل في دفتره وقال: وهل تتوقعين مني
تصديق هذه القصة؟

قالت لوسي بهدوء: ربما لا، إلا بعد أن تقابل الآنسة ماربل
لتحصل منها على تأكيد لها.

- سأقابلها دون شك... لا بد أنها معتوهة.

امتنعت لوسي عن الإشارة إلى أن ما ثبت من صحة نظرية المرأة لا يدل أبداً على ضعفٍ في قدراتها العقلية، وبدلاً من ذلك قالت: ما الذي تنوي قوله للآنسة كراكتشورب؟ أعني بخصوصي؟

- لماذا تسالين؟

- لقد قمتُ بوظيفتي حسبما طلبته الآنسة ماربل مني ووجدت الجثة التي كانت تبحث عنها، ولكنني ما زلت أعمل لدى الآنسة كراكتشورب، وفي البيت ولدان جائعان، وقد يأتي المزيد من أفراد العائلة قريباً بعد كل هذه الضجة؛ لذلك فهي تحتاج إلى مساعدة في المنزل. إذا ذهبت وقلت لها بأنني أخذت هذه الوظيفة لمجرد البحث عن جثث فقط فإنها سوف تطردني، أما إذا أغفلت الأمر فإنني أستطيع مواصلة عملي ومساعدتها.

نظر إليها المفتش بإمعان وقال: لن أقول شيئاً لأحد في الوقت الحالي. أنا لم أتحقق من أقوالك بعد... وربما كنت تختلفين كل هذا.

نهضت لوسي وقالت: شكراً لك. إذن سأعود الآن إلى المطبخ لأقوم بعملتي.

* * *

الفصل السابع

إذن فأنت ترى -يا بيكون- أن علينا إبلاغ سكوتلانديارد بهذا الأمر؟

كان رئيس الشرطة ينظر إلى المفتش بيكون متحيراً. كان رجلاً قوياً ضخماً الجسم، وكان أسلوبه كلامه يدل على رجل سئم تماماً من البشرية.

قال المفتش: "لم تكن المرأة من أهل المنطقة يا سيدي، وملابسها تدعو إلى الاعتقاد بأنها قد تكون امرأة أجنبية". ثم أسرع يقول: لن أعلن ذلك الآن بالطبع. سنبيه طي الكتمان إلى حين انتهاء جلسة التحقيق.

أوما رئيس الشرطة برأسه وقال: أظن أن جلسة التحقيق ستكون شكلية تماماً.

- نعم يا سيدي. لقد رأيت قاضي التحقيق.

- ومتى سيكون التحقيق؟

- غداً. علمت أن أفراد عائلة كراكتشورب الآخرين سيأتون إلى

هنا لحضور الجلسة. توجد فرصة بأن يتعرف إليها واحد منهم... كلهم سيكونون هنا.

نظر إلى قائمة أسماء كان يحملها بيده وقال: هارولد كراكثورب، وهو شخصية معروفة في المدينة... شخصية مرموقة كما فهمت. ألفرد... لا أعرف ماذا يفعل بالضبط. سدريك، الرجل الذي يعيش في الخارج... يرسم!

قال المفتش عبارته الأخيرة هذه بشرة فيها اشمزاز واضح. ابتسم رئيس الشرطة وقال: هل من سبب للاعتقاد بأن عائلة كراكثورب مرتبطة بالجريمة؟

- لا، باستثناء حقيقة وجود الجثة في بيتهم. إن ما يحيرني هو هذا الهراء الغريب بخصوص القطار.

قال رئيس الشرطة: "آه، نعم. لقد ذهبت لرؤية هذه السيدة العجوز التي تُدعى...". نظر إلى المفكرة أمامه على الطاولة وأضاف يقول: الأنسة ماربل؟

- نعم يا سيدي، وهي واثقة تماماً بخصوص هذا كله. لا أدري إن كانت مجنونة أم لا، لكنها تصر على روايتها بخصوص ما شاهدته صديقتها وبقية هذه القصة. وحسبما جرى، أعتقد أنه كلام تخترعه السيدات العجائز في العادة ويصدقن، من قبيل رؤية الأطباق الطائرة في الحديقة، والعملاء الروس في المكتبة، ولكن يبدو واضحاً تماماً أنها استخدمت -بالفعل- هذه الشابة وطلبت منها البحث عن جثة... وهو ما فعلته الفتاة.

- ووجدتها! إنها قصة ملفنة للنظر حقيقة. إن اسم الأنسة ماربل، جين ماربل، يبدو لي مألوفاً إلى حد ما... على أية حال سأذهب إلى سكوتلانديارد. أعتقد أنك على حق عندما قلت إنها ليست جريمة محلية، رغم أننا لن نعلن هذه الحقيقة. وفي الوقت الحالي لن نخبر الصحافة إلا بالقليل.

* * *

كان التحقيق شكلياً جداً. لم يتقدم أحد للتعرف على صاحبة الجثة، وقد استُدعيت لوسي للإدلاء بشهادتها حول اكتشاف الجثة وقدم التقرير الطبي عن سبب الوفاة... الخنق. ثم تم تأجيل الإجراءات.

كان الجو بارداً جداً عندما خرجت عائلة كراكثورب من القاعة التي عقد فيها التحقيق. كان هناك خمسة منهم: إيما وسدريك وهارولد وألفرد وبراين إيستلي زوج إدث المتوفاة.

وكان هناك أيضاً السيد ويمبورن، الشريك الأكبر لشركة المحاماة التي تتولى قضايا أسرة كراكثورب القانونية، وقد جاء من لندن خصيصاً لحضور التحقيق، ووقفوا جميعاً على الرصيف يرتجفون من البرد. تجمعهم حولهم جمع كبير من الناس، فقد نُشرت تفصيلات كاملة عن «الجثة التي عُثر عليها في التابوت» في صحف لندن والصحف المحلية.

بدأ الناس يتهايمسون: "هؤلاء هم..."، فقالت إيما بحدة: هيا نهرب بسرعة.

توقفت سيارة الديملر الكبيرة المُستأجرة عند حافة الطريق
فركبتها إيماء وأشارت إلى لوسي بالركوب معها. تبعها السيد ويمبورن
وسدريك وهارولد. قال برايان: "سأخذ معي ألفرد في حافلتي
الصغيرة". وأغلق السائق الباب واستعد للانطلاق.

صاحت إيماء: توقف... ها هما الولدان!

كانوا قد تركوا الولدين في المنزل بالرغم من احتجاجاتهما،
ولكنهم وجدوهما الآن أمامهم يضحكان ملء شديهما. قال جيمس:
جئنا على دراجتينا وكان الشرطي لطيفاً جداً وسمح لنا بالدخول
والجلوس في آخر القاعة. أرجو ألا تمانعي يا آنسة كراكثورب.

قال سدريك نيابة عن أخته: إنها لا تمانع. أظن أن هذا أول
تحقيق تحضرانه؟

قال ألكساندر: كان مخيباً للآمال؛ كل شيء انتهى بسرعة.

قال هارولد غاضباً: "لا نستطيع البقاء هنا نتحدث؛ فحولنا
أناس كثيرين". وبإشارة منه انطلق السائق بهم بعيداً.

قال سدريك: كل شيء انتهى بسرعة! هذا ما يظنه هذان
الطفلان البريثان... إننا ما نزال في البداية.

قال هارولد: إنه أمر مؤسف، مؤسف جداً. افترض أن...

نظر إلى المحامي ويمبورن الذي زم شفثيه الرفيعتين وهز رأسه
باستياء وقال: أمل أن تتضح المسألة كلها على النحو الذي يرضينا.

لقد أثبت الشرطة كفاءة عالية، ومع ذلك كان أمراً مؤسفاً كما قال
هارولد.

نظر وهو يتكلم إلى لوسي وكانت نظراته تدل على استياء
واضح، وكأنه كان يريد أن يقول: لولا هذه الشابة وتدخلها في أمور
لا تعنيها... لما حدث شيء من هذا.

وقد أفصح هارولد كراكثورب عن هذا المعنى أو ما يقرب
منه حين قال: بالمناسبة يا آنسة... آيلسبارو، ما الذي جعلك تنظرين
إلى داخل ذلك التابوت؟

كانت لوسي قد تساءلت متى ستخطر هذه الفكرة على بال أحد
أفراد العائلة. كانت تعرف أن الشرطة سيسألونها عن ذلك قبل كل
شيء، والذي أدهشها أن أحداً غير الشرطة لم يسألها ذلك السؤال
حتى تلك اللحظة.

نظر إليها سدريك وإيماء وهارولد والسيد ويمبورن جميعاً.

كان طبيعياً أن يكون ردّها جاهزاً منذ فترة طويلة. قالت بصوت
متردد: الحق أنني لا أكاد أعرف... لقد شعرت أن المكان كله بحاجة
إلى تنظيف وترتيب. وكانت هناك رائحة غريبة جداً وكريهة.

كانت تعتمد (اعتماداً في محله) على الاشتمزاز الفوري الذي
سيبيده الجميع من هذه الفكرة.

قال السيد ويمبورن هامساً: نعم، نعم، بالطبع. قال طبيب
الشرطة إن المرأة مقتولة منذ ثلاثة أسابيع تقريباً... أعتقد أننا يجب
أن نحاول نسيان هذا الأمر.

ابتسم مشجعاً في وجه إيما الذي غدا شاحباً جداً، وقال: تذكرني أن هذه المرأة البائسة الميتة ليس لها أي علاقة بأي واحد منا.

قال سدريك: آه، لكنك لا تستطيع أن تتأكد من هذا.

نظرت لوسي آيلسبارو إليه باهتمام. كان قد أثار اهتمامها الشديد أصلاً ذلك الاختلاف الكبير بين الإخوة الثلاثة.

كان سدريك رجلاً ضخماً الجسم ذا وجه أضناه التعب وشعر أسود أشعث، وكان مرحاً. وقد وصل من المطار دون أن يحلق لحيته، ورغم أنه حلق لحيته استعداداً للتحقيق إلا أنه ما زال يرتدي الثياب التي وصل بها، وكانت تبدو الثياب الوحيدة التي يمتلكها؛ وهي عبارة عن بنطال قديم رمادي اللون وسترة مرقعة بالية... كان يبدو بوهيمياً ويفتخر بذلك.

أما أخوه هارولد فعلى العكس من ذلك، كان صورة مثالية لرجل المدينة المحترم ولمدير شركات مهمة. كان طويل القامة رشيقاً، أسود الشعر أصلع قليلاً عند الصدغين وله شارب أسود صغير ويرتدي بذلة داكنة أنيقة وربطة عنق رمادية جميلة. كان يبدو كما هو، رجل أعمال ذكياً ناجحاً.

قال بصلاصة: الحق يا سدريك أن هذه تبدو ملاحظة لا داعي لها أبداً.

- ألا تفهم السبب؟ كانت في حظيرة منزلنا في نهاية الأمر. لماذا جاءت إلى هنا؟

تنحى السيد ويمبورن وقال: قد يكون لقاء غرامياً. فهمت أن

أهل المنطقة جميعاً يعرفون أن مفتاح الحظيرة معلق على مسمار فوق الباب.

كانت نبرته تدل على غضبه بسبب الإهمال الذي يدل عليه هذا الإجراء، وكان ذلك من الوضوح بحيث جعل إيما تعتذر قائلة: بدأ ذلك أثناء الحرب... من أجل إيواء مراقبي الغارات الجوية، وكان فيها موقد صغير لكي يحضروا القهوة عليه. وبعد ذلك، وحيث أنه لم يكن في الحظيرة ما يغري أحداً بأخذه، فقد ظللنا على عادتنا نترك المفتاح معلقاً على الباب.

ثم توقف صوتها. كانت قد تكلمت بطريقة آلية تفسر الموقف دون اهتمام وكأن عقلها في مكان آخر.

نظر سدريك إليها نظرة سريعة متحيرة وقال: أنت متضايقة يا أختي. ما الأمر؟

تكلم هارولد غاضباً: أف لك يا سدريك، وهل يحتاج الأمر إلى سؤال؟

- نعم، يحتاج إلى سؤال. إذا سلمنا أن هذا الحادث قد أصاب إيما بالصدمة في ذلك الوقت... مع أن إيما امرأة واعية دائماً، فإنني لا أرى سبباً يدعوها إلى القلق الآن. ما الأمر؟ إن المرء يعتاد على كل شيء.

قال هارولد لاذعاً: بعض الناس يستغرقون وقتاً طويلاً حتى يعتادوا فكرة القتل أكثر مما تستغرقه أنت. أظن أن جرائم القتل تعتبر شيئاً تافهاً في جزر مايوركا و...

- إبيزا وليس مايوركا.

- نفس الشيء.

- أبدأ، إنها جزيرة مختلفة تماماً.

واصل هارولد حديثه قائلاً: ما أعنيه هو أنه رغم أن جريمة القتل ربما تكون حدثاً يومياً عادياً بالنسبة لك، وأنت بين ظهرائي شعب لا يتني ذي دماء حارة، إلا أننا -في إنكلترا- نأخذ مثل هذه الأشياء على محمل الجد.

ثم أضاف وقد ازداد غضبه: والحق يا سديرك أن ظهورك في جلسة تحقيق عامة بهذه الثياب...

قاطعه سديرك قائلاً: وما العيب في ثيابي؟ إنها مريحة.

- إنها غير مناسبة.

- على أية حال فهي الملابس الوحيدة التي أحضرتها معي. إنني لا أحزم صندوق أمتعة عندما أهرع إلى البيت مسرعاً لكي أقف إلى جانب عائلتي في هذا الوقت، وأنا رسام... والرسامون يحبون أن تكون ثيابهم مريحة.

- إذن فأنت ما تزال تحاول الرسم؟

- اسمع يا هارولد، عندما تقول بأنني أحاول الرسم...

تنحني السيد ويمبورن بأسلوب الأمر النهائي ثم قال بشيء من التوبيخ: لا فائدة من هذا النقاش. أرجو أن تقولي لي يا أنسة إيما إن

كنت أستطيع خدمتك بأي شيء آخر قبل عودتي إلى المدينة؟

كان لذلك التوبيخ تأثيره. أسرع إيما كراكشورب تقول: لقد تفضلت علينا كثيراً بقدومك إلى هنا.

- أبدأ. كان مطلوباً قدوم شخص إلى التحقيق لمراقبة الإجراءات التي تتم نيابة عن العائلة. لقد رتبت مقابلة مع المفتش في البيت، ولا شك عندي أن كل شيء سيُضح قريباً رغم ما أثاره هذا الأمر من أسى. ولا يساورني -في قرارة نفسي- كثير من الشك حول طبيعة ما حدث. وكما أخبرتنا فإن أهل المنطقة يعرفون وجود مفتاح الحظيرة معلقاً على الباب الخارجي، ويبدو محتملاً جداً أن المكان كان يستخدم للقاءات الغرامية بين عشاق أهل المنطقة. لا شك أنه حدثت مشاجرة فقد فيها شاب السيطرة على أعصابه فقتلها، وبعد أن أربعه ما فعله رأى الثابوت الحجري وأدرك أنه سيكون مكاناً مناسباً لإخفاء الجثة فيه.

فكرت لوسي في نفسها قائلة: نعم، إنه يبدو تفسيراً مقبولاً تماماً... هذا ما يمكن أن يتبادر إلى ذهن المرء.

قال سديرك: تقول عاشقين من القرية... و لكن أحداً من المنطقة لم يستطع التعرف على الفتاة.

- الوقت مبكر الآن. لا شك أننا ستتعرف على صاحبة الجثة قريباً، ومن الممكن -بالطبع- أن يكون الرجل القاتل من أهل المنطقة بينما الفتاة من مكان آخر. إن براكهامبتن بلدة كبيرة، وقد ازداد حجمها كثيراً خلال السنوات العشرين الماضية.

عارضه سدريك قائلاً: لو كنت فتاة تريد لقاء حبيبها لما أطقْتُ أن
ياخذني إلى حظيرة باردة جداً في مكان مهجور بعيد عن المدينة. كنت
سأكتفي ببعض الوقت في دار سينما، أليس كذلك يا آنسة آيلسبارو؟

سأله هارولد شاكياً: أتوجد حاجة للخوض في هذا كله؟

كان هذا السؤال هو آخر ما قيل داخل السيارة قبل أن تتوقف
أمام بوابة رذرفورد هول حيث نزلوا منها جميعاً.

* * *

الفصل الثامن

عندما دخل السيد ويمبورن المكتبة طرفت عيناه قليلاً وهو
ينظر إلى رجل أشقر وسيم يقف خلف المفتش بيكون الذي كان قد
التقاء من قبل.

قام المفتش بيكون بالتعريف: هذا مفتش التحري كرادوك من
سكوتلانديارد.

همهم السيد ويمبورن ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى ديرموت
كرادوك ذي المظهر المرح: سكوتلانديارد... همم.

قال كرادوك: لقد استدعينا للبحث في هذه القضية يا سيد
ويمبورن، وبما أنك تمثل عائلة كراكتشورب فإنني أشعر أن من
الإنصاف أن نعطيك بعض المعلومات الخاصة.

لم يكن أحد يستطيع عرض جزء صغير من الحقيقة ملمحاً
إلى أنها الحقيقة كلها أفضل من كرادوك. أضاف يقول وهو ينظر إلى
زميله: أنا واثق أن المفتش بيكون يتفق معي في ذلك.

وافقه المفتش بيكون بكثير من الجدية، كما لو أن الأمر لم
يكن مرتباً مسبقاً.

قال كرادوك: الأمر كما يلي: لدينا الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد -بناء على المعلومات التي حصلنا عليها- بأن المرأة القتيلة ليست من سكان هذه المنطقة بل كانت مسافرة من لندن وأنها قد وصلت من الخارج في الآونة الأخيرة. ربما من فرنسا (على الرغم من أننا لسنا متأكدين من ذلك حتى الآن).

رفع السيد ويمبورن حاجبيه دهشة وقال: أحقاً؟

شرح المفتش بيكون قائلاً: ولأن هذا هو الحال فقد أحس رئيس الشرطة بأن شرطة سكونلانديارد هي الجهة المناسبة أكثر للتحقيق في هذه القضية.

قال السيد ويمبورن: أتمنى أن تُحلَّ القضية بسرعة، فلا شك أنكم تقدرون مدى الأسى والضغط الذي خيم على العائلة بسبب هذا الحادث. ورغم أنهم ليسوا معنيين شخصياً بما حدث بأية طريقة، إلا أنهم...

سكت قليلاً، فأكمل المفتش كرادوك العبارة بسرعة: "ليس شيئاً ساراً أن يُعثر على امرأة قتيلة في بيتهم". أنا أتفق معك تماماً، أريد الآن إجراء لقاء قصير مع كل واحد من أفراد العائلة.

- لا أرى في الحقيقة ما يمكنهم...

- أن يقولوه لي؟ ربما لا يقولون شيئاً ذا أهمية، ولكن من يدري؟ أظن أنني أستطيع الحصول على معظم المعلومات التي أريدها منك يا سيدي؛ معلومات عن هذا البيت وعن العائلة.

- وما علاقة هذا بفتاة مجهولة تأتي من الخارج وتُقتل هنا؟

قال كرادوك: هذا ما نريد معرفته. لماذا جاءت إلى هنا؟ هل كانت لها أية صلة يوماً ما بهذا البيت؟ هل كانت -على سبيل المثال- خادمة هنا ذات مرة؟ أم هل جاءت لمقابلة واحد من الذين كانوا يعيشون هنا في هذا البيت من قبل؟

رد عليه السيد ويمبورن ببرود قائلاً بأن هذا المنزل قد سكنته عائلة كراكثورب منذ أن بناه جوسيا كراكثورب عام ١٨٨٤.

قال كرادوك: هذا مثير بحد ذاته؛ فقد أعطيتني لمحة مختصرة عن تاريخ العائلة.

رفع السيد ويمبورن كتفيه حيرة وقال: عندي القليل جداً مما يمكن قوله. كان جوسيا كراكثورب صاحب مصنع للحلوى، وقد جمع ثروة كبيرة جداً وبنى هذا البيت. ابنه الأكبر، لوثر كراكثورب، هو الذي يعيش فيه الآن.

- هل كان له أولاد آخرون؟

- ولد آخر فقط كان يدعى هنري وقتل في حادث سيارة عام ١٩١١.

- ألم يفكر السيد كراكثورب الحالي ببيع البيت؟

- لا يستطيع أن يفعل ذلك بموجب شروط وصية والده.

- أرجو أن تخبرني عن الوصية.

- ولماذا أخبرك؟

ابتسم المفتش كرادوك وقال: لأنني أستطيع الوصول إليها وقراءتها إن شئت في سجل الأحوال المدنية.

ابتسم السيد ويمبورن مرغماً وقال: صحيح أيها المفتش. كان احتجاجي فقط منصباً على أن المعلومات التي تطلبها لا علاقة لها بالأمر. وصية جوسيا كراكثورب ليس فيها أي أسرار: ترك جل ثروته تحت الوصاية وتدفع عائداتها إلى ولده لوثر طوال حياته، وبعد وفاة لوثر يتم تقسيم رأس المال بالتساوي بين أولاده، إدموند وسدريك وهارولد وألفرد وإيما وإدث. وقد قُتل إدموند في الحرب وماتت إدث قبل أربع سنوات، وهكذا عند وفاة لوثر كراكثورب ستقسم الأموال بين سدريك وهارولد وألفرد وإيما وابن إدث ألكساندر إيستلي.

- والبيت؟

سيكون هذا من نصيب أكبر ابن على قيد الحياة من أبناء لوكراكثورب أو لذرية ذلك الابن.

- هل كان إدموند كراكثورب متزوجاً؟
- لا.

- إذن سيذهب البيت في الواقع إلى...

- إلى الابن التالي... سدريك.

- هل يستطيع السيد لوثر كراكثورب نفسه التصرف فيه؟
- لا.

- وهل يملك التحكم بالثروة الموجودة تحت الوصاية؟
- كلا.

قال المفتش كرادوك بذكاء: أليس هذا أمراً غريباً بعض الشيء؟
أظن أن والده لم يكن يحبه.

- اعتقادك صحيح. لقد خاب أمل العجوز لأن ابنه الأكبر لم يظهر أي اهتمام بمتابعة مهنة العائلة، أو حتى بأي مشروع كان. لقد أمضى لوثر حياته مسافراً إلى الخارج لجمع التحف الفنية، ولم يكن والده متعاطفاً مع مثل هذا السلوك. لذلك ترك أمواله تحت الوصاية حتى الجيل القادم.

- لكن أبناء الجيل القادم هؤلاء ليس لهم أي دخل يعيشون عليه خلال هذه الفترة باستثناء عائدات الأموال أو ما يسمح لهم والدهم به، كما أن والدهم له دخل كبير لكنه لا يمتلك سلطة للتصرف برأس المال نفسه.

- بالضبط. ولكن ما علاقة كل هذا بقتل امرأة أجنبية مجهولة؟!

- لا يبدو أن لهذا علاقة بالجريمة، إنما أردت تأكيد كل الحقائق فقط.

نظر السيد ويمبورن إليه نظرات حادة ثم نهض واقفاً وقد بدا راضياً عن نتيجة لقائه وقال: أنا أعزم العودة إلى لندن الآن، إلا إذا كنت تريد معرفة أي شيء آخر.

نقل بصره من رجل إلى آخر، فقال كرادوك: كلا، شكراً لك يا سيدي.

سمع صوت جرس يدوي في أرجاء الصالة، فقال السيد ويمبورن: يا إلهي! أعتقد أن أحد الأولاد يتدرب على العزف.

رفع المفتش كرادوك صوته حتى يسمع رغم الضجيج: سترك العائلة تتناول غداءها بهدوء، لكنني سأعود مع المفتش ليكون بعد الغداء في الساعة الثانية والرابع لتقابلهم كلاً على حدة.

- هل تعتقد أن هذا ضروري.

هز كرادوك كتفيه وقال: قد يتذكر أحدهم بالصدفة شيئاً يعطينا مفتاحاً للتعرف على المرأة.

- أشك في ذلك أيها المفتش. أشك في ذلك كثيراً. لكنني أتمنى لك حظاً سعيداً. كما قلت قبل قليل: كلما اتضح سر هذا العمل المقرز أسرع كلما كان هذا أفضل للجميع.

هز رأسه وخرج من الغرفة بخطوات متناقلة.

* * *

كانت لوسي قد ذهبت إلى المطبخ مباشرة بعد عودتها من التحقيق، وكانت مشغولة بإعداد الغداء عندما أطل برايان برأسه وسألها: هل أستطيع مساعدتك؟ إنني بارع في أعمال البيت.

نظرت إليه لوسي نظرة سريعة. كان برايان إيستلي قد وصل

إلى جلسة التحقيق في سيارته الصغيرة مباشرة ولم يسعفها الوقت لمعرفة وتقويمه. كان وسيماً لطيفاً في نحو الثلاثين من عمره ذا شعر بني وعينين زرقاوين وشارب أشقر كبير.

قال وهو يدخل ويجلس عند طرف طاولة المطبخ: لم يعد الصبيان بعد... سيحتاجان إلى عشرين دقيقة أخرى حتى يصلا على دراجتيهما.

ابتسمت لوسي وقالت: كانا عازمين على ألا يفوتهما شيء.

- لا يمكنك لومهما. أفصد أنه أول تحقيق يحضرانه في حياتهما، وهو تحقيق يخص العائلة إذا صح التعبير.

- هل لك أن تخلي الطاولة يا سيد إيستلي؟ أريد وضع طبق القلي عليها.

أذعن برايان وقال: ذلك الدهن حار جداً. ماذا ستضعين فيه؟ - فطائر يوركشاير.

- آه، فطائر يوركشاير القديمة؟ لحم بقر إنكليزي، هل هذا هو طبق اليوم؟

- نعم.

- هذا طعام الجنائز! هل يضايقك حديثي معك؟

- إذا جئت للمساعدة فمن الأفضل أن تساعد.

أخرجت من الفرن مقلاة أخرى وقالت: ها هي... قلب شرائح

البطاطا هذه حتى تحمرّ من الجهة الأخرى.

أذعن برايان للأمر بكل نشاط وهو يسأل: هل كانت كل هذه داخل الفرن ونحن في جلسة التحقيق؟ ماذا لو أنها احترقت؟

- أمر غير ممكن. توجد للفرن ساعة توقيت منظمّة.

- إنه عقل كهربائي، أليس كذلك؟

نظرت إليه لوسي نظرة سريعة وقالت: صحيح. ضع المقلاة في الفرن، خذ قطعة القماش هذه لتمسك بها. على الرف الثاني... أريد الرف العلوي من أجل فطائر يوركشاير.

أطاعها برايان لكنه صرخ عالياً. قالت: أحرقت نفسك؟

- قليلاً... لا يهم. إن الطبخ لعبة خطيرة!

- أظن أنك لم تطبخ طعامك بنفسك أبداً؟

- الواقع أنني أفعل كثيراً ولكن ليس هذا النوع من الطبخ. أستطيع أن أسلق بيضة... إذا لم أنس مراقبة الساعة، وأستطيع إعداد بيض باللحم، وأستطيع وضع قطعة لحم في الشواية أو فتح علبة شربة. يوجد في شقتي واحد من هذه المواقف.

- هل تعيش في لندن؟

- إذا كنت تسمينه عيشاً... فنعم.

كانت نبرته حزينة. راقب لوسي وهي تخلط مزيج فطائر يوركشاير في الطبق وقال متنهداً: إنه رائع.

انتهت لوسي من عملها. نظرت إليه باهتمام أكثر وسألته: ما هو الرائع... المطبخ؟

- نعم. إنه يذكرني بمطبخنا في البيت... عندما كنت صبيّاً.

خطر للوسي وجود شيء بائس في مزاج برايان إيسلي. عندما نظرت إليه عن قرب أدركت أنه أكبر مما ظنت في البداية؛ لا بد أن عمره قريب من الأربعين، ويكاد يصعب التفكير بأنه والد ألكساندر. لقد ذكرها بعدد لا يحصى من الطيارين الشباب الذين عرفتهم أثناء الحرب، عندما كانت في الرابعة عشرة. وقد استمرت هي وكبرت لتعيش عالم ما بعد الحرب، ولكنها أحست كما لو أن برايان لم يستمر، بل أغفلته السنوات وهي تجري. وقد أكدت كلماته التالية هذه الحقيقة.

كان قد جلس وراء طاولة المطبخ ثانية وقال: إنه عالم صعب، أليس كذلك؟ أقصد القدرة على تحمل المصاعب. إن المرء لا يعتادها.

تذكرت لوسي ما سمعته من إيما. قالت: لقد كنت طياراً مقاتلاً وتحمل وسام الطيران، أليس كذلك؟

- هذا ما يعيق المرء في حياته... تحمّلين وساماً فيحاول الناس تهوين الأمور عليك بإعطائك وظيفة. إنه لطف كبير منهم، لكنها كلها وظائف إدارية والمرء لا يصلح لمثل هذه الوظائف. يجلس الموظف وراء مكتبه ويغرق بالأرقام. كانت لدي أفكار خاصة وحاولت التغيير، ولكن لا أحد وقف معي يساندني. لو كان عندي قليل من رأس المال...

ثم سكت وهو بطل التفكير حتى قال: أنت لم تعرفي إدي، زوجتي؟ أنت لا تعرفينها بالطبع. كانت تختلف كثيراً عن إخوتها هؤلاء. هي أصغرهم سناً، وكانت في سلاح الطيران الملكي. كانت تقول دائماً بأن والدها العجوز معتوه، وهو كذلك بالفعل... وبخيل إلى حد كبير. إنه لن يأخذ الأموال معه بعد وفاته؛ فهذا المال سيقسم عندئذ. وستذهب حصة إدي إلى ألكساندر بالطبع، ولن يستطيع الحصول على رأس المال إلا بعد بلوغه سن الحادية والعشرين.

- آسفة، هلا تخلّيت عن الطاولة مرة أخرى؟ أريد سكب الطعام وعمل صلصة مرق اللحم.

في تلك اللحظة وصل ألكساندر مع جيمس ستودارت لاهئين وقد احمرّ وجهاهما.

قال ألكساندر يخاطب أباه بلطف: مرحباً... إذن فأنت هنا. ما هذا اللحم اللذيذ؟ هل توجد فطائر يوركشاير؟

- نعم، توجد.

- فطائر يوركشاير التي نأكلها في المدرسة فظيعة؛ إنها رطبة وطرية.

قالت لوسي: ابتعد عن طريقي... أريد عمل الصلصة.

- اعلمي الكثير منها. هل نستطيع الحصول على طبقين من الصلصة؟

- نعم.

صاح جيمس ستودارت: جيد.

قال ألكساندر متلهفاً: لا أحبها خفيفة مائعة.

- لن تكون كذلك.

قال ألكساندر يخاطب والده: إنها طاهية بارعة.

رأت لوسي أن الوالد وابنه يقومان بدور معكوس؛ فالابن يتكلم كالأب الحاني مع أبيه.

سألها جيمس بأدب: هل تريدان منا مساعدة يا آنسة أيلسبارو؟

- نعم. اذهب يا ألكساندر واضرب الجرس. هل تحمل هذه الصينية يا جيمس وتأخذها إلى غرفة الطعام؟ هل تأخذ قطعة اللحم هذه إلى هناك يا سيد إستي؟ سأحضر البطاطا وفطائر يوركشاير.

قال ألكساندر: يوجد رجل من سكوتلانديارد في البيت. هل نظنين أنه سيتناول معنا الغداء؟

- هذا يعتمد على ما رتبته خالتك.

- لا أظن أن خالتي إيما ستمانع؛ فهي مضيافة جداً. لكنني أظن أن خالي هارولد لا يحب هذا الشيء. إنه متضايق جداً من هذه الجريمة.

خرج ألكساندر من الباب حاملاً معه الصينية وهو ينظر إلى الوراء مضيفاً بعض المعلومات: السيد ويمبورن في المكتبة الآن مع مفتش سكوتلانديارد، لكنه لن يبقى حتى الغداء؛ فقد قال إنه يريد

العودة إلى لندن. هيا يا جيمس. آه، لقد ذهب ليقرع الجرس.

في تلك اللحظة قرع الجرس. كان جيمس فناناً، وقرعه بأقوى ما يستطيع فتوقف كل حديث.

حمل برايان قطعة اللحم وذهب إلى غرفة الطعام، وتبعته لوسي ومعها الخضار ثم عادت إلى المطبخ لتحضر طبق الصلصة.

كان السيد ويمبورن يقف في الصالة يليس قفازيه بينما نزلت إيما الدرج مسرعة وهي تسأله: هل أنت متأكد من عدم استطاعتك البقاء لتناول الغداء معنا يا سيد ويمبورن؟ إنه جاهز.

- لا، لدي موعد مهم في لندن، ويوجد مطعم في القطار.

- أشكرك كثيراً على قدومك هنا.

خرج ضابطا الشرطة من المكتبة. وأمسك السيد ويمبورن بيد إيما وقال: لا يوجد ما تقلقين منه يا عزيزتي. هذا هو المفتش كرادوك من سكوتلانديارد جاء ليتولى القضية، وسيعود في الثانية والربع ليسألكم عن أية معلومات قد تساعد في هذا التحقيق. ولكن كما قلت: لا يوجد ما تقلقين من أجله.

نظر نحو كرادوك وقال: هل أقول للآنسة كراكتشورب ما أخبرتني به؟

- بالتأكيد يا سيدي.

- لقد قال لي المفتش كرادوك بأن هذه الجريمة ليست محلية

بالتأكيد، ويعتقد بأن المرأة القتيلة كانت قادمة من لندن، وربما كانت أجنبية.

قالت إيما كراكتشورب بحدة: أجنبية... هل هي فرنسية؟

كان واضحاً أن السيد ويمبورن أراد مواساة إيما في ذكره لتلك المعلومات، ولكنه بدا الآن مدهوشاً بعض الشيء.

ونظر ديرموت كرادوك إلى وجه إيما بسرعة وقد تعجب لماذا قفزت إلى النتيجة القائلة إن المرأة القتيلة فرنسية، ولماذا أزعجتها تلك الفكرة كثيراً؟

* * *

- أعيش فيها منذ ست سنوات؛ في إيبيزا. إنها تناسبني أكثر من هذا البلد الكئيب.

- أظن أن الجو فيها مشمس أكثر مما هو هنا. علمت أنك كنت في إنكلترا قبل مدة قصيرة لقضاء عيد الميلاد. ما الذي جعلك ترجع بهذه السرعة؟

رد عليه سدريك مبتسماً: تلقيت برفقة من إيما، أختي. لم نشهد جريمة قتل في بيتنا من قبل أبداً، ولم أرغب بأن يفوتني أي شيء؛ ولذلك جئت مسرعاً.

- هل أنت مهتم بعلم الجريمة؟

- آه، لا حاجة لوضعها في هذه الصيغة العلمية الرفيعة! الأمر ببساطة- أن جرائم القتل تستهويني... مثل الروايات البوليسية التي يُبحث فيها عن المجرم. إنها فرصة العمر أن تحدث جريمة على أعتاب بيت العائلة، كما أنني رأيت أن إيما المسكينة ستحتاج إلى مساعدة في التعامل مع والدها العجوز ومع الشرطة وغير ذلك من الأمور.

- فهمت. لقد استهوى الأمر- إذن- ميولك للهو ومشاعرك نحو العائلة؛ لا شك أن أختك ستكون ممثلة لك كثيراً. حسناً، هل تستطيع تخمين هوية المرأة؟

- هيا أيها المفتش! أنت تعرف أصلاً (أو سيخبرك زملاؤك) بأنني لم أتمكن من التعرف عليها.

الفصل التاسع

الوحيدون الذين عدلوا في حكمهم على طعام لوسي الممتاز هم الولدان وسدريك كراكتورب الذي بدا بشكل واضح غير متأثر بالظروف التي دعتة للعودة إلى إنكلترا، بل إنه بدا -في الواقع- وكأنه يعتبر المسألة كلها طريقة جيدة ذات طبيعة مروعة.

لاحظت لوسي أن هذا الموقف كان غير مستساغ لأخيه هارولد الذي بدا وكأنه يعتبر جريمة القتل نوعاً من الإهانة الشخصية لعائلة كراكتورب، وقد كان إحساسه بالغضب كبيراً إلى حد لم يكده معه يتناول غداءه. وبدت إيما قلقة وحزينة، ولم تأكل هي الأخرى إلا القليل. وبدا ألفرد مستغرقاً في بحر أفكاره ولم يتكلم إلا قليلاً.

بعد الغداء عاد ضابطا الشرطة وسألا بأدب عن إمكانية التحدث مع السيد سدريك كراكتورب.

كان المفتش كرادوك مرحاً جداً وودوداً. قال: تفضل يا سيد كراكتورب. علمت أنك قد عدت لتوك من جزر باليري قرب إسبانيا... هل تعيش هناك؟

- قلت لك أن تخمن يا سيدي. ربما لم تر هذه المرأة من قبل...
لكنك قد تستطيع أن تخمن من تكون؟

هز سدريك رأسه وقال: أنت تحرث في أرض بوار؛ ليست لدي أي فكرة. أظنك تلمح إلى أنها ربما جاءت إلى الحظيرة للقاء غرامي مع واحد منا؟ لكن أحداً منا لا يعيش هنا. الوحيدون الذين يسكنون هذا البيت امرأة ورجل عجوز. لا أظنك ترى حقاً أنها جاءت إلى هنا لموعد غرامي مع أبي؟

- ما نعينه هنا - والمفتش سيكون يوافقني - هو أن هذه المرأة ربما كان لها ذات يوم ارتباط معين بهذا البيت، وربما كان هذا قبل سنوات عديدة. أرجو أن تعود بذاكرتك إلى الورا يا سيد كراكتورب.

فكر سدريك بعض الوقت ثم هز رأسه وقال: كنا نستخدم خادومات أجنبيات من وقت لآخر مثل معظم الناس، ولكنني لا أرى أي حالة محتملة من هذا النوع. ربما الأفضل أن تسأل الآخرين فهم يعرفون عن ذلك أكثر مني.

- سنفعل هذا بالطبع.

اتكأ كرادوك على ظهر مقعده وأكمل يقول: كما سمعت أثناء التحقيق، فإن الطبيب الشرعي لا يستطيع تحديد وقت الوفاة بدقة تامة؛ أكثر من أسبوعين، وأقل من أربعة أسابيع... وهو ما يجعل الحادث قريباً من وقت عيد الميلاد. قلت لي إنك عدت إلى الوطن لقضاء عطلة عيد الميلاد. متى وصلت إلى إنكلترا ومتى غادرت؟

فكر سدريك ثم قال: دعني أتذكر... جئت بالطائرة. وصلت

هنا يوم السبت الذي سبق عيد الميلاد، وهو يوم الحادي والعشرين من كانون الأول.

- هل طرت من مايوركا مباشرة؟

- نعم. غادرتها في الساعة الخامسة صباحاً ووصلت إلى هنا في منتصف النهار.

- ومتى غادرت؟

- عدت بالطائرة يوم الجمعة التالي السابع والعشرين من نفس الشهر.

- شكراً لك.

ابتسم سدريك وقال: هذا يضعني في دائرة الشبهة لسوء الحظ. ولكن يا حضرة المفتش، تأكد بأن خنق النساء ليس من متع عيد الميلاد المفضلة عندي.

- أرجو ألا يكون ذلك يا سيد كراكتورب.

بدا المفتش سيكون مستاءً، وسأله سدريك قائلاً: ألا توافقنا الرأي بأن هذا الأمر سيفضي إلى الكثير من عدم الراحة والشكوك؟ لكن المفتش سيكون اكتفى ب مهمة متأففة. قال المفتش كرادوك بأدب: أشكرك يا سيد كراكتورب. هذا كل ما لدي.

قال كرادوك بعد أن أغلق سدريك الباب وراءه: ما رأيك فيه؟

تأفف بيكون مرة أخرى وقال: إنه مغرور، وأنا لا أحب هذا النوع من الناس. إن هؤلاء الفنانين يعيشون حياة متحللة فاسدة ومن المحتمل جداً أن يتورطوا مع نساء سيئات السمعة.

ابتسم كرادوك فيما أكمل بيكون يقول: كما لا تعجبني الثياب التي يرتديها أيضاً. عديم الاحترام... يذهب إلى التحقيق بهذه الثياب. بنطال قدر لم أر أقدر منه في حياتي. وهل رأيت ربطة العنق عليه؟ إنها تبدو وكأنها خيط رفيع ملون. ولو سألتني لقلت إنه من النوع الذي يمكن أن يقتل امرأة بسهولة دون أن يرف له جفن.

- إنه لم يقتل هذه المرأة... إذا لم يكن قد غادر مايوركا قبل الحادي والعشرين من كانون الأول، وهذا ما نستطيع أن نتحقق منه بسهولة.

نظر إليه بيكون نظرة حادة وقال: ألاحظ أنك ما زلت لا تريد أن تصرح بالتاريخ الحقيقي لوقوع الجريمة.

- كلا، سنبقي الأمر سراً في الوقت الحالي. أنا أحب أن أبقى بعض الأشياء غامضة في المراحل الأولى من التحقيق.

أوماً بيكون موافقاً وقال: تريد. أن تفاجئهم بها في الوقت المناسب... هذا أفضل رأي.

- قال كرادوك: والآن، سنرى ما سيقوله لنا ابن المدينة المحترم حول هذا كله.

لم يكن عند هارولد كراكثورب ما يقوله إلا القليل. قال إنه عمل مقرز، وحادث سيء. كان خائفاً من الصحف، وقد علم بأن

الصحافيين كانوا يطلبون إجراء مقابلات. كل هذه الأشياء تبعث على الأسف الشديد.

وبعد أن انتهت عبارات أسفه واشمئزازه، أسند ظهره إلى كرسيه وقد بدت عليه ملامح رجل أمامه رائحة مزعجة جداً.

لم يتوصل المفتش من أسئلته إلى أي نتيجة. لم يكن يعرف من هي المرأة أو من يمكن أن تكون. كان موجوداً في رذرفورد هول لقضاء عيد الميلاد. لم يستطع القدوم إلى هذا البيت إلا ليلة عيد الميلاد، لكنه بقي فيه حتى نهاية الأسبوع التالي.

قال المفتش كرادوك دون أن يحاول الضغط عليه بمزيد من الأسئلة: هذا كل ما لديك إذن.

كان قد قرر في نفسه بأن هارولد كراكثورب لن يقدم له أية مساعدة تذكر. وانتقل -بعد ذلك- إلى الفرد الذي دخل الغرفة بشيء من اللامبالاة المبالغ بها قليلاً.

نظر كرادوك إلى الفرد وراوده شعور غامض بأنه يعرفه. لقد رأى هذا الشخص في مكان ما من قبل بالتأكيد، أم أنه رأى صورته في الصحيفة؟ كانت الذكرى الغامضة في عقله مقرونة بعمل مخز. سأل الفرد عن مهنته فكانت إجابة الفرد غامضة.

- إنني أعمل في حقل التأمين في الوقت الحالي. وحتى وقت قريب كنت مهتماً بإنزال نوع جديد من الآلات الناطقة إلى السوق... ثورة في عالم الصناعة. والواقع إنني أكسب كثيراً من هذا العمل. كان المفتش كرادوك يبدو معجباً... وما كان لأحد أن يدرك أنه

كان يلحظ المظهر الأنيق المصطنع لبذلة ألفرد ويقدر بشكل صحيح سعرها المتدني. كانت ثياب سدريك مزرية وبالية، ولكنها كانت ثياباً جيدة ومن مادة ممتازة. أما هذه البذلة فهي أنيقة رخيصة تخبر عن نفسها. انتقل كرادوك إلى أسئلته الروتينية، وبدأ ألفرد مهتماً، بل مسروراً ببعض الشيء.

- إنها فكرة جديدة بالاهتمام أن تكون هذه المرأة قد عملت هنا مرة. ليس وصيفة؛ لأنني لا أظن أن אחتي استأجرت أحداً لمثل هذا العمل، بل لا أحسب أحداً يفعل ذلك في أيامنا هذه، ولكن في المنطقة الكثير من خدام المنازل الأجانب. كان لدينا خادومات بولنديات وخادمة ألمانية مؤقتة أو اثنتان، وبما أن إيما لم تتعرف مطلقاً على المرأة فإنني أحسب أن هذا يبطل كل الأفكار التي تراودك أيها المفتش؛ لأن إيما ذاكرة ممتازة في تذكر الوجوه. كلا، إذا جاءت المرأة من لندن... بالمناسبة ما الذي جعلك تعتقد أنها جاءت من لندن؟

طرح سؤاله بطريقة عرضية، لكن عينيه كانتا حادتين مهتمتين.

ابتسم المفتش كرادوك وهز رأسه. ونظر ألفرد إليه بإمعان قائلاً: لا تريد أن تخبرني، أليس كذلك؟ ربما وجدتم في جيبها تذكرة العودة؟

- قد يكون يا سيد كراكثورب.

- حسناً، إذا سلمنا أنها جاءت من لندن، فربما كان الرجل الذي جاءت للقاءه يعرف أن هذه الحظيرة ستكون مكاناً مناسباً

لارتكاب جريمة فيها، فمن الواضح أنه يعرف البيت جيداً، ولو كنت مكانك -أيها المفتش- لذهبت أبحث عنه.

قال كرادوك بنبرة فيها ثقة وهدوء: "إننا نبحث عنه". ثم شكر ألفرد وصرفه. وقال يخاطب المفتش بكون: لقد رأيت هذا الرجل من قبل.

أطلق المفتش بكون حكمة: زبون ذكي حاد الذكاء... حاد إلى حدٍّ يجرح معه نفسه أحياناً.

* * *

قال برايان وهو يدخل إلى الغرفة ويقف عند الباب متردداً: لا أظن أنك تريد رؤيتي؛ فأنا لست واحداً من العائلة تماماً...

- أنت السيد برايان إيسلي، زوج إدث كراكثورب التي ماتت قبل خمس سنوات؟

- هذا صحيح.

- هذا لطف بالغ منك يا سيد إيسلي، خاصة إن كنت تعرف شيئاً تعتقد أنه يمكن أن يساعدنا بطريقة ما؟

- لكنني لا أعرف... ليتني أعرف. ألا يبدو الأمر غريباً؟ أن تأتي إلى هنا وتقابل شخصاً في تلك الحظيرة القديمة الباردة وفي وسط الشتاء. ما كنت لأفضل مثل هذا الأمر!

وافق المفتش كرادوك: إنه أمر محير بالتأكيد.

- هل صحيح أنها أجنبية؟ يبدو أن هذا الأمر انتشر بين الناس.

نظر إليه المفتش نظرة حادة وقال: هل توحى لك هذه الحقيقة بأي شيء؟

لكن برايان بدا كالأبله: كلا، الواقع أنها لا توحى لي بشيء.

قال المفتش بيبكون بارتياح: ربما تكون فرنسية.

ازدادت حيوية برايان واهتمامه، وبدا ذلك واضحاً في عينيه الزرقاوين وتلمس شاربه الأشقر الكبير. هز رأسه وقال: حقاً؟ فتاة من باريس؟ هذا ما يجعل الأمر أكثر غرابة، أليس كذلك؟ أقصد أن تدخل لتبحث في الحظيرة. هل كشفتم ضحايا جرائم داخل توابيت حجرية غير هذه؟ ربما كان رجلاً يمتلك هوساً بالقتل... أو عقدة؟

لم يكلف المفتش كرادوك نفسه عناء معارضة هذه الفرضية، وبدلاً من ذلك سأله بطريقة عرضية: ألا توجد أية صلات بين واحد من أفراد العائلة وبين رجل فرنسي أو امرأة فرنسية على حد علمك؟

أوضح برايان بأن عائلة كراكتشورب ليست عائلة فاسدة. قال: هارولد متزوج زوجاً محترماً بامرأة وجهها كوجه السمكة، وهي ابنة أحد النبلاء الذين افتقروا. أما ألفرد فلا أظن أنه يهتم بأمر النساء كثيراً؛ فهو يقضي وقته في الصفقات المشبوهة التي تنتهي بنهاية غير سعيدة في العادة. وأما سدريك فلعل له بعض الصديقات الإسيانيات في إيبيزا؛ فالنساء يقعن في غرامه. إنه لا يحلق دفته دائماً ويبدو وكأنه

لا يستحم أبداً. ولا أدري لماذا يجذبهن؟! لا أظن أنني أساعدكم في عملكم، أليس كذلك؟

ابتسم للمفتشين وقال: من الأفضل تكليف ألكساندر الصغير بهذا العمل. لقد خرج مع صديقه بحثاً عن الأدلة التي يمكن أن تكشف اللغز، وأراهنك على أنهما سيعودان بشيء.

قال المفتش كرادوك بأنه يأمل ذلك، ثم شكر برايان إيستلي وقال بأنه يريد الحديث مع إيما كراكتشورب.

* * *

نظر المفتش كرادوك إلى إيما كراكتشورب بانتباه أكثر مما أبداه من قبل، وكان ما يزال متحيراً من الملامح التي بدت عليها قبل الغداء.

امرأة هادئة. ليست غبية، وليست حادة الذكاء أيضاً. من أولئك النساء المريحات اللاتي يطمئن لهن الرجال واللاتي يمتلكن فن تحويل المنزل إلى بيت مريح ذي جو هادئ منسجم. هذا ما رآه كرادوك في إيما كراكتشورب.

إن نساء من هذا النوع غالباً ما تتم الاستهانة بقدراتهن؛ فورا مظهرهن الهادئ توجد قوة في الشخصية ينبغي أخذها بعين الاعتبار. وأحسن كرادوك بأن مفتاح لغز المرأة القتيلة في التابوت ربما كان كامناً في مجاهيل عقل إيما.

وبينما كانت تلك الظنون والأفكار تجول في مخيلته كان

كرادوك يسألها العديد من الأسئلة غير المهمة. قال: لا أظن أن لديك الكثير مما لم تقولي له للمفتش سيكون؛ لذلك لا أريد إزعاجك بالكثير من الأسئلة.

- أرجو أن تسألني كل ما يبدو لك.

- كما أخبرك السيد ويمبورن، فقد توصلنا إلى نتيجة بأن المرأة القتيلة لم تكن من هذا البلد. وقد يكون هذا مصدر ارتياح لك... هذا ما يراه السيد ويمبورن، لكنه -في الحقيقة- يزيد من صعوبة الموقف بالنسبة لنا، فليس من السهل التعرف عليها.

- ولكن ألم يكن معها أي شيء... حقيبة؟ أوراق.

هز كرادوك رأسه وقال: لم تكن معها حقيبة ولا أوراق.

- ألا تعرفون عن اسمها... أو من أي مكان جاءت... لا شيء أبداً؟

فكر كرادوك في نفسه: إنها تريد أن تعرف... مهمة جداً بأن تعرف من تكون هذه المرأة. ترى هل كانت تشعر بهذا الشعور منذ البداية؟ إن يكون لم يعطني عنها ذلك الانطباع، وهو رجل ذكي.

ثم قال: لا أعرف عنها أي شيء. هذا ما جعلنا نأمل أن يساعدنا واحد منكم. هل أنت واثقة من أنك لا تستطيعين؟ حتى لو لم تعرفي عليها... ألا تستطيعين تخمين من عساها تكون؟

خُيِّلَ لَهَا أنها صممت برهة قصيرة جداً قبل أن تجيب، ولكن ربما كان ذلك مجرد تخيل من طرفه. قالت: ليست لدي أي فكرة أبداً.

تغيرت لهجة المفتش كرادوك قليلاً. لم تكن ملحوظة باستثناء شيء من القسوة في الصوت: عندما أخبرك السيد ويمبورن بأن المرأة أجنبية، لماذا افترضت أنها فرنسية؟

لم ترتبك إيما، بل رفعت حاجبيها قليلاً وقالت: هل قلت ذلك؟ نعم، أظن أنني قلت ذلك. إنني لا أعرف حقاً لماذا... فيما عدا أن المرء يميل دائماً إلى الاعتقاد بأن الأجانب هم فرنسيون إلى أن يعرف جنسيتهم الحقيقية. إن معظم الأجانب في بلدنا فرنسيون، أليس كذلك؟

- آه، لا أظن ذلك يا سيدتي، ليس في هذه الأيام. لدينا هنا الكثير من الجنسيات؛ لدينا إيطاليون وألمان ونمساويون وأفراد من جميع الدول الإسكندنافية.

- نعم، أظن أنك على حق.

- هل يوجد لديك سبب خاص للاعتقاد بأن هذه المرأة يحتمل أن تكون فرنسية.

- كلا، لا أظن ذلك؟

نظرت إليه بهدوء دون أن تطرف لها عين. نظر كرادوك إلى المفتش ليكون، وتقدم الأخير وقدم لها علبة تجميل صغيرة وقال: هل رأيت هذه العلبة يا سيدتي؟

أخذتها وتفحصتها ثم قالت: لا، إنها ليست لي بالتأكيد.

- أتعرفين صاحبها؟

- كلا.

- إذن لا أظن أن لنا حاجة في إزعاجك... في الوقت الحالي.

- شكراً لك.

ابتسمت لهما ابتسامة قصيرة ثم نهضت وغادرت الغرفة. مرة أخرى هُيئ لكرادوك -دون أن يستطيع العجز- إنها خرجت بشي من السرعة، وكأن ارتياحاً ما قد سرع من خطواتها.

سأله بيبكون: أنظن أنها تعرف شيئاً؟

قال المفتش كرادوك باكتئاب: في مرحلة معينة يميل المرء إلى الاعتقاد بأن كل شخص يعرف أكثر بقليل ممّا يرغب في قوله.

ردّ عليه بيبكون من خلال تجربته: إنهم يفعلون ذلك في العادة، إلا أن ما يخفونه لا تكون له -غالباً- أي علاقة بالقضية المطروحة. إن هؤلاء الناس يخشون افترض أسرارهم العائلية أو مشكلاتهم السخيفة.

- نعم، أعرف. على الأقل...

ولكن المفتش كرادوك لم يستطع إكمال جملته، لأن الباب فُتح على مصراعيه ودخل السيد كراكثورب العجوز في حالة سخط شديد. قال: إنه لموقف حرج جداً أن يأتي ضابط سكوتلانديارد إلى هنا ولا ييدي من اللباقة ما يجعله يتحدث مع رئيس العائلة أولاً! من هو سيد هذا البيت، أريد أن أعرف؟ أجبني عن هذا. من السيد هنا؟

قال كرادوك مهدئاً وهو يقف على قدميه: أنت بالطبع يا سيد كراكثورب، لكننا فهمنا بأنك أخبرت المفتش بيبكون عن كل ما تعرفه، ولأن صحتك ليست على ما يرام فإننا لا نريد أن نجهدك بالأسئلة. لقد قال الدكتور كويمبر...

- نعم... نعم. لست رجلاً قوياً... أما بالنسبة للدكتور كويمبر فإنه كالمرأة العجوز الشمطاء... إنه طيب جيد... يفهم حالتي، لكنه يريد إبقائي ملفوفاً بالقطن والحرير. لديه هاجس يستولي على تفكيره بخصوص الطعام. وقد ظل يسألني في عيد الميلاد عن الطعام الذي أكلته عندما توعكت، ومتى أكلت؟ ومن الذي طبخه؟ ومن الذي قدمه؟ يفتعل ضجة من لا شيء! ورغم أن صحتي ليست على ما يرام إلا أنني أستطيع إعطاءك كل ما يمكنني. جريمة قتل في بيتي... أو في حظيرة بيتي! إنها حظيرة مثيرة بنيت على الطراز الإلزابيثي. المهندس المعماري المحلي يقول بأنها ليست كذلك، لكنه لا يعرف ما يتحدث عنه. إنها تعود إلى عام ١٥٨٠ على أقل تقدير... ولكن هذا ليس موضوعنا. ما الذي تريد أن تعرفه؟ ما هي نظرتك الحالية؟

- ما زال الوقت مبكراً جداً على النظريات يا سيدي؛ ما زلنا نحاول اكتشاف صاحبة الجثة.

- أنتم تقولون إنها أجنبية؟

- نعتقد ذلك.

- عميلة للأعداء؟

- أظن ذلك مستبعداً.

- تظن... تظن! إن هؤلاء الناس موجودون في كل مكان يخترقوننا! لا أدري لماذا تتركهم وزارة الداخلية يدخلون هكذا ليتجسسوا على الأسرار الصناعية! هذا ما أعتقد، وهو ما كانت تفعله هذه المرأة.

- في براكهامبتن؟!

- المصانع في كل مكان. يوجد مصنع خارج بوابة بيتي الخلفية.

نظر كرادوك إلى بيكون نظرة سريعة فاستجاب الأخير قائلاً:
لصناعة الصناديق المعدنية.

قال العجوز: كيف نعرف ما يصنعونه حقيقة؟ لا يمكنك أن تصدق كل ما يقوله الناس لك. حسناً، إذا لم تكن جاسوسة فمن تكون بظنك؟ أعتقد أنها قد تكون متورطة في علاقة مع واحد من أبنائي الأعزاء؟ لو كان هذا صحيحاً فسيكون ألفرد وليس هارولد؛ فهو حذر جداً. كما أن سدريك لن يقبل بالعيش في هذا البلد. إذن فهي صديقة ألفرد، وقد تبعها مجرمٌ إلى هنا معتقداً أنها كانت قادمة للقاءه فقتلها. ما رأيك بهذا؟

قال المفتش كرادوك إن هذه مجرد فرضية وقال إن ألفرد لم يتعرف عليها.

- رباة! إنه خائف، هذا كل ما في الأمر! كان ألفرد رجلاً جباناً دائماً، وهو كذاب أيضاً... كان دوماً كذاباً. ما من فائدة في أي

من أولادي. إنهم مجموعة من الجشعين ينتظرون موتي، هذه هي وظيفتهم الحقيقية في الحياة.

ثم قال ضاحكاً: "ويمكنهم الانتظار؛ فلن أفرحهم بموتي! حسناً، إن كان هذا كل ما يمكنني عمله لك... فقد تعبت. يجب أن أرتاح". ثم خرج من الغرفة مسرعاً.

قال بيكون متسائلاً: "صديقة ألفرد؟ أظن أن الرجل العجوز قد لفق هذه التهمة لابنه". سكت متردداً ثم قال: أنا شخصياً أعتقد أن ألفرد لا غبار عليه. ربما كان مراوغاً بشكل أو بآخر، لكنه ليس مجرمنا الذي نبحث عنه. لقد تساءلت عن أمر ضابط سلاح الطيران ذاك.

- برايان إيستلي؟

- نعم. لقد رأيت أكثر من واحد من هذه النوعية. إنهم أناس بلا هدف في هذه الدنيا... واجهوا الخطر والموت والإثارة في بداية حياتهم، أما الآن فإنهم يجدون الحياة رتيبة ولا تبعث على الرضا. لقد عاملناهم معاملة غير عادلة إلى حد ما، رغم أنني لا أعرف ما الذي يمكننا عمله لهم بهذا الخصوص. ولكن هذه هي النتيجة التي انتهوا إليها، دون مستقبل. وهم من النوع الذي لا يأبه للمجازفة. إن من شأن رجل عادي أن يلزم الحيلة غريزياً، لا بدافع الأخلاق بل من باب الحذر، ولكن أمثال إيستلي لا يخافون ولا يعرفون لكلمة الحيلة معنى. لو كان إيستلي متورطاً في علاقة غرامية مع امرأة وأراد أن يقتلها...

سكت وهو يرفع يده يائساً ثم قال: ولكن لماذا يقتلها؟ وإذا قتلت امرأة فلماذا تضعها في تابوت والد زوجتك؟ كلا، لا أعتقد أن لأحد من هذه العائلة علاقة بجريمة القتل. لو كانت لهم علاقة لما أوقعوا أنفسهم في ورطة في وضعهم الجثة داخل بيتهم.

وافقه كرادوك على أن ذلك ليس له أي معنى فسأل: هل تريد أن تفعل أي شيء آخر هنا؟

أجابه كرادوك بأنه لا يوجد شيء.

اقترح عليه بيبكون العودة إلى براكهامبتن لتناول فنجان من الشاي، لكن المفتش كرادوك قال بأنه سيزور أحد معارفه القدامى.

* * *

الفصل العاشر

ابتسمت الأنسة ماربل عندما دخل عليها المفتش ديرموت كرادوك. قالت: أنا سعيدة جداً لأنهم عينوك لتولي هذه القضية. كنت أرجو ذلك.

قال كرادوك: عندما تلقيت رسالتك أخذتها إلى مساعد المفوض الذي كان قد تلقى مكالمة من شرطة براكهامبتن تستدعينا لتولي القضية؛ فقد بدا أنهم يظنون أنها ليست جريمة محلية. وقد اهتم مساعد المفوض كثيراً بما قلته له عنك. أظن أنه سمع عنك من عزابي.

قالت الأنسة ماربل بانفعال: السير هنري الغالي؟

- لقد جعلني أخبره كل شيء عن قضية ليتل بادوك. هل تريد أن تسمعي ما الذي قاله بعدها؟

- أرجوك أخبرني إلم يكن حديثاً خاصاً.

- قال: "حسناً، بما أن هذا عمل بالغ السخف والالتواء، وكله خيال سيدتين عجوزين اتضح فيما بعد -على النقيض من كل

الاحتمالات- أنهما كانتا على حق، وبما أنك تعرف واحدة من هاتين السيدتين، فإنني أرسلتك إلى هناك لتولي القضية." وهكذا جئت إلى هنا! والآن يا سيدتي العزيزة، إلى أين وصلنا؟ إنها ليست زيارة رسمية كما ترين؟ فلم أحضر أتباعي معي. رأيت أن نتدارس هذه القضية فيما بيننا أولاً.

ابتسمت له الأنسة ماربل وقالت: أنا واثقة أن أولئك الذين لا يعرفونك إلا بصفتك الرسمية لا يستطيعون تقدير لطفك وإنسانيتك، كما أنك تبدو أجمل شكلاً من أي وقت مضى. لا تخجل... والآن ما الذي عرفته حتى الآن بالضبط؟

- أظن أنني عرفت كل شيء. أقوال صديقك ماغليكدي الأصلية التي أدلت بها إلى الشرطة في سينت ميري ميد، وشهادة تؤكد أقوالها من مفتش التذاكر، وكذلك الرسالة التي سلمتها إلى أمر محطة القطارات في براكهامبتن. اعتقد أن المسؤولين المختصين قد أجروا كل التحقيقات والتحريات... أقصد مسؤولي السكة الحديدية والشرطة على حد سواء. ولكن لا شك أنك تفوقت عليهم جميعاً في عملية الحدس الغريبة هذه.

قالت الأنسة ماربل: ليست عملية حدس. كانت لدي ميزة عظيمة تفوقت بها عليهم؛ فقد كنت أعرف السبب ماغليكدي، بينما لم يعرفوها. ولم يُعثر على أي شيء واضح يؤكد روايتها، وإذ لم يبلغ أحدٌ عن اختفاء امرأة، فإن من الطبيعي أن يعتقدوا أن الأمر لا يعدو خيالات امرأة عجوز... كما هي عادة العجائز! ولكن ليست السبب ماغليكدي من هذا الصنف.

وافقها المفتش: ليست إيزابيث ماغليكدي... إنني أتطلع إلى لقائها. أرجو ألا تكون قد ذهبت إلى سيلان. بالمناسبة، إننا نرتب مسألة التحقيق معها هناك.

- إن عملية المحاكمة العقلية التي قمْتُ بها لم تكن حقاً عملية مبتكرة من جانبي. إنها موجودة في قصة مارك توين... الولد الذي وجد الحصان. لقد تخيل أين يمكن أن يذهب لو كان هو حصاناً، ثم ذهب إلى هناك فوجد الحصان.

- هل تخيلت ما كنت ستفعلينه لو كنت مجرمة قاتلة؟ يا لعقلك! وهل يمكنك الذهاب إلى أبعد من هذا ووضع نفسك في محل القاتل لتخبريني أين هو الآن؟

تنهدت الأنسة ماربل وقالت: ليتني أستطيع. لا أعرف... لا أعرف أبداً. لكن لا بد أن يكون شخصاً قد عاش في ذلك المنزل أو أنه يعرف عنه كل شيء.

- أتفق معك، لكن هذا يفتح أمامنا مجالاً واسعاً من الاحتمالات. الكثير من الخادومات النهاريات تعاقبن على العمل هناك وكلهن يعرفن حظيرة الماشية هذه والثابوت الحجري وأين يوضع المفتاح. إن كل شيء هناك معروف تماماً لدى أهل المنطقة، وأي شخص يعيش قريباً من هناك قد يجد فيها مكاناً ملائماً لأغراضه.

- نعم. إنني أفهم تماماً المصاعب التي تواجهونها.

- لن نتوصل إلى أي شيء ما لم نعرف هوية القتيلة.

- وهذا أيضاً قد يكون صعباً؟

- آه، سنصل إلى ذلك في النهاية. إننا ندقق في كل البلاغات المتعلقة باختفاء أي امرأة في مثل سنها ومظهرها، ولم نجد - إلى الآن- واحدة تنطبق عليها هذه المواصفات. الطبيب الشرعي يقدر عمرها بحدود خمس وثلاثين سنة، كانت بصحة جيدة وربما كانت متزوجة وأنجبت واحداً على الأقل. معطف الفراء الذي ارتدته من النوع الرخيص، وقد بيع المئات منه في الأشهر الأخيرة في لندن، ونحو ستين بالمئة منها بيعت لنساء شقراوات، ولكن لم تتمكن أي بائعة من التعرف على صورة القتيلة. أما ملابسها الأخرى فيبدو أنها من صناعة أجنبية وقد تم شراؤها من باريس غالباً. لا توجد علامات لمحلات إنكليزية لتنظيف الألبسة على ملابسها، وقد اتصلنا بباريس وهم يتحرون الآن عنها لصالحنا. سيتقدم شخص -عاجلاً أو آجلاً- ليبلغ عن اختفاء قريبة له أو مستأجرة عنده... إنها مسألة وقت فقط.

- ألم تساعدكم علبة الزينة بأي شيء؟

- لسوء الحظ، أبداً. إنها من النوع الذي يباع بالمئات في شارع ريفولي، وهي رخيصة جداً. بالمناسبة، كان يجب أن تسلمها إلى الشرطة فوراً، أو كان على الأنسة آيلسبارو فعل ذلك.

هزت الأنسة ماربل رأسها وقالت: ولكن لم تكن قد ظهرت إلى الوجود مسألة حدوث جريمة حينذاك. وإذا وجدت فتاة وهي تلعب الغولف علبة زينة قديمة ليست ذات قيمة فوق العشب فإنها لا تذهب لإبلاغ الشرطة عنها بالتأكيد!

سكتت الأنسة ماربل قليلاً ثم أضافت تقول جازمة: لقد رأيت أنه من الحكمة العثور على الجثة أولاً.

سر المفضش كرادوك من كلامها وقال: لا يبدو أن أي شكوك قد ساورتك في مسألة العثور على الجثة؟

- كنت واثقة أننا سنعثر عليها؛ فلوسي آيلسبارو فتاة قديرة وذكية جداً.

- هذا صحيح! لقد أرعبتني، إنها قديرة إلى أبعد حد؛ لن يجروء رجل على الزواج بتلك الفتاة.

- أنعلم؟ أنا أرى غير ذلك، ولكن لا بد أن يكون الرجل من نوع خاص بالطبع.

فكرت الأنسة ماربل في هذه المسألة لحظة ثم قالت: كيف تسير حياتها في رذرفورد هول؟

- إنهم يعتمدون عليها اعتماداً كلياً حسبما رأيت. إنها تأكل طعامها من تعب يديها بكل معنى الكلمة. بالمناسبة، هم لا يعرفون صلتها بك؛ فقد تكتمنا على هذه المسألة.

- ليس لها الآن صلة بي. لقد فعلت ما طلبت منها فعله.

- إذن فإن بوسعها ترك العمل لو أرادت؟

- نعم.

- لكنها باقية هناك. لماذا؟

- لم تذكر لي أسبابها. إنها فتاة ذكية جداً، وأظن أنها أصبحت مهتمة بالقضية.

- بالمشكلة؟ أم بالعائلة؟

- ربما كان من الصعب الفصل بين الاثنين.

نظر كرادوك إليها نظرات متفحصة وقال: أظن أنك تفكرين في شيء.

هزت الأنسة ماربل رأسها نافية. وتنهَّد المفتش كرادوك وقال: إذن كل ما أستطيع عمله هو متابعة تحرياتني. إن حياة رجل الشرطة حياة مملة!

- أنا واثقة من أنك ستصل إلى نتيجة.

- هل لديك أية أفكار لي؟ مزيد من الحدس الملهم؟

قالت الأنسة ماربل بغموض: كنت أفكر في أشياء مثل الشركات المسرحية التي تنتقل من مكان إلى آخر وقد لا يكون لأفرادها الكثير من الروابط العائلية. إن شابة في مثل هذا الوسط لا يرجع أن يفقدها أحد إذا ما غابت.

قال كرادوك: "نعم، ربما كان كلامك صحيحاً. سنولي اهتماماً خاصاً لهذه الناحية". ثم أضاف بقول: ما الذي يجعلك تبسمين؟

- كنت أفكر في وجه إسب ماغليكدي كيف سيكون عندما تعلم أننا وجدنا الجثة!

* * *

قالت السيدة ماغليكدي: حسناً! حسناً!

ثم خانتها الكلمات. نظرت إلى الشاب الوسيم الذي جاء لزيارتها حاملاً أوراقاً رسمية ثم نظرت إلى الصورة التي أعطاها لها. قالت: إنها هي دون شك. نعم، إنها هي... مسكينة. أنا سعيدة جداً لأنكم عثرتُم على جثتها. لم يصدق أحد ما قلته! سواء الشرطة أو موظفو السكة الحديدية أو أي أناس غيرهم. أمر مزعج ألا يصدقك أحد... على أية حال لا يستطيع أحد القول إنني لم أفعل ما كان بوسعي فعله.

أعرب لها الرجل اللطيف عن تعاطفه وإعجابه بها. سألته: أين وجدتم الجثة؟

- في حظيرة ماشية في بيت قرب براكهامبتن.

- وكيف وصلت إلى هناك؟

لم يجبها الشاب. فقالت: أظن أن جين ماربل هي التي وجدتها؛ إنها سيدة يعتمد عليها.

قال الشاب وهو يراجع بعض الأوراق: إن التي وجدت الجثة فتاة تدعى لوسي آيلسبارو.

- لم أسمع بها أبداً. ما زلت أعتقد أن جين ماربل لها علاقة بالأمر.

- على أية حال يا سيدتي، فإنك تشهدين بأن صاحبة هذه الصورة هي قطعاً المرأة التي رأيته في القطار، أليس كذلك؟

- وكان يخنقها رجل. بلى، أشهد بذلك.

- وهل يمكنك وصف الرجل؟

- كان رجلاً أسمر طويل القامة.

- وأيضاً؟

- هذا كل ما أستطيع قوله. كان يدبر لي ظهره فلم أر وجهه.

- ألا يمكنك أن تقدرى عمره؟

فكرت السيدة ماغليكدي وقالت: لا أستطيع... أقصد أنني لا أعرف، ولكن أكاد أكون واثقة أنه لم يكن في ريعان الشباب. كانت كتفاه متهدلتين قليلاً، إن كنت تفهم قصدي.

أوما الشاب برأسه. وأضافت تقول: عمره يبدأ بالثلاثين صعوداً، ولا أستطيع تقريبه أكثر من ذلك. الحقيقة أنني لم أكن أنظر إليه. كنت أنظر إليها هي ويداه حول رقبتها ووجهها... أزرق تماماً. ما زلت إلى الآن أحلم أحياناً بذلك المنظر.

قال الشاب: "لا بد أنها كانت تجربة محزنة". ثم أغلق دفتره وقال: متى ستعودين إلى إنكلترا؟

- ليس قبل ثلاثة أسابيع. هل هذا ضروري بالنسبة لي؟

طمأنها بسرعة قائلاً: لا. لا شيء يمكنك عمله في الوقت الحالي. لو اعتقلناه فإننا بالطبع...

لم يكمل عبارته تلك.

جاء البريد برسالة من الأنسة ماربل لصديقتها. كان الخط مشوشاً مهلهلاً، ولكن الممارسة الطويلة جعلت السيدة ماغليكدي تفك ألغازه بسهولة. وقد كتبت الأنسة ماربل سرداً كاملاً لصديقتها التي قرأت كل كلمة بسرور بالغ.

لقد أثبتت هي وجين للشرطة من هو المحق!

* * *

ولكن الطبخ يشيع غرائز الابتكار لدي، ويوجد في داخلي شيء يجعلني أستمع حقاً في ترتيب الفوضى.

- أنا أعيش في فوضى دائمة... إنني أحب ذلك.

- أنت تبدو كذلك.

- كوخني في إبيزا بسيط ومتواضع. عندي ثلاثة صحنون وفنجانان وسرير وطاولة وكريسيان. الغبار في كل مكان وروائح أصباغ الرسم وشظايا الحجر؛ فأنا أنحت بالإضافة إلى الرسم... ولا أسمح لأي شخص بلمس أي شيء.

- كم أود لو تتاح لي ساعة عمل في كوخك. سيكون ذلك تحدياً لقدراتي!

- لن تنالي هذه الفرصة.

- أعرف.

- يا لك من فتاة تتدخل في كل شيء! فهمت الآن لماذا كنت أنت التي اكتشفت الجثة! حتى إنك لم تستطعي ترك تابوت حجري قديم وشأنه... هذا التابوت الرائع الذي جاء به أبي من بلد بعيد! بالمناسبة، ما هو رأيك بوالدي؟

- لم يتح لي وقت كافٍ حتى أكوّن عنه رأياً.

- لا تهربي من الجواب. إنه بخيل جداً، وهو -برأيي- معتوه بعض الشيء. إنه يكرهنا جميعاً بالطبع... ربما باستثناء إيما. إنه بسبب وصية جدي...

الفصل الحادي عشر

قال سدريك وهو يتكى على الحائط المتداعي لحظيرة الماشية وينظر إلى لوسي: لا أستطيع فهمك.

قالت: ما الذي لا تفهمه؟

- ماذا تفعلين هنا؟

- إنني أكتب عيشي.

رد عليها باستخفاف: كخادمة؟

قالت لوسي: أنت من طراز قديم، تقول خادمة! أنا مساعدة منزلية... مدبرة منزل محترمة.

- لا يمكن أن تحبي كل الأشياء التي تكلفين بها فعلاً... الطبخ وترتيب الأسرة وكسب الأتربة وغمس اليدين إلى المرفقين في ماء تملؤه الدهون...

ضحكت لوسي وقالت: ربما لا أحب كل هذه التفاصيل.

نظرت إليه لوسي متسائلة، فقال: كان جدي رجل أعمال ذكياً وجمع ثروة من صناعة الأطعمة الخفيفة و الفطائر الجاهزة. ثم جاء وقت أعلن فيه والدي أن له روحاً وهمة أبعد من الفطائر ورقائق البطاطا فسافر إلى إيطاليا واليونان واهتم بالفن، وقد اغتاز جدي كثيراً فقرر أن والدي لا يصلح للأعمال ولا للحكم على الأعمال الفنية (وكان محقاً تماماً في الحالتين) ولذلك ترك كل ثروته تحت الوصاية لأحفاده. ويحصل والدي على عائدات هذه الثروة طوال حياته، لكنه لا يستطيع التصرف برأس المال. أتعرفين ما الذي فعله؟ توقف عن إنفاق النقود. جاء إلى هنا وبدأ يدّخر، وأظن أنه جمع الآن ثروة تعادل ما تركه جدي أصلاً. وفي غضون ذلك لم يحصل أي منا، هارولد وأنا والفرد وإيما، على أي فلس من أموال جدي. أنا رسام مقلّس. وهارولد ذهب ليعمل في مجال الأعمال وهو الآن شخصية مرموقة في المدينة. إنه رجل صاحب حسّ بارع في جمع المال، رغم أنني سمعت شائعات تقول إنه في وضع مالي صعب في الفترة الأخيرة. أما ألفرد... فهو معروف جيداً في أوساط العائلة بأنه ألفرد الشقي.

- لماذا؟

- أنت تريدان معرفة الكثير! الإجابة هي أن ألفرد هو الشخص المنحرف في العائلة. إنه لم يدخل السجن بعد، لكنه يوشك على ذلك. كان يعمل في وزارة التموين أثناء الحرب لكنه تركها فجأة في ظروف مريبة، وبعد ذلك حدثت بعض الصفقات المريبة في البيض والفواكه المعلبة. لم يكن الأمر بالغ الخطورة... فقط بعض الصفقات الجانيبة المريبة.

- أليس من غير الحكمة أن تخبر الغرباء بهذه الأمور؟

- لماذا، هل أنت جاسوسة للشرطة؟

- قد أكون.

- لا أظن ذلك؛ فقد كنت تكذحين هنا قبل أن يبدأ الشرطة بالاهتمام بأمرنا. أعتقد...

قطع حديثه حين جاءت أخته إيما من باب حديقة المطبخ وقال لها: مرحباً يا إيما. تبدين قلقة من شيء ما؟

قالت لوسي بلهافة: سأعود إلى البيت.

قال سدريك: لا تذهبي؛ لقد جعلتك جريمة القتل واحدة من أفراد العائلة عملياً.

قالت لوسي: لدي الكثير من العمل؛ لقد خرجت لأقطف بعض البقدونس.

عادت لوسي إلى حديقة المطبخ مسرعة، ونظرت إيما إلى أخيها بقلق وهي تقول: إنني مترعجة جداً يا سدريك؛ فمن الواضح أن الشرطة يعتقدون بأن المرأة القتيلة أجنبية، وربما فرنسية. سدريك، هل تعتقد أنها يمكن أن تكون مارتين؟

حذق سدريك إليها لبضع لحظات وكأنه لا يفهم ما تقول، ثم قال: مارتين؟ ولكن من هي بالله عليك... آه، تقصدين مارتين؟

- نعم، هل تعتقد...

- ولماذا عساها تكون مارتين؟

- إرسالها تلك البرقية كان غريباً... لا بد أنها أرسلت في نفس الوقت تقريباً. أنظرن أنها ربما جاءت إلى هنا و...

- هراء. ولماذا تأتي مارتين إلى هنا وتذهب إلى الخطيرة؟ لماذا؟ يبدو لي هذا أمراً بعيد الاحتمال.

- ألا تظن أن عليّ إبلاغ المفتش بيبكون أو المفتش الآخر؟

- تبلغيه بماذا؟

- بخصوص مارتين... عن رسالتها.

- لا تعقدي الأمور يا אחتي بذكرك الكثير من الأشياء التي ليس لها علاقة بكل هذا. وأنا لم أقتنع أبداً بتلك الرسالة من مارتين على أية حال.

- لكنني اقتنعت.

- لقد كنت دوماً بارعة في تصديق الأشياء بسرعة يا عزيزتي. نصيحتي لك هي أن تغلقي فمك وتكوني حذرة في كلامك. إن من واجب الشرطة أن يتعرفوا على الجثة التي وجدوها، وأعتقد أن هارولد له نفس الموقف أيضاً.

- آه، أعرف أن هارولد سيقول هذا، والفرد أيضاً. لكنني قلقة

يا سديك، إنني قلقة حقاً. لا أعرف ماذا أفعل؟

أجابها سديك على الفور: لا شيء. أبقى فمك مغلقاً يا إيما. إن شعاري هو أن لا تبخني عن المشكلات بنفسك.

تنهدت إيما و عادت متناقلة الخطوات إلى البيت والقلق باد عليها. وعندما وصلت إلى الممشى الخارجي خرج الدكتور كويمبر من البيت وفتح باب سيارته الأوسن البالية. وعندما رآها توقف، ثم غادر السيارة وجاء نحوها قائلاً: حسناً يا إيما. والدك في وضع صحي رائع. الجريمة تناسبه... لقد منحته اهتماماً بالحياة. لا بد أن أوصي بهذا لمزيد من المرضى.

ابتسمت إيما لاشعورياً. كان الدكتور كويمبر سريعاً في ملاحظة ردود الفعل، وسألها: هل يوجد ما يضايقك؟

نظرت إيما إليه. كانت تعتمد كثيراً على لطف الطبيب وتعاطفه، وقد أصبح صديقاً ترجع إليه في الأمور الطبية وسواها. ولم تخدعها فظاظته المحسوبة؛ فقد كانت تعرف رفته ولطفه. قالت: نعم إنني قلقة.

- هل تصارحيني؟ لا تفعلني إن كنت لا تريدني؟

- بلى، أودّ مصارحتك... بل إنك تعرف بعض الأمور بالفعل. المشكلة أنني لا أعرف ماذا أفعل.

- أعتقد أن أحكامك كانت دوماً موثوقة يعتمد عليها. ما هي المشكلة؟

- ربما تذكر (أو لعلك لا تذكر) ما قلته لك ذات مرة عن أخي الذي قُتل في الحرب؟

- تقصدين بخصوص زواجه بفتاة فرنسية أو رغبته بالزواج بها؟
كان شيئاً من هذا القبيل؟

- نعم. استلمتُ منه رسالة بهذا الخصوص وقتل بعد أن استلمت تلك الرسالة فوراً، ولم نسمع شيئاً عن الفتاة بعدها أبداً. كل ما كنا نعرفه في الواقع هو اسمها الأول، وتوقعنا منها دائماً أن تكتب رسالة أو تأتي، لكنها لم تفعل. ولم نستطع أي شيء... إلا قبل شهر واحد تقريباً، قبل عيد الميلاد بقليل.

- أذكر هذا... تلقيت منها رسالة، أليس كذلك؟

- بلى، وقالت إنها موجودة في إنكلترا وتحب أن تأتي لرؤيتنا. وقد رتبنا كل شيء، وفي آخر لحظة أرسلت برقية تقول فيها إنها تريد العودة إلى فرنسا لأمر عاجل.

- حسناً؟

- الشرطة يعتقدون أن تلك المرأة القتيلة كانت فرنسية.

- أحقاً؟ بدت لي أقرب إلى الإنكليز، لكن لا يمكننا الجزم بذلك. إن ما يقلقك - إذن - هو مجرد احتمال أن تكون المرأة القتيلة هي صاحبة أخيك؟

- نعم.

قال الدكتور كويمبر: أظن أنه أمر مستبعد جداً، ومع ذلك أفهم شعورك.

- أنا محتارة إن كان يجب عليّ إخبار الشرطة بهذا الأمر. سديك والآخرين يقولون إن ذلك غير ضروري أبداً. ما رأيك؟

زم الدكتور كويمبر شفثيه وصمت لحظة أو لحظتين مستغرقاً في التفكير، ثم قال كارهاً: من الأسهل طبعاً ألا تقول شيئاً. أفهم شعور إخوتك حيال هذا الأمر، ومع ذلك...

- نعم؟

نظر إليها نظرات مودة ثم قال: لو كنت مكانك لأخبرتهم فوراً. إذا لم تفعلني فسوف تستمرين في قلقك. إنني أعرفك.

احمرّ وجه إيما خجلاً وقالت: ربما كنتُ حمقاء.

- افعلني ما تريدينه يا عزيزتي... وليحدث ما يحدث لبقية العائلة!

* * *

هذه الغرفة مقفلة. إيما تحب العبث هنا لكنني لا أسمح لها فهي غرقتي. هل ترين هذه الحجارة؟ إنها عينات جيولوجية.

نظرت لوسي إلى ما يتجاوز ستة من الحجارة، بعضها مصقول وبعضها ليس كذلك. قالت بلطف: رائعة... مثيرة جداً.

- أنت على حق؛ فهي مثيرة. إنك فتاة ذكية. أنا لا أريها لكل واحد... سأريك بعض الأشياء الأخرى.

- هذا لطف منك، لكنني أريد متابعة ما كنت أعمله؛ فمع وجود ستة أشخاص في البيت...

- إنهم يأكلون من لحمي ودمي... هذا كل ما يفعلونه عندما باتون إلى هنا! يأكلون. حتى إنهم لا يعرضون عليّ دفع ثمن ما يأكلونه. طفيليون! كلهم ينتظرون موتي. لن أموت.. لن أموت حتى لا يفرحوا بموتي. إنني أقوى بكثير حتى مما تعرفه إيما عني.

- أنا متأكدة من ذلك.

- كما أنني لست بالعجوز كثيراً. إنها تظن أنني رجل عجوز. تعاملني على هذا الأساس. هل تعتقدين أنني عجوز؟

- بالتأكيد لا.

- فتاة واعية. انظري إلى هذه.

أشار إلى رسم كبير باهت معلق على الحائط. رأت لوسي شجرة عائلة بعض أسمائها مكتوب بخط صغير جداً يكاد لا يُرى

الفصل الثاني عشر

- أيتها الفتاة! أنت يا فتاة! تعالي هنا.

التفت لوسي مذهوثة. كان السيد كراكنثورب العجوز يشير إليها من داخل الغرفة. سألت: هل تريدني يا سيد كراكنثورب؟

- لا تتحدثي كثيراً... تعالي.

دخلت لوسي طائفة. أمسك السيد كراكنثورب بذراعها وسحبها إلى الداخل وأغلق الباب وقال: أريد أن أريك شيئاً.

نظرت لوسي حولها. كانا في غرفة صغيرة صُممت أصلاً لاستخدامها كمكتب فيما يبدو ولكن من الواضح أنها لم تستخدم لهذا الغرض منذ زمن طويل جداً. كانت أكوام من الأوراق التي علاها الغبار مترامية على الطاولة وبيوت العناكب تزين زوايا السقف، فيما انتشرت رائحة العفن والرطوبة.

سألته: هل تريد مني تنظيف هذه الغرفة؟

هز الرجل العجوز رأسه بقوة وقال: كلا، ليس ذلك. إنني أبقي

إلا بواسطة عدسة مكبرة. أما أسماء الأسلاف القدماء فكانت مكتوبة بخط كبير واضح.

قال السيد كراكتشورب: من سلالة ملوك... إنها شجرة عائلة والدتي وليس والدي. كان والدي رجلاً عادياً من عامة الناس! ولم يكن يحبني. كنت دائماً أعلى منه درجة، حيث أنني ورثت صفات أهل والدتي، وكان عندي ميلٌ طبيعي إلى الفن والمنحوتات الكلاسيكية، وكان يستخف بميولي هذه. عجوز سخيف أحق! أنا لا أتذكر والدتي؛ فقد ماتت عندما كنت في الثانية من عمري، وكانت آخر واحدة في عائلتها. لقد أفلست عائلتها فعرضت ممتلكاتها للبيع، وعندئذ تزوجت أمي بأبي. انظري هناك إلى أسماء أجدادي... كلهم من الملوك، وذلك كله قبل أن يحكم النورمانديون إنكلترا. قبل النورمانديين... إنه شيء عظيم، أليس كذلك؟

- إنه كذلك فعلاً.

- سأريك الآن شيئاً آخر.

أخذها إلى جهة أخرى من الغرفة حيث توجد قطعة أثاث خشبية كبيرة. كانت لوسي تشعر بالاضطراب وهي تحس قوة أصابعه التي تضغط على ذراعها. لم يبدُ ما يدل على ضعف السيد كراكتشورب اليوم.

أضاف يقول: أترين هذه؟ إنها من منزل أهل والدتي، وهي من العهد الإليزابيثي. تحتاج إلى أربعة رجال لتحريكها. لا تعرفين ما الذي أحفظ فيه بداخلها، أليس كذلك؟ هل تريدني مني أن أريك؟

قالت لوسي بأدب: أرجوك، أرني.

- أنت فضولية، أليس كذلك؟ كل النساء فضوليات.

أخرج من جيبه مفتاحاً وفتح باب الخزانة السفلية فأخرج منها علبة نقود جديدة تماماً، فتح هذه العلبة وقال: انظري إلى هذا يا عزيزتي. أتعرفين ما هذه؟

أخرج منها أسطوانة صغيرة مغلفة بالورق ومزق الورق من أحد الطرفين فسقطت في يده بعض القطع النقدية الذهبية.

- انظري إلى هذه يا فتاتي. انظري إليها، أمسكها، تحسسها. أتعرفين ما هذه؟ أراهنك على أنك لا تعرفين؛ فأنت صغيرة! إنها جنيهاً ذهبية قديمة. كنا نستخدمها قبل أن ينتشر استخدام هذه الأوراق النقدية القذرة. إن قيمتها أفضل بكثير من قيمة هذه الأوراق النقدية. لقد جمعتها منذ وقت طويل، وأنا أحفظ بأشياء أخرى في هذه العلبة. لقد وضعت فيها كثيراً من الأشياء... كلها من أجل المستقبل. إيما لا تعرف... لا أحد يعرف. هذا سرٌّ بيننا، أفهمت يا فتاتي؟ هل تعرفين لماذا أقول لك هذا وأريك هذه الأشياء؟

- لماذا؟

- لأنني لا أريدك أن تعتقدي بأنني رجل عجوز مريض واهن. ما زال في جسدي الكثير من الحياة. لقد تعرفت على زوجتي منذ زمن بعيد وكانت تعارض كل شيء دائماً. لم تعجبها الأسماء التي سميت أولادي بها رغم أنها أسماء سكسونية جيدة ولم تكن تهتم بشجرة عائلتي. ولم أكن ألتفتُ أبداً لما كانت تقوله، وكانت تدعن لي دائماً؛

فقد كانت امرأة ضعيفة مسكينة. أما أنت فإنك فتاة قوية نشيطة... شابة نشيطة لطيفة. سأعطيك نصيحة: لا تضيعي نفسك على شاب صغير. الشباب حمقى! لا بد أن تهتمي بمستقبلك. انتظري...

ضغطت أصابعه على يدها. قرّب فمه من أذنها وقال: لن أقول أكثر من هذا: انتظري. هؤلاء الحمقى المغفلون يظنون أنني ساموت قريباً، لكنني لن أموت. لن يدهشني أن أعيش بعدهم كلهم، وعندها سنرى! آه، نعم، سنرى. هارولد ليس لديه أطفال. سديريك وألفريد غير متزوجين. إيما... لن تتزوج أبداً. إنها تميل إلى كويمبر قليلاً، لكن كويمبر لن يفكر أبداً في الزواج بإيما. ولدنا ألكساندر بالطبع نعم، ولكن أتعلمين إنني أحب ألكساندر كثيراً؟ نعم، هذا غريب. إنني أحب ألكساندر كثيراً.

سكت قليلاً وهو يعبس ثم قال: حسناً أينها الفتاة، ما رأيك؟ ما رأيك؟

- آنسة آيلسبارو...

كان ذلك صوت إيما الذي تناهى ضعيفاً من خلال باب المكتب الموصد. انتهزت لوسي هذه الفرصة بامتنان وقالت: الآنسة كراكتشورب تناديني... يجب أن أذهب. أشكرك كثيراً لكل ما أريتني إياه.

- لا تنسي، إنه سرنا.

قالت لوسي: "لن أنسى". ثم أسرع وتخرجت إلى الصالة وهي غير واثقة تماماً إن كان ما تلقته لتوها عرضاً للزواج أم شيئاً آخر.

* * *

جلس ديرموت كرادوك مسترخياً وراء مكتبه في مكتب سكوتلانديارد. كان يتحدث بالهاتف وهو يرفع السماعه بيد بينما كانت اليد الأخرى على الطاولة. وكان يتحدث بالفرنسية التي كان يتقنها إلى حد ما. كان يقول: إنها مجرد فكرة فقط.

رد عليه صوت على الطرف الآخر من باريس: إنها فكرة بالتأكيد. لقد قمت بتحرياتي في تلك الدوائر، وقد أبلغني المخبر بأنه قام ببعض التحريات التي تبشر بخير. إن مثل هؤلاء النسوة يختفين بسهولة تامة دون أن يقلق عليهن أحد... قد يسافرون في عروض مسرحية جوالاً أو يذهبن مع عاشق جديد. ليس من شأن أحد أن يسأل عن هذا الأمر. ومن المؤسف أن الصورة التي أرسلتها إليّ يصعب على أي شخص التعرف إليها. كان الوجه مشوهاً بسبب الاختناق، ومع ذلك لا حيلة لنا في الأمر. سأذهب الآن لدراسة آخر التقارير التي توصل إليها عملائي في هذا الخصوص فقد نجد شيئاً مهماً. وداعاً يا صديقي.

وعندما كان كرادوك يضع السماعه وضعت ورقة على الطاولة أمامه وكان مكتوباً عليها: الآنسة إيما كراكتشورب تريد رؤية المفتش كرادوك بشأن قضية رذرفورد هول.

وضع السماعه وقال للشرطي: "أحضرها إليّ". وبينما كان ينتظر وصولها استند بظهره إلى الكرسي يفكر. إذن فهو لم يخطئ! لقد كانت إيما. كراكتشورب تعرف شيئاً... ربما ليس بالشيء الكثير لكنه شيء ما، وما هي تقرر إبلاغه به.

وقف لتحتيتها عندما دخلت وأجلسها على كرسي وعرض عليها

قهوة رفضتها، ثم سكت الاثنان لحظة. رأى أنها كانت تحاول البحث عن الكلمات التي تريد قولها. مال إلى الأمام وقال: لقد جئت لتقولي لي شيئاً يا آنسة كراكثورب. هل يمكنكني مساعدتك؟ لقد كنت قلقة من شيء ما؟ شيء صغير ربما ظننت أن لا صلة له بالقضية، لكنه قد يكون متصلاً بها من ناحية أخرى. لقد جئت إلى هنا لتخبريني عنه، أليس كذلك؟ ربما كان له علاقة بهوية المرأة القتيلة. هل تظنين أنك تعرفين من هي؟

- لا، لا، ليس ذاك تماماً. الحق أنني أعتقد أنه أمر مستبعد جداً، ولكن...

- ولكن يوجد احتمال ما يسبب لك القلق... من الأفضل أن تخبريني عنه؛ لأننا قد نستطيع إزالة قلقك.

سكنت إيما لحظات قليلة قبل أن تتكلم، ثم قالت: لقد رأيت ثلاثة من أخوتي، وكان لي أخ غيرهم يدعى إدموند قُتل في الحرب، وقبل مقتله بوقت قصير كتب لي رسالة من فرنسا.

فتحت حقيبتها وأخرجت منها رسالة ممزقة باهتة. قرأت منها:

أرجو ألا يكون ما سأقوله لك يا إيمي صدمة، ولكنني سوف أتزوج بفتاة فرنسية. حدث كل شيء فجأة، لكنني أعرف أنك ستحبين مارنين وأنت ستهتمين بها إن حدث لي شيء. سأكتب لك كل التفاصيل في رسالتي التالية... حيث سأكون عندها رجلاً متزوجاً. نلطفني في إبلاغ الرجل العجوز بهذا الأمر، فربما سيثور غاضباً.

مد المفتش كرادوك يده لأخذ الرسالة. ترددت إيما قليلاً ثم سلمته إيماها. أكملت تقول بسرعة: بعد يومين من تلقي هذه الرسالة تلقينا بريقة تقول إن إدموند مفقود ويُعتقد بأنه قتل. وبعد ذلك بُلغنا بشكل قاطع بمقتله، وكان ذلك قبل انسحاب دنكيرك بقليل. وقد حدثت في ذلك الوقت فوضى عارمة، ولم يكن في سجلات الجيش -عندما بحثت- أي شيء يدل على أنه كان متزوجاً. ولكن، كما قلت، فقد كانت الفوضى تعم البلاد. لم أسمع عن الفتاة أي شيء. حاولت بعد انتهاء الحرب عمل بعض التحريات لكنني لم أكن أعرف إلا اسمها الأول، وكانت المنطقة التي تعيش فيها في فرنسا محتلة من قبل الألمان ولذلك كان من الصعب معرفة أي شيء عنها دون معرفة اسم العائلة. وفي النهاية افترضت عدم وقوع الزواج أصلاً وأن الفتاة ربما تزوجت رجلاً آخر قبل نهاية الحرب، أو ربما قُتلت هي الأخرى.

أوماً المفتش كرادوك وأكملت إيما تقول: تصور دهشتي عندما تلقيت قبل شهر فقط رسالة موقعة باسم «مارتين كراكثورب».

- هل لديك هذه الرسالة؟

أخرجتها إيما من حقيبتها وسلمتها له. قرأها كرادوك باهتمام. كانت مكتوبة بالأسلوب الفرنسي في نطق الإنكليزية، ولكنه كان أسلوباً يدل على ثقافة صاحبة. تقول الرسالة:

آنستي العزيزة

أرجو ألا تُصدمني عندما تستلمين هذه الرسالة. أنا لا أعرف إن كان أخوك إدموند قد أخبرك أننا تزوجنا.

قال لي إنه سيبلغك بذلك، وقد قُتل بعد زواجنا بأيام قليلة فقط، وفي نفس ذلك الوقت احتل الألمان قريتنا. وبعد انتهاء الحرب قررت ألا أكتب إليك أو أتصل بك بالرغم من أن إدموند طلب مني ذلك. لكنني كنت قد شققت لي طريقاً جديداً في الحياة في ذلك الوقت ولم تكن الرسالة ضرورية. لكن الوضع الآن مختلف. إنني أكتب هذه الرسالة من أجل ابني - إنه ابن أخيك... ولم أعد أستطيع منحه المزايا التي يجب أن يحصل عليها. سأأتي إلى إنكلترا في بداية الأسبوع القادم. هل لك أن تبلغيني إن كنت أستطيع القدوم لرؤيتك أم لا. عنواني البريدي هو: ١٢٦ ألفرز كريست روم ١٠. أرجو مرة أخرى ألا يكون هذا صدمة لك.

أرجو أن تتقبلي تحياتي الحارة إليك.

مارتين كراكثورب

صمت كرادوك قليلاً. قرأ الرسالة مرة ثانية بحرص شديد ثم أعادها لها وهو يقول: ما الذي فعلته عندما تلقيت هذه الرسالة يا سيدتي؟

صدف أن كان زوج אחتي يقيم عندنا وحدثه عن الرسالة، ثم اتصلت بأخي هارولد في لندن فاستشرته بهذا الأمر. كان هارولد متشككاً في المسألة كلها ونصحني بالحذر الشديد، وقال بأننا يجب أن نتحقق من شخصية هذه المرأة.

سكنت إيما قليلاً ثم أكملت تقول: كان ذلك بالطبع مسألة طبيعية وقد وافقته تماماً. ولكن إذا كانت هذه الفتاة... أو المرأة... هي

مارتين حقاً التي كتب لي إدموند عنها، فإنه يتوجب علينا الترحيب بها. كتبت لها رسالة على العنوان الذي ذكرته في رسالتها أدعوها إلى زيارتنا، وبعد أيام قليلة تلقيت برقية من لندن تقول: "أنا آسفة جداً. اضطررت للعودة إلى فرنسا فجأة. مارتين". ولم أتلّق منها بعد ذلك أي رسالة أو خبر.

- ومتى حدث كل ذلك؟

قطبت إيما جبينها وقالت: قبل عيد الميلاد بوقت قصير. أردت أن أقترح عليها قضاء العيد معنا، لكن أبي رفض ذلك تماماً فاقترحتُ عليها أن تأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع الذي يليه. أظن أن البرقية التي تقول بأنها ستعود إلى فرنسا قد وصلتني قبل عيد الميلاد بأيام قليلة.

- وهل اعتقدت أن المرأة التي وجدت جثتها في التابوت ربما كانت مارتين هذه؟

- كلا بالطبع. ولكن عندما قلت إنها قد تكون أجنبية... فإنني لا أستطيع إلا أن أتساءل إن كانت...

تلاشى صوتها فسارع كرادوك لتهدئتها: لقد فعلت الصواب بإبلاغني عن هذا وسوف نتحقق من هذه المسألة. أظن أن هذه المرأة التي كتبت إليك قد عادت فعلاً إلى فرنسا وأنها على قيد الحياة وبصحة جيدة. إن في التواريخ مصادفة معينة وقد أدركت ذلك بذكائك. ولكن كما سمعت في التحقيق فإن وفاة المرأة قد حدثت وفق شهادة الطبيب الشرعي - قبل ثلاثة أسابيع إلى أربعة. أرجو ألا تلقني يا سيدتي، اتركي الأمر لنا.

ثم أضاف يقول عَرَضاً: لقد استشرت السيد هارولد، ولكن ماذا عن والدك وإخوتك الآخرين؟

- كان عليّ إخبار والدي بالطبع، وقد اغتاظ كثيراً.

ابتسمت إيما ابتسامة باهتة ثم أضافت: كان مقتنعاً بأنها مسألة مدبرة حتى تأخذ منا نقوداً. إن أبي يشور كثيراً عندما يتعلق الأمر بالمال، وهو يعتقد (أو يتظاهر بالاعتقاد) بأنه رجل فقير جداً وأنه لا بد أن يدخر كل بنس إن استطاع. أعتقد أن كبار السن تتابهم مثل هذه الهواجس أحياناً. هذا ليس صحيحاً بالطبع؛ فلديه دخل كبير جداً لا ينفق ربعه عملياً... أو اعتاد ألا ينفق حتى هذه الأيام التي تفرض فيها ضريبة دخل عالية. إنه يدخر مبلغاً ضخماً بالتأكيد.

سكتت قليلاً ثم أضافت تقول: ولقد أخبرت أخوتي الآخرين أيضاً. اعتبر الفرد المسألة مزاحاً رغم أنه رأى هو أيضاً أن فيها احتيلاً، أما سديريك فلم يكن مهتماً... إنه يميل للاهتمام بنفسه فقط. كان رأينا أن تستقبل العائلة مارتين وأن تطلب من محامي العائلة السيد ويمبورن الحضور هو الآخر.

- ما الذي كان السيد ويمبورن يعتقد به بخصوص الرسالة؟

- لم نبلغ مرحلة مناقشة الأمر معه. كنا على وشك ذلك عندما وصلتنا برقية مارتين.

- ألم تتخذوا أية خطوات أخرى؟

- بلى، لقد كتبت إلى العنوان في لندن لكنني لم أتلق أية

إجابة.

قال: "إنها مسألة غريبة..."، ثم نظر إليها نظرات حادة وقال: وما هو اعتقادك الشخصي؟

- لا أعرف شيئاً.

- وماذا كانت ردود فعلك في ذلك الوقت؟ هل اعتقدت أن الرسالة حقيقية؟ أم هل وافقت أباك وإخوتك في الرأي؟ ماذا عن زوج أختك بالمناسبة، ماذا كان يعتقد؟

- آه، كان برايان يعتقد أن الرسالة حقيقية.

- وأنت؟

- أنا... لم أكن متأكدة.

- وماذا كانت مشاعرك إزاء ذلك... إذا افترضنا أن تلك الفتاة كانت حقاً زوجة أخيك؟

انفجرت أسارير إيما وقالت: كنت أحب إدموند كثيراً وكان أخي الأقرب إلى قلبي... وقد أحسست أن هذه الرسالة حقيقية. كانت الأحداث التي وصفتها لي طبيعية تماماً، وقد افترضت أنها تزوجت مرة أخرى عند نهاية الحرب وأنه ربما مات زوجها هذا أيضاً وتركها فبدا لها أن من الصواب أن تطلب مساعدة عائلة إدموند (كما طلب منها إدموند نفسه أن تفعل). نعم، بدت لي الرسالة صادقة وطبيعية. وقد أشار هارولد إلى أنه إن كانت كاتبها تتحل شخصية مارتين فإنها ستكون امرأة تعرف كل الحقائق عنها، وبالتالي ستكتب رسالة مقبولة ظاهراً. كان عليّ الاعتراف بوجاهة هذا الرأي، ومع ذلك...

سكنت، فسألها كرادوك بهدوء: لقد أردت أن يكون الموضوع حقيقياً، أليس كذلك؟

نظرت إليه وقالت: بلى، أردته حقيقياً. كنت سأسعد كثيراً لو أن إدموند قد خلف ولداً.

أوما كرادوك برأسه وقال: كما تقولين، فإن الرسالة تبدو في ظاهرها حقيقية صادقة. إن ما يشير دهشتي هو النتيجة، وهي مغادرة مارتين المفاجئة إلى باريس وحقيقة أنك لم تسمعي منها أي خبر بعد ذلك. لقد رددت على رسالتها رداً لطيفاً وكنيت على استعداد للترحيب بها ولقائها. حتى لو توجب عليها أن تعود إلى فرنسا، لماذا لم تكتبي لكم مرة أخرى؟ هذا إذا افترضنا أنها امرأة صادقة. وإذا كانت امرأة محتالة فإنه أمر يسهل توضيحه بالطبع. كنت أظن أنك ربما استشرت ويمبورن ولذلك قام بتحرياته مما نبه المرأة إلى ذلك، ولكنك تقولين إنك لم تبلغيه. هل قام أحد إخوتك بمثل هذا التحقيق يا ترى؟ من المحتمل أن لمارتين هذه خلفية لا تتحمل معها التحقيق. ربما افترضت أنها ستعامل فقط مع أخت إدموند المحبة وليس مع رجال أعمال واقعيين شكاكين. ربما كانت تأمل أن تحصل منك على أموال من أجل الطفل (ولكنه لم يعد الآن طفلاً... لقد أصبح صبياً في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة) ودون أن تسألها كثيراً من الأسئلة. ولكن -بدلاً من ذلك- وجدت أنها ستواجه أمراً مختلفاً. أظن أن الجوانب القانونية المهمة ستظهر، فلو ترك إدموند كراكثورب ابناً من زواج شرعي، فإنه سيكون أحد ورثة عقارات وأموال جدك، أليس كذلك؟

أومات إيما برأسها موافقة. وأضاف المفتش كرادوك: كما أنه -كما علمت- يمكن أن يرث منزل رذرفورد هول عند وفاة جده، إضافة إلى الأرض المحيطة به، وهي أرض سكنية ثمينة جداً في الوقت الحالي.

بدأ أن إيما قد جفلت بعض الشيء. قالت: نعم، أنا لم أفكر في هذا الأمر.

- حسناً، لا تقلقي. لقد فعلت الصواب بمجيئك وإبلاغي بالأمر. سأقوم ببعض التحريات، ولكن يبدو لي أنه من المحتمل جداً أن لا توجد أي صلة بين المرأة التي كتبت الرسالة (والتي ربما كانت تحاول الحصول على نقود بطريق الاحتيال) وبين المرأة التي عثرنا على جثتها في التابوت.

نهضت إيما وهي تنتهد بارتياح وقالت: أنا سعيدة جداً لإبلاغك بالأمر؛ لقد كنت لطيفاً جداً معي.

رافقها كرادوك حتى الباب. ثم اتصل برقيب التحري ويذرال قائلاً: بوب، لدي عمل لك. اذهب إلى العنوان ١٢٦ إلفرز كريست، منزل رقم ١٠، وخذ صوراً معك للمرأة القتيلة في رذرفورد هول. انظر ماذا يمكن أن تجد بخصوص امرأة تسمى نفسها السيدة مارتين كراكثورب، وهي إما كانت تعيش هناك، أو كانت تذهب إلى هناك لاستلام الرسائل بين الخامس عشر من كانون الأول ونهاية الشهر.

- حسناً يا سيدي.

شغل كرادوك نفسه ببعض المسائل الأخرى المختلفة. وبعد

الظهر ذهب لرؤية وكيل أحد المسارح وكان صديقاً له. ولم تثمر
تحقيقاته عن نتيجة.

وبعد ذلك، عندما عاد إلى مكتبه في ذلك النهار، وجد برقية
من باريس موضوعة على مكتبه.

الأوصاف التي أعطيتها لنا قد تنطبق على أنا سترافنسكا من
باليه مارتسكي. أقترح عليك أن تأتي إلينا. التوقيع: ديسان، شرطة
باريس.

تنهد كرادوك بعمق وقد زال عنه الغم، وفكر في نفسه قائلاً:
أخيراً. هذا كثير على الطريدة مارتين كراكثورب!

وقرر أن يركب السفينة المتجهة إلى باريس ليلاً.

* * *

الفصل الثالث عشر

قالت الأنسة ماربل تخاطب إيما كراكثورب: إنه للطف بالغ
منك أن دعوتني لتناول الشاي معكم.

بدت الأنسة ماربل وهي مرتبكة ومضطربة صورة للسيدة
العجوز الرقيقة. ابتسمت وهي تنظر حولها.. إلى هارولد ببذلة
الجميلة الداكنة، والفرد وهو يقدم لها الفطائر بابتسامة ساحرة،
وسدريك وهو يقف قرب المدفأة بسترة صوفية بالية ويعبس في
وجوه أفراد عائلته.

قالت إيما بأدب: إننا مسرورون جداً لمجيئك.

لم يحدث أي تلميح إلى المشهد الذي حدث بعد الغداء في
ذلك اليوم عندما صاحت إيما: يا إلهي! لقد نسيت تماماً. لقد قلت
للأنسة آيلسبارو أنها تستطيع إحضار عمته العجوز لتناول الشاي
معنا اليوم.

وقد قال هارولد بفضفاضة: أجلي دعوتها؛ فما زال عندنا الكثير
مما ينبغي الحديث عنه، ولا نريد غرباء هنا.

وقال ألفرد: دعيها تشرب الشاي في المطبخ أو في أي مكان آخر مع الفتاة.

ولكن إيما قالت حازمة: كلا، لا أستطيع عمل ذلك؛ إنه عمل وقع جداً.

قال سدريك: آه، فلتأت. يمكننا إغراؤها قليلاً لتحدث عن لوسي الرائعة. أريد معرفة المزيد عن تلك الفتاة، فلست متأكداً من أنني أثق بها... إنها ذكية جداً.

قال هارولد: الذين زكّوها أشخاص مرموقون، وشخصيتها صحيحة لا غبار عليها. لقد بذلت جهداً لاكتشاف هذا الأمر، فلا بد للمرأة أن يتأكد بعد الذي رآه من تطفلها وكشفها الجثة بتلك الطريقة.

قال ألفرد: لو استطعنا أن نعرف صاحبة الجثة المشؤومة تلك!

أضاف هارولد غاضباً: أظن -يا إيما- أنك كنت مجنونة عندما ذهبت إلى الشرطة والمحت إلى أن هذه المرأة القتيلة ربما تكون صديقة إدموند الفرنسية. سيجعلهم هذا مقتنعين بأنها جاءت إلى هنا وأن واحداً منا هو الذي قتلها.

- آه، لا... لا تبالغ يا هارولد.

قال ألفرد: هارولد على حق. لا أدري ما الذي جعلك تفعلين هذا. بثّ أشعر أن رجال مخابرات سرية يتبعونني أينما ذهبت.

قال سدريك: قلت لها ألا تفعل ذلك، لكن كويمبر شجعها وساندها.

رد هارولد غاضباً: ليس هذا من شأنه. لماذا لا يلزم أدويته ووصفاته وعمله.

قالت إيما بضيق: أوقفوا هذا الشجار. إنني سعيدة لأن هذه السيدة العجوز قادمة لشرب الشاي معنا. نحن بحاجة لقدوم شخص غريب حتى نتوقف عن الخوض في هذه الأشياء مرة تلو الأخرى. يجب أن أذهب لأرتب نفسي قليلاً.

ثم غادرت الغرفة، فقال هارولد: "إن لوسي آيلسبارو هذه...". سكت قليلاً ثم قال: كما يقول سدريك، غريب أن تحشر أنفها في الحظيرة وتذهب لتفتح تابوتاً بهذا الحجم... إنها حقاً مهمة هرقلية. ربما كان علينا اتخاذ إجراءات معينة. لقد رأيت أن موقفها على الغداء كان عدائياً.

قال ألفرد: اتركوا لي أمرها؟ سأعرف على الفور إن كان يدور في خلدها شيء.

- الذي يحيرني هو: لماذا فتحت ذلك التابوت؟

قال سدريك: ربما لم تكن هذه الفتاة لوسي آيلسبارو أبداً.

بدا هارولد متضايقاً تماماً وهو يقول: ولكن ما هو غرضها؟ آه... تبا!

نظروا بعضهم إلى بعض بوجوه قلقة.

- وفوق ذلك تأتي تلك المرأة العجوز المزعجة لشرب الشاي،
في الوقت الذي نريد فيه أن نفكر.

قال ألفرد: ستحدث في هذه الأمور مساء اليوم. وفي غضون
ذلك، سوف نتزع من العجوز معلومات عن لوسي.

* * *

وهكذا جاءت لوسي بالآنسة ماربل في الوقت المحدد لتستقر
قرب الموقد، وها هي الآن تبسم في وجه ألفرد وهو يقدم لها
الفتائر. قالت: شكراً لك كثيراً... هل يمكنني سؤالك...؟ آه، بيض
وسردين، نعم، هذا جميل. أنا عادة ما أكون شرهة قليلاً عند شرب
الشاي. كما تعرفون فإن للعمر أحكامه... ووجبة الليل تكون خفيفة
بالطبع... يجب أن أكون حريصة.

ثم التفتت إلى مضيفتها مرة أخرى وقالت: بيتكم جميل وفيه
أشياء جميلة جداً. هذه الأواني البرونزية تذكّرني ببعض الأشياء التي
اشتراها والدي... من معرض باريس. الحق أن جدك كان رائعاً.
أليست تحفاً كلاسيكية؟ أنيقة جداً. كم هو مفرح أن يكون إخوتك
معك! لقد غدت العائلات مشتتة في الغالب؛ تربتهم في أفريقيا
والهند وفي الساحل الغربي ذي المناخ السيء.

- اثنان من إخوتي يعيشان في لندن.

- هذا رائع بالنسبة لك.

- لكن أخي سدريك رسام ويعيش في إيبيزا؛ وهي واحدة من
جزر باليريك قرب إسبانيا.

- الرسامون مولعون كثيراً بالجزر، أليس كذلك؟ شوبان مثلاً؟
ولكنه كان في مايوركا، أليس كذلك؟ وكان موسيقياً! إن من أعنيه
هو غوغان. كانت حياته محزنة... يشعر المرء أنها ضائعة. أنا شخصياً
لا أهتم أبداً بلوحات نساء الجزر المحليات، ورغم أنني أعرف أنه
رسام يحظى بإعجاب واسع، إلا أنني لم آبه أبداً لذلك اللون الوردي
الذي يميز رسومه... إن النظر إلى لوحاته يعكر حقاً مزاج المرء!

نظرت إلى سدريك نظرات تخلو من الاستحسان، فقال:
أخبرينا عن طفولة لوسي يا آنسة ماربل.

ابتسمت له بفرح وقالت: كانت لوسي دائماً ذكية جداً. نعم،
كنت كذلك يا عزيزتي، لا تقاطعيني. وكانت ملفنة للنظر جداً في
الحساب. أذكر عندما أخذ الجزار مني مبلغاً زائداً عن قطعة اللحم
التي اشتريتها...

ومضت الآنسة ماربل -بكل حماسة- في سرد ذكريات عن
طفولة لوسي، ثم انتقلت إلى خبرتها وحياتها الخاصة في حياة القرية.
وأثناء سرد ذكرياتها هذه دخل برايان والولدان وهما مبتلان ومتسخان
نتيجة لحماستهما في البحث عن أية خيوط تفك لغز الجريمة.

ثم أحضر الشاي، وجاء معه الدكتور كويمبر الذي رفع حاجبيه
دهشة عندما نظر حوله ورأى السيدة العجوز. وقال يخاطب إيمّا:
أرجو ألا يكون والدك متوذكاً يا إيمّا؟

- آه، لا، لكنه متعب قليلاً الآن.

قالت الأنسة ماربل بابتسامة خبيثة: أظنه يريد تجنب استقبال الزوار. إنني أتذكر والدي العجوز تماماً. كان يقول لوالدتي: "هل دعوت العديد من البشطاوات؟ أرسلني لي الشاي إلى المكتب إذن". وكان فظاً جداً في هذه الأمور.

قالت إيما: أرجو ألا تعتقدي...

لكن سدريك قاطعها قائلاً: إنه يشرب الشاي في مكتبه دائماً عندما يأتي أولاده الأعزاء من المدينة. وهو أمر طبيعي من الناحية السيكولوجية، أليس كذلك يا دكتور؟

كان الدكتور كويمبر يلتهم الشطائر والكعك بكل النهم والإقبال الواضح لرجل لا يملك عادة وقتاً يقضيه على وجبات الطعام. أجاب قائلاً: السيكولوجية بخير طالما تُركت لأهلها من السيكولوجيين. المشكلة الآن أن كل امرئ أصبح عالماً نفسياً هاوياً، حتى إن مرضاي يحدثونني عن العقد والمشكلات النفسية التي يعانون منها دون أن يعطوني فرصة للتعليق. شكراً يا إيما سأشرب فنجاناً آخر؛ فلم يكن لدي وقت للغداء اليوم.

قالت الأنسة ماربل: لقد اعتقدت دائماً أن حياة الطبيب سامية جداً وكلها نكران الذات.

قال الدكتور كويمبر: هذا يعني أنك لا تعرفين الكثير من الأطباء. كانوا يسمونهم سابقاً طفيليين وهم كذلك في الغالب! على أية حال فإننا نحصل على رواتب هذه الأيام؛ فالدولة تتولى

هذا الأمر. لم نعد نرسل فواتير علاج نعرف تماماً أنها لن تُدفع. المشكلة هي أن كل المرضى مصممون على أخذ كل ما يمكنهم من «الحكومة»؛ ونتيجة لذلك فإن طفلاً يسعل في الليل مرتين فيُستدعى الطبيب المسكين لعلاج في منتصف الليل. آه، جيد! كعك رائع يا إيما. يا لك من طبخة ماهرة!

- ليس ذلك من صنعي، بل من صنع الأنسة آيلسبارو.

قال الطبيب من باب الولاء: ولكن الكعك الذي تصنعيه لا يقل عن هذا جودة.

- هلا جئت لرؤية والدي؟

نهضت وتبعها الطبيب، فقالت الأنسة ماربل: أرى أن الأنسة كراكشورب ابنة مخلصة جداً.

قال سدريك الجريء: لا أتخيل كيف تتحمل هذا العجوز.

أسرع هارولد يقول: إن لديها هنا بيتاً مريحاً جداً، كما أن والدي متعلق بها كثيراً.

قال سدريك: إيما جيدة... وُلدت لتكون خادمة عجزاً.

طرفت عينا الأنسة ماربل قليلاً وهي تقول: آه، هل تعتقد هذا؟

رد هارولد بسرعة: إن أخي لم يستخدم هذا التعبير بقصد الازدراء يا سيدتي.

قالت الأنسة ماربل: آه، هذا لم يخرجني أبداً، بل تساءلت فقط إن كان محقاً في قوله. أنا -شخصياً- لا أظن أن الأنسة كراكتورب ستكون خادمة عجوزاً. أعتقد أنها من النوع الذي يتزوج في وقت متأخر من حياته... وينجح في هذا الزواج.

قال سدريك: ليس هذا محتملاً ما دامت تعيش هنا؛ حيث لا يمكنها مقابلة رجلٍ ترتبط به.

طرفت عينا الأنسة ماربل بشكل ظاهر أكثر، قالت: يوجد هنا -كأي مكان آخر- مدرسون وأطباء.

قلبت نظرها بين الحاضرين... كانت نظرات شقية لعبوة. وبدأ واضحاً أنها أوحى لهم بشيء لم يفكروا فيه أبداً، ولم يجدوه أمراً ساراً.

وقفت الأنسة ماربل وأسقطت -وهي تقف- حقيبتها وعدداً من الأوشحة الصوفية التي كانت بيدها، فقام الإخوة الثلاثة بالتقاط هذه الأغراض عن الأرض.

قالت الأنسة ماربل: إنه لطف منكم. آه، نعم، لفاعي الأزرق الصغير. نعم... كما قلت، أشكركم كثيراً على دعوتي إلى هنا. كنت أتصور كيف يكون بيتكم حتى أنخيل لوسي العزيزة وهي تعمل هنا.

قال سدريك: في ظروف منزلية مثالية... مع جريمة قتل!

قال هارولد غاضباً: سدريك!

ابتسمت الأنسة ماربل في وجه سدريك وقالت: أعترف بمنزلة

تذكرني؟ بالشاب توماس إيد، ابن مدير البنك عندنا. كان يجد متعة كبرى في صدم الناس وإزعاجهم. ولم يكن هذا ينفع في العمل المصري بالطبع، ولذلك رحل إلى جزر الهند الغربية. وبعد وفاة والده عاد إلى بيته وقد ورث كثيراً من الأموال، وكان ذلك شيئاً رائعاً بالنسبة له؛ إذ كان دوماً أفضل كثيراً في إنفاق المال منه في جمعه.

* * *

أوصلت لوسي الأنسة ماربل إلى بيتها. وفي طريق عودتها خرج شبح من الظلام ووقف في الطريق تحت أضواء السيارة بينما كانت تريد الالتفاف لدخول الطريق الخلفي. أشار بيده عالياً فعرفت أنه ألفرد، وعندما ركب السيارة معها قال: هذا أفضل... بررر... الجو بارد! كنت أظن أن المشي والركض في مثل هذا الوقت جميل، لكنه ليس كذلك. هل أعدت السيدة العجوز إلى بيتها؟

- نعم، لقد رفعت عن نفسها كثيراً.

- رأيت ذلك. غريب ذوق العجائز وجهن لأي لقاء أو تجمع، مهما كان مملاً مضجراً. والواقع أنه لا يوجد ما يبعث على الملل أكثر من بيتنا... أنا لا أطيق العيش هنا يومين. كيف تحملت العيش هنا يا لوسي؟ هل تمانعين لو ناديتك بلوسي؟

- أبداً. إنني لا أجِد الحياة هنا مملة ولكنني -بالطبع- لا أعمل هنا بصفة دائمة.

- كنت أراقبك... إنك فتاة ذكية يا لوسي. أذكى بكثير من أن تضيعي عمرك في الطبخ والتنظيف.

- أشكرك، لكنني أفضل الطبخ والتنظيف على عمل المكتب.

- وكذلك أنا. ولكن للعيش طرقاً أخرى... يمكنك أن تكوني

مستقلة.

- أنا كذلك.

- ليس بهذه الطريقة. أقصد أن تعلمي لصالحك وتستخدمي

ذكاءك ضد...

- ضد ماذا؟

- القوى السائدة! كل القوانين والتعليقات السخيفة التافهة التي

تقف عائقاً أمامنا هذه الأيام. الشيء المثير هو وجود طريقة للالتفاف

عليها دائماً إن كان المرء من الذكاء بحيث يجدها... وأنت ذكية.

هيا، هل راقت لك هذه الفكرة؟

- محتمل.

- أدخلت لوسي السيارة في ساحة الإسطل.

- ألا تريد الالتزام بشيء؟

- أحب أن أسمع المزيد.

- بصراحة يا عزيزتي، أستطيع استخدامك. إن لديك أسلوباً

لا يقدر بـشمن... أسلوباً يبعث الثقة.

- هل تريد مني مساعدتك في بيع سبائك ذهب؟

- ليس الأمر بهذه الخطورة. إنما قليل من الالتفاف حول القانون... لا أكثر. أنت ذكية جداً يا لوسي؛ أريدك شريكة لي.

- يا له من إطراء!

- أعني هذا أنك لن تفعلني شيئاً؟ فكّري في الموضوع. فكّري في

المتعة... المتعة التي تحصلين عليها من التفوق على كل أولئك السادة

المدّعين المحترمين. المشكلة هي أن المرء بحاجة إلى رأس مال.

- أخشى أنه لا يوجد عندي شيء من ذلك.

- آه، أنا لا أطلب منك مالاً! لن يمضي وقت طويل حتى

أضع يدي على مال. لا يمكن لأبي أن يعيش إلى الأبد... هذا

البخيل القاسي! وعندما يموت سأحصل على مال كثير. ما رأيك

بهذا يا لوسي؟

- ما هي الشروط؟

- الزواج إن أعجبك. ويبدو أن النساء تعجبهن فكرة الزواج

مهما بلغت إمكاناتهن واستقلاليتهن المالية. كما أن المتزوجات

لا يمكن إجبارهن على الإدلاء بشهادتهن ضد أزواجهن.

- ليس في هذا ما يبشر بخير!

- هيا اخرجي من هذه المماحكة يا لوسي. ألا تدركين أنني

وقعت في حبك؟

فوجئت لوسي عندما أدركت السحر الغريب الذي يتمتع به

ألفرد؛ فلقد كان ذا سحر خاص. ضحككت وهي تقول: ليس الوقت وقت عبث... عندي عشاء أريد إعداده.

- هذا صحيح يا لوسي، وأنت طاهية بارعة. ماذا ستقدمين لنا على العشاء؟

- انتظر وسئري! إنك شقي كذبتك الصبيين!

دخلا البيت وأسرعت لوسي إلى المطبخ، ولم تلبث أن فوجئت عندما رأت هارولد كراكتشورب يدخل عليها ويقطع عليها عملها.

- هل يمكنني الحديث معك في أمر معين آنسة آيلسبارو؟

- ألا يمكنك تأخير ذلك يا سيد كراكتشورب؟ لقد تأخرت في إعداد العشاء.

- بالتأكيد... بالتأكيد. بعد العشاء؟

- نعم، سيكون ذلك جيداً.

قدم الطعام في وقته المحدد ونال إعجاب الحاضرين. وبعدما أنهت لوسي غسل الأطباق وخرجت إلى الصالة وجدت هارولد في انتظارها. قالت: نعم يا سيد كراكتشورب؟

- هل ندخل هنا؟

فتح باب غرفة الاستقبال ودخل قبلها، ثم أغلق الباب وراءها وقال: سوف أغادر في وقت مبكر من صباح الغد، لكنني أريد أن أقول لك بأن قدرتك وكفاءتك قد أثارا إعجابي.

قالت لوسي وقد فوجئت قليلاً: أشكرك.

- أشعر بأن قدراتك ضائعة هنا... ضائعة هباء.

- أحقاً؟ لكنني لا أرى ذلك؟

فكرت لوسي في نفسها: "إنه -على أية حال- لا يستطيع طلب يدي للزواج؛ فلديه زوجة".

- بعد أن قمت على خدمتنا هنا بهذه الطريقة الرائعة خلال هذه المحنة القاسية فإنني أدعوك لزيارتي في لندن. اتصل بي لتحديد موعد وسوف أترك عند سكرتيرتي بعض التعليمات. الحقيقة هي أننا نستطيع توظيف واحدة في مثل قدراتك الفائقة في الشركة. يمكننا أن نناقش بالتفصيل أفضل مجال يمكننا فيه استخدام مواهبك هذه. يمكنني أن أقدم لك -يا آنسة آيلسبارو- راتباً ممتازاً مع مستقبل واعد، وأعتقد أنك ستسرين من ذلك كثيراً.

كان يتسم ملء فمه، فقالت لوسي بوقار: أشكرك يا سيد كراكتشورب... سأفكر في الأمر.

قال: "لا تنتظري طويلاً. يجب ألا تفوت مثل هذه الفرصة فناءً تلهف لشق طريقها في هذه الحياة". ثم ابتسم مرة أخرى وقال: نصبحين على خير يا آنسة آيلسبارو. أرجو لك نوماً هادئاً.

قالت لوسي تخاطب نفسها: "حسناً... حسناً... هذا كله مشير تماماً!". وفي طريقها إلى غرفة النوم صادفت سديريك على الدرج. قال: اسمعيني يا لوسي، عندي شيء أريد أن أقوله لك.

- هل تريد الزواج بي كي آتي إلى إبيزا وأعتني بك؟

بدا سدريك ذاهلاً تماماً، بل ومذعوراً بعض الشيء. قال: لم أفكر أبداً في مثل هذا الأمر.

- آسفة... إنها غلطتي.

- كنت أريد -فقط- معرفة إن كان يوجد في البيت جدول بمواعيد القطارات.

- أهذا كل شيء؟ يوجد واحد على طاولة الصلاة.

قال سدريك موبخاً: يجب ألا تفكري أن كل واحد يريد الزواج بك. صحيح أنك فتاة جميلة، ولكنك لست جميلة لتلك الدرجة. يوجد اسم لمثل هذا السلوك... إنه ينمو في داخلك فتزدادين سوءاً. والواقع أنك آخر فتاة في هذا العالم يمكن أن أهتم بالزواج بها... آخر فتاة.

- حقاً؟ لا حاجة بك لأن تردد مثل هذا الكلام. ربما كنت تفضلني زوجة لأبيك؟

حملق سدريك فيها مصعوقاً وقال: ما هذا؟

قالت لوسي: "لقد سمعتني جيداً". ثم دخلت غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

* * *

الفصل الرابع عشر

كانت العلاقة بين ديرموت كرادوك وآرمون ديسان (من شرطة باريس) تزداد رسوخاً. وكان الرجلان قد التقيا في بعض المناسبات وتعمقت بينهما الصداقة، وحيث أن كرادوك كان يتكلم الفرنسية بطلاقة فإن معظم حديثهما كان يتم بها.

نبهه ديسان قائلاً: إنها مجرد فكرة. لدي صورة لفرقة الباليه... وهي الرابعة من اليسار. هل تعني لك أي شيء؟

رد عليه المفتش كرادوك بأنها لا تعني أي شيء في الواقع؛ فليس من السهل التعرف على الشكل الحقيقي لامرأة مخنوقة، وفي هذه الصورة كانت الفتيات قد وضعن الكثير من مساحيق التجميل.

قال: يمكن ذلك... لن أزيد على هذا. من تكون هذه؟ ما الذي تعرفه عنها؟

قال ديسان: لا شيء تقريباً؛ فلم تكن فتاة مهمة، كما أن فرقة ميريتسكي للباليه غير مشهورة أيضاً. وهي تؤدي عروضها في مسارح الضواحي وتنتقل من مكان إلى آخر. وعلى كل حال، سأخذك لرؤية مديرة الفرقة مدام جوليت.

كانت مدام جوليت امرأة فرنسية عملية ذات نظرات حادة وشارب صغير وجسم مكنتز. صاحبت بهما دون أن تخفي كراهيتها للزيارة: أنا لا أحب الشرطة؛ إنهم يسببون لي إحراجات كلما استطاعوا ذلك!

قال ديسان (الذي كان رفيعاً طويلاً القامة كتيب المظهر): لا، لا يا مدام، يجب ألا تقولوا هذا. متى سببت لك إحراجاً؟

ردت عليه فوراً: بخصوص تلك الصغيرة الحمقاء التي شربت الفينول لأنها وقعت في حب رئيس الأوركسترا الذي لا يهتم بالنساء. لقد عملت لي فضيحة كبيرة وقتها، وهو ما يسيء لفرقتي الجميلة.

قال ديسان: على العكس؛ فهذا قد جلب لك شهرة وإقبالاً من الجماهير. وهو كان قبل ثلاث سنوات... يجب ألا تحملي الحقد. والآن، بخصوص هذه الفتاة التي تُدعى أنا سترافنسكا.

قالت بحذر: حسناً، ماذا بشأنها؟

سألها المفتش كرادوك: أهى روسية؟

- كلا. تحسب هذا بسبب اسمها؟ إن الفتيات جميعهن يسمين أنفسهن بهذه الأسماء. لم تكن راقصة جيدة أو مهمة، كما لم تكن جميلة المظهر.

- هل كانت فرنسية؟

- ربما... كانت تحمل جواز سفر فرنسياً، لكنها أخبرتني - ذات مرة - بأنها متزوجة برجل إنكليزي.

- هل أخبرتك بأن لها زوجاً إنكليزياً؟ أهو حي أم ميت؟

هزت مدام جوليت كتفها وقالت: ميت أو أنه تركها، كيف لي أن أعرف؟ هؤلاء الفتيات... يقعن في مشكلات مع الرجال دائماً.

- متى... رأيته آخر مرة؟

- أخذت فرقتي إلى لندن مدة ستة أسابيع. قدمنا عروضنا في توركي وفي بورنماوث وإيستبورن وفي مكان آخر نسيته وفي هامرسمث. ثم عدنا إلى فرنسا، لكن أنا لم تعد معنا. وقد أرسلت رسالة تقول فيها بأنها تريد ترك الفرقة لتعيش مع عائلة زوجها... وهو كلام لم أحسب - شخصياً - أنه كان صحيحاً.

أوما المفتش كرادوك برأسه. أدرك أن ذلك ما كانت مدام جوليت ستظنه دوماً.

- ولا اعتبر هذا خسارة لي؛ فأنا أستطيع إحضار فتيات أفضل منها. لذلك لم أكتب لرسالتها ولم أفكر بها... ولماذا أفعل؟ إن هؤلاء الفتيات كلهن سواء؛ متيمات بالرجال.

- متى كان ذلك؟

- تقصد متى عدنا إلى فرنسا؟ كان ذلك... نعم... يوم الأحد الذي سبق عيد الميلاد. وقد تركتنا أنا قبل ذلك بيومين أو ثلاثة أيام... لا أتذكر بالضبط، ولكن أذكر أننا قدمنا عرضنا في هامرسمث في نهاية الأسبوع دونها... وهذا استدعى إعادة ترتيب الأدوار. كان تصرفاً سيئاً جداً منها، لكن هؤلاء الفتيات... في اللحظة التي يلتقين

فيها برجل فإنهن ينسبن كل شيء. وقد قلت للجميع بأنني لن أعيدها إلى الفرقة!

- كان تصرفاً مزعجاً لك؟

- آه! أنا... إنني لا أهتم. لا شك بأنها أمضت عطلة عيد الميلاد مع رجل صادفته. هذا ليس من شأني... أستطيع إحضار فتيات غيرها.

سكنت مدام جوليت وسألت باهتمام مفاجئ: لماذا تريدان العثور عليها؟ هل حصلت على ثروة؟

قال المفتش كرادوك بأدب: على العكس. بل نخشى أنها ربما تكون قد قُتلت.

عادت مدام جوليت إلى عدم اكتراثها وقالت: هذا ممكن... لا بد أنها تورطت في أمر ما! لقد كانت كاثوليكية، وكانت تذهب إلى الكنيسة أيام الأحد... ولا شك أنها كانت تذهب للاعتراف وطلب المغفرة.

- هل تحدثت معك يا سيدتي عن ولد لها؟

- ولد؟ هل تقصد أنه كان لها طفل؟ هذا ما أعتبره بعيد الاحتمال.

- ربما كان لها طفل قبل أن تعمل على المسارح... أثناء الحرور على سبيل المثال.

- آه! الحرب؟ هذا ممكن، ولكن إن كان ذلك صحيحاً فإنني لا أعرف عنه شيئاً.

- من هي أقرب الصديقات إليها من الفتيات؟

- يمكنني إعطاؤك اسمين أو ثلاثة أسماء... لكنها لم تكن على علاقة حميمة مع أي منهن.

لم يحصل على أي شيء مفيد من مدام جوليت غير هذا. وعندما عرضاً عليها لعبة التجميل قالت إن أنا كانت تملك واحدة من ذلك النوع ولكن معظم الفتيات كن يحملن مثلها أيضاً، وقالت إن أنا ربما اشتريت معطف فراء من لندن، لكنها لم تكن تعرف... "أنا أشغل نفسي بالتمرينات والصعوبات التي تواجه عملنا. ليس عندي وقت لملاحظة ما تلبسه راقصاتي".

وبعد مقابلتهما لمدام جوليت قابلا الفتيات اللاتي رشحتهم. اثنتان منهن كانتا تعرفان أنا جيداً، لكنهن جميعاً قلن إنها لم تكن من النوع الذي يتحدث عن نفسه كثيراً وإنها عندما كانت تفعل ذلك كان معظم كلامها كذباً... كما قالت واحدة من الفتيات.

- كانت تحب التظاهر... تقص حكايات عن كونها صديقة لدوق كبير أو رجل مال إنكليزي عظيم... وكيف عملت مع المقاومة في الحرب. بل إنها حكّت قصة عن كونها نجمة سابقة في هوليود.

وقالت فتاة أخرى: أظن - فعلاً - أنها كانت تعيش الحياة البسيطة المحيطة للطبقة الوسطى. كانت تحب الباليه لأنها رأتها عملاً رومانسياً مشيراً، لكنها لم تكن بارعة في الرقص. كانت تعرف أنها لو قالت

إن أباه كان بائع أقمشة مثلاً فإن ذلك لن يكون رومانسياً! ولذلك كانت تختلق الأكاذيب والقصص.

قالت الفتاة الأولى: حتى في لندن كانت تلقي بالتلميحات عن رجل غني جداً كان سيأخذها في رحلة حول العالم لأنها تذكره بابهته التي قتلت في حادث سيارة. يا له من كذب!

قالت الفتاة الثانية: أخبرتني بأنها ستقيم مع لورد ثري في اسكوتلاندا، وقالت بأنها قد تصيد غزالاً هناك.

لم يكن في كل هذا الكلام فائدة للتحقيق. كل ما ظهر منه هو أن أنا كانت كاذبة بارعة. من المؤكد أنها لم تكن تصيد الغزلان في اسكوتلاندا مع أحد النبلاء، ولا كانت أيضاً على متن باخرة تجوب أنحاء العالم. ولكن لم يبدُ -أيضاً- أي سبب يدعو للتصديق بأن جثتها قد وجدت داخل تابوت في رذرفورد هول.

لم يكن تعرفُ الفتيات ولا مدام جوليت على صورة القتيلة جازماً؛ فقد كن مترددات غير متأكدات. اتفقن جميعاً على أنها تشبه أنا، لكنهن أضفن أنها -بشكلها المنفوخ في الصورة- قد تكون أي واحدة أخرى.

الحقيقة الوحيدة التي تأكدت هي أن أنا سترافنسكا قد قررت يوم التاسع عشر من كانون الأول عدم العودة إلى فرنسا، وأنه في يوم العشرين من نفس الشهر سافرت امرأة تشبهها إلى براكهامبتن في قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة وقد قُتلت فيه خنقاً.

إذا لم تكن المرأة التي في التابوت هي أنا سترافنسكا، فأين أنا الآن؟

كان جواب مدام جوليت عن هذا السؤال بسيطاً وأكيداً: "مع رجل!". وفكر كرادوك بأن ذلك قد يكون الجواب الصحيح، ولكن كان يجب التفكير باحتمال آخر... وقد ألحّت في ذهنه الملاحظة العابرة بأن أنا ذكرت مرة أن لها زوجاً إنكليزياً.

هل كان ذلك الزوج هو إدموند كراكشورب؟ بدا ذلك بعيد الاحتمال إذا فكر بصورة أنا التي كوّنها عنها من الفتيات اللاتي عرفنها... كان الاحتمال الأرجح هو أن أنا كانت تعرف -في وقت من الأوقات- الفتاة مارتين معرفة حميمة بحيث تعرف عنها التفاصيل الضرورية. ربما كانت هي التي كتبت تلك الرسالة لإيما كراكشورب، وقد كان من شأنها -في هذه الحالة- أن تشعر بالخوف من أية إثارة لإمكانية إجراء تحقيق، وربما رأت أنه من الحكمة لها أن تقطع علاقتها بفرقة الباليه. ولكن، مرة أخرى: أين هي الآن؟

ومرة أخرى، بدا له أن إجابة مدام جوليت هي الأرجح احتمالاً: مع رجل!

قبل أن يغادر كرادوك باريس ناقش مع ديسان مسألة المرأة التي تدعى مارتين. كان ديسان يميل إلى موافقة زميله الإنكليزي بأن الأمر قد لا تكون له أي صلة بالمرأة التي وجدت جثتها في التابوت، لكنه وافقه على ضرورة التحقق من المسألة، وطمأنه بأنه سيبدل جهده

للتحقق من احتمال وجود سجل لزواج جمع بين الملازم إدموند كراكتشورب (من فوج ساوثشير الرابع) وفتاة فرنسية اسمها الأول هو مارتين، وذلك قبل سقوط دنكيرك بقليل.

ومع ذلك فقد حذر ديسان زميله كرادوك بأن الحصول على إجابة قطعية مسألة مشكوك فيها؛ فالمنطقة هذه عانت في تلك الفترة من الاحتلال الألماني ومن الدمار والخراب الشديدين بحيث دُمّرت الكثير من المباني والسجلات.

"ولكن اطمئن يا زميلي العزيز، سنبدل جهدنا"... كانت تلك آخر عبارة يقولها قبل أن يفارق كرادوك.

* * *

عندما عاد كرادوك كان الرقيب ويذرال في انتظاره ليقول له عابساً: عنوان شقق مفروشة... هذا هو العنوان ١٢٦ إلفرز كريستنت؛ مكان محترم لا شبهة عليه.

- هل تعرّف إليها أحد؟

- لا، لم يستطع أحد التعرف إلى الصورة على أنها المرأة التي كانت تأتي لأخذ الرسائل، لكن لا أظن أن بإمكانهم هذا على أية حال؛ فقد مضى على ذلك شهر كامل تقريباً، وكثير من الناس يستخدمون هذا المكان... إنه قسم داخلي للطلبة.

- ربما أقامت هناك تحت اسم آخر.

- لقد عمّمنا على الفنادق، ولكن لم تسجل فيها أية زبونة باسم

مارتين كراكتشورب. وعندما تلقينا مكالمتك من باريس تحريتنا عن أنا سترافنسكا. لقد أقامت مع أعضاء فرقها في فندق رخيص في أحد فروع شارع بروك غرين، وقد غادرت الفندق ليلة الخميس التاسع عشر من كانون الأول بعد العرض. لا توجد أية سجلات أخرى.

أوما كرادوك بالموافقة واقترح القيام بمزيد من التحريات (بالرغم من شكه في نجاح هذه التحريات)، وبعد قليل من التفكير اتصل بالسيد ويمبورن وطلب موعداً للقائه.

وفي الوقت المحدد دخل على السيد ويمبورن في غرفته الخالية من الهواء الطلق حيث كان يجلس وراء مكتب كبير قديم مغطى بأكوام من الأوراق المغبرة.

نظر السيد ويمبورن إلى زائره نظرات احتراس كتلك التي ينظر بها محامي العائلة إلى الشرطة. قال: ما الذي يمكنني عمله لك حضرة المفتش؟

- هذه الرسالة...

دفع كرادوك برسالة مارتين إليه، فلمسها باستياء واضح لكنه لم يرفعها. احمرّ وجهه قليلاً وزم شففيه وقال: جيد، جيد! لقد تلقيت رسالة من الأنسة إيما كراكتشورب صباح أمس تبلغني فيها عن زيارتها لسكوتلانديارد. بوسعي القول إنني في حيرة من أمري ولا أفهم تماماً... لماذا لم تخبرني عن تلك الرسالة عندما وصلتها؟ أمر غريب جداً؛ كان ينبغي إبلاغي على الفور!

كرر المفتش كرادوك عبارات التهذئة على مسامع السيد

ويمبورن الذي قال بصوت مجروح: لم أكن أعرف شيئاً عن مسألة زواج إدموند.

قال المفتش كرادوك: "إن الأمور في أوقات الحرب..." ثم ترك جملته مبتورة غامضة.

قال السيد ويمبورن بفظاظة وغضب: وقت الحرب! نعم، لقد أصابت قنبلة البيت الذي يلينا مباشرة، وقد أتلقت الكثير من السجلات. لم تلتف المستندات المهمة في الحقيقة؛ فقد نقلناها إلى الريف حفاظاً عليها، لكنها سببت فوضى عارمة. وكانت معاملات كراكثورب في يد والدي في ذلك الوقت، وقد توفي قبل ست سنوات. أعتقد أنه ربما علم بزواج إدموند المزعوم هذا... ولكن يبدو من ظاهر الأمر أن ذلك الزواج لم يحدث، حتى وإن جرى التفكير فيه، ولذلك لم يعره والدي أي اهتمام. ولا يسعني إلا القول إن الأمر يبدو غريباً جداً بالنسبة لي: تأتي امرأة بعد كل هذه السنين وتزعم أنه تزوجها وأن لها ابناً شرعياً منه... أمرٌ مريبٌ جداً في الواقع. قل لي -بربك- ما هو الدليل الذي تملكه؟

- ماذا سيكون وضعها أو وضع ابنها في هذه الحالة؟

- أظن أن الفكرة من ذلك هي حمل عائلة كراكثورب على إعالتها وإعالة ابنها.

- نعم، لكن ما قصده هو: ما هي الحقوق التي ستترتب لها ولائها من الناحية القانونية... إذا ما أثبتت دعواها؟

- آه، فهمت.

رفع السيد ويمبورن نظارته التي كان قد وضعها جانباً على الطاولة بسبب غضبه ولبسها وهو يحمل في المفتش كرادوك باهتمام شديد. قال: في الوقت الحالي، لا شيء. ولكن إذا استطاعت إثبات أن الولد هو ابن إدموند كراكثورب وأنه ولد من زواج شرعي فسوف يأخذ الولد حصته من ثروة جوسيا كراكثورب عند وفاة جده لوثر كراكثورب. وأكثر من هذا، سيرث منزل رذرفورد هول، حيث أنه ابن أكبر الأبناء.

- وهل يرغب أحد بوراثة البيت؟

- بقصد العيش فيه؟ كلا بالتأكيد. لكن هذا المنزل ذو قيمة مرتفعة جداً يا عزيزي المفتش؛ فهو يقع -عملياً- في وسط براكهامبتن. آه، نعم، إنه إرث كبير جداً.

- أظنك قلت لي إن سدريك هو الذي سيحصل عليه إذا مات والده؟

- إنه سيرث الأراضي... نعم، كونه أكبر الأبناء الذين على قيد الحياة.

- ولكن سدريك -كما فهمت- غير مهتم بالمال؟

حرق السيد ويمبورن إلى كرادوك بنظرات باردة. قال: حقاً؟ أنا -شخصياً- أميل إلى اعتباره كلاماً مبالغاً فيه. قد يوجد أناس معينون لا تهمهم الدنيا ولا يكتروثون بالمال، ولكنني لم ألتق بواحد منهم أبداً.

بدا واضحاً أن السيد ويمبورن قد أعجبته عبارته هذه.

أسرع المفتش كرادوك للاستفادة من هذه الفرصة. قال مجازفاً: يبدو أن هارولد والفرد كانا مترعجين كثيراً من وصول تلك الرسالة؟

- ممكن... هذا ممكن فعلاً.

- هل ستقتل المبلغ الذي سيرثاه؟

- بالتأكيد. سيحصل ابن إدموند (مع تأكيد شكلي بوجوده) على نصيب الخمس من الدخل المالي للأموال الموضوعة تحت الوصاية.

- ولكن هذا لا يبدو - حقاً - خسارة فادحة؟

نظر إليه السيد ويمبورن نظرات حادة وقال: إنه دافع غير كاف أبداً للقتل... إن كان هذا ما تعنيه.

- لكنني أظن أنهما معدمان مادياً.

تحمل كرادوك نظرات السيد ويمبورن الحادة إليه دون اكتراث. قال المحامي: أه! إذن فقد كان الشرطة يقومون بتحريراتهم في هذا المجال؟ نعم، إن الفرد في ضائقة مالية بشكل دائم. يحصل على أموال كثيرة من وقت لآخر ولمدة قصيرة، لكنها سرعان ما تضيع. أما هارولد فيبدو أنه (كما عرفتم ولا بد) في وضع حرج نوعاً ما.

- على الرغم من مظهره الذي يدل على غناه؟

- مجرد مظاهر... كلها مظاهر! إن نصف تجار المدينة لا يعرفون إن كانوا يستطيعون الوفاء بديونهم أم لا. يمكن عمل

موازن المدفوعات بحيث تبدو مطمئنة في عين غير الخبير، ولكن عندما لا تكون الأصول المدرجة في الميزانيات حقيقية، وعندما تكون هذه المؤسسات على شفا الانهيار... فماذا يحدث؟

- عندها سيكون هارولد في أمس الحاجة للمال.

- حسناً، ولكنه ما كان ليحصل على هذه الأموال بخلق أرملة أخيه. كما أن أحداً لم يقتل الأب العجوز... وهي جريمة القتل الوحيدة التي تنفع العائلة. ولذلك لا أدري - أيها المفتش - إلى أين تؤدي بك أفكارك هذه؟

رأى المفتش كرادوك أن أسوأ ما في الأمر هو أنه نفسه لم يكن يعرف جواباً لذلك.

* * *

- لا شك أنك تشعر على هذا النحو يا سيد كراكثورب، لكنها
مسألة روتين عادي بالنسبة لنا.

رد عليه هارولد وقد نفذ صبره: حسناً، وما الأمر هذه
المرة؟

- سأكون مسروراً إن أخبرتني - بالضبط - بما كنت تفعله يوم
العشرين من كانون الأول الماضي... ولنقل: من الثالثة بعد الظهر
وحتى منتصف الليل.

احمر وجه هارولد وبدأ عليه شيء من الغضب وقال: يبدو لي
أن هذا سؤال غريب جداً... أريد أن أعرف ما يعنيه؟

ابتسم كرادوك بلطف وقال: إنه يعني أنني أريد أن أعرف أين
كنت بين الساعة الثالثة بعد الظهر وحتى منتصف ليلة الجمعة العشرين
من كانون الأول.

- لماذا؟

- هذا سيساعدنا في تضيق دائرة التحري.

- تضيق دائرة التحري؟ إذن فلديك معلومات إضافية؟

- نأمل أن نكون قد اقتربنا قليلاً يا سيدي.

- لست متأكداً أبداً إن كان عليّ الإجابة عن سؤالك... أقصد
دون حضور محامي الخاص.

الفصل الخامس عشر

كان المفتش كرادوك قد تواعد مع هارولد كراكثورب في
مكتبه، وقد وصل مع الرقيب ويذرال في الوقت المحدد. كان
المكتب في الطابق الرابع من مجمع كبير للمكاتب، وبدأ من الداخل
فخماً ويدل على ذوق حديث ونجاح وازدهار.

استقبلتهما فتاة أنيقة وقادتهما إلى مكتب هارولد الخاص.
كان هارولد جالساً خلف مكتب ضخم مكسو أعلاه بالجلد وكان
يبدو واثقاً من نفسه كالعادة، ولئن كانت معلومات المفتش الخاصة
قد قادت إلى الاستنتاج بأن هارولد على شفا ضائقة مالية فإنه لا أثر
بدل على ذلك.

رفع بصره مرحباً وقال: صباح الخير أيها المفتش. أرجو أن
يعني هذا أنك أحضرت إلينا أخباراً محددة أخيراً؟

- أخشى أن ذلك لم يحدث يا سيدي. كنت أرغب فقط في
توجيه بعض الأسئلة الأخرى إليك.

- مزيد من الأسئلة؟ لقد أجبتك حتى الآن عن كل شيء يمكن
تصوره.

- هذه المسألة تعود لك بالطبع. أنت غير ملزم بالإجابة عن أي سؤال ولك الحق الكامل بإحضار محاميك قبل ذلك.

- دعني أفهم الأمر، هل يعني ذلك أنك... أنك تحذرنني؟

أظهر كرادوك أنه فوجئ بهذا السؤال: آه، كلا يا سيدي. ليس الأمر هكذا؛ فالأسئلة التي أسألك إياها أطرحها على الكثير من الناس أيضاً، وليس فيها أي شيء شخصي. إنها مسألة حذف أسماء من دائرة الشك فحسب.

- بالطبع... أنا أريد مساعدتكم بأي شيء أستطيعه. دعني أذكر الآن؛ فسؤال كهذا لا تكون إجابته جاهزة فوراً، ولكننا منظمون جداً هنا. أظن أن الأنسة إيلس تستطيع المساعدة.

تكلم بأحد الهواتف الموجودة على مكتبه كلمات مختصرة وسرعان ما دخلت المكتب فتاة شابة ترتدي بذلة سوداء أنيقة حاملة معها دفتر ملاحظاتها.

- سكرتيرتي الأنسة إيلس... المفتش كرادوك. والآن يا آنسة إيلس، يريد المفتش معرفة ما كنتُ أفعله بعد ظهر ومساء يوم... ما هو اليوم؟

- الجمعة، العشرون من كانون الأول.

غادرت الأنسة إيلس الغرفة ثم عادت وهي تحمل مذكرة المكتب وتقلب صفحاتها. قالت: كنتُ في المكتب صباح العشرين من كانون الأول وكان لديك اجتماع مع السيد غولدي بخصوص

اندماج مؤسسة كرومارتي، ثم تناولت الغداء مع اللورد فونفيل في مطعم بيركلي.

- آه، كان ذلك اليوم... نعم.

- وعدتُ إلى المكتب بحدود الساعة الثالثة وأملت علي بوضع رسائل، ثم غادرت لحضور مزاد سودبي (حيث كنت مهتماً ببعض المخطوطات النادرة التي كانت ستباع في المزاد في ذلك اليوم). ولم تعد إلى المكتب بعدها، ولكنني كتبتُ ملاحظة أذكرك فيها بحضور عشاء في نادي كاترنغ ذلك المساء.

ثم رفعت بصرها متسائلة، فقال هارولد: شكراً لك آنسة.

خرجت الأنسة إيلس من الغرفة. قال هارولد: لقد تذكرتُ كل شيء الآن. ذهبت إلى سودبي بعد ظهر ذلك اليوم، لكن الأشياء التي بيعت هناك كانت مرتفعة الأسعار. ثم تناولت الشاي في مقهى صغير في شارع جيرمين... أظنه يُدعى مقهى راسلز. ثم ذهبت إلى مسرح الأخبار مدة نصف ساعة أو نحو ذلك، ثم عدت إلى البيت... إنني أسكن في المنزل رقم ٤٣ في كاريغان غاردنز. كان عشاء نادي كاترنغ في الساعة السابعة والنصف في قاعة كاتر، وبعده عدت إلى البيت للنوم. أظن أن ذلك يجيب عن أسئلتك.

- هذا واضح يا سيد كراكتورب. كم كانت الساعة عندما عدت إلى البيت لتبدل ثيابك؟

- أظن أن ذلك كان بعد السادسة بقليل.

- وبعد تناولك العشاء؟

- أظن أنها كانت الحادية عشرة والنصف عندما وصلت إلى البيت.

- هل فتح خادمك لك الباب؟ أم أن الليدي كراكتشورب هي التي...

- لقد سافرت زوجتي، الليدي كراكتشورب، إلى جنوب فرنسا، وهي هناك منذ بداية شهر كانون الأول... لقد دخلت البيت وحدي.

- إذن لا يوجد أحد يشهد على عودتك إلى البيت في الساعة التي تقولها؟

نظر إليه هارولد نظرة باردة وقال: أظن أن الخدم سمعوني عندما دخلت... الخادم وزوجته. ولكن، أيها المفتش...

- أرجوك يا سيد كراكتشورب... أعرف أن هذه الأسئلة مزعجة، لكنني انتهيت تقريباً. هل لديك سيارة خاصة؟

- نعم، من نوع هامبر هوك.

- هل تقودها بنفسك؟

- نعم. لا أستخدمها كثيراً إلا في العطل الأسبوعية. إن قيادة السيارة في لندن مسألة مستحيلة هذه الأيام.

- أظن أنك تستخدمها عندما تذهب لزيارة والدك وأختك في براكهامبتن؟

- كلا، إلا إذا كنت سأبقى هناك فترة طويلة من الزمن. إذا

كنت أريد قضاء ليلة واحدة فقط هناك (كما حدث ذلك اليوم لحضور التحقيق) فإنني أذهب بالقطار. القطارات ممتازة، وهي أسرع من ذهابي في سيارة بكثير. وهناك، في المحطة، تكون في انتظاري السيارة التي تستأجرها شقيقتي.

- أين تضع سيارتك؟

- إنني أستأجر موقفاً في الشارع الخلفي من كارديغان غاردنز. هل بقيت أسئلة أخرى؟

قال المفتش كرادوك مبتسماً وهو يقف على قدميه: أظن أن هذا يكفي الآن. أنا أسف جداً على إزعاجك.

عندما خرجا من المكتب قال الرقيب ويذرال (وهو رجل يعيش في حالة من الشك في كل شيء بلا استثناء): لم تعجبه هذه الأسئلة... لم تعجبه أبداً؛ كان متضايقاً.

أجاب المفتش بهدوء: إذا لم ترتكب جريمة قتل ثم جاء شخص ما ليظن أنك ارتكبتها فإنه أمر طبيعي أن تشعر بالضيق. وهذا يزعم رجلاً ذا مكانة محترمة مثل هارولد كراكتشورب على وجه الخصوص... ليس في ذلك شيء. إن ما علينا معرفته هو إن كان أحد قد رأى هارولد في المزاد العلني بعد ظهر ذلك اليوم، ونفس الأمر ينطبق على المقهى. كان يستطيع السفر في قطار الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة بسهولة ليلقي بالمرأة خارج القطار ثم يعود في قطار آخر إلى لندن في الوقت المناسب لحضور العشاء. ونفس الطريقة كان يستطيع الذهاب بسيارته في تلك الليلة ليعثر على الجثة ويضعها

في الثابت ثم يعود إلى لندن بسيارته مرة أخرى. قم بالتحريات في الشارع الخلفي لمتزله.

- حاضر يا سيدي. هل تعتقد أن هذا ما فعله؟

- وكيف لي أن أعرف؟ إنه رجل طويل أسمر. ربما كان في ذلك القطار، كما أن له علاقة براذر فوردهول. إنه مشتبه به محتمل في هذه القضية. والآن إلى أخيه ألفرد.

* * *

كانت لألفرد كراكتشورب شقة في وست هامبستد في مبنى كبير حديث له ساحة كبيرة يوقف فيها أصحاب الشقق سياراتهم آمنتين.

كانت الشقة من النوع الحديث، وواضح أنه استأجرها مفروشة. وكان فيها سرير يمكن طيّه ليصبح أريكة وطاولة وعدة كراسي بأحجام غير متناسقة.

استقبلهما ألفرد كراكتشورب ببشاشة وترحاب، ولكن المفتش أحس ببعض الارتباك لديه وهو يقول: لقد أثارت زيارتك فضولي. هل تريد فنجاناً من الشاي أيها المفتش؟

- لا، أشكرك يا سيد كراكتشورب.

- هل الأمر سيء إلى هذه الحد؟!

كرر المفتش كرادوك سؤاله الصغير الذي سأله لأخيه من قبل، فرة قائلاً: ماذا كنت أفعل عصر ومساء يوم العشرين من كانون الأول. كيف لي أن أعرف؟ لقد مضى على ذلك أكثر من ثلاثة أسابيع.

- استطاع أخوك هارولد أن يخبرنا عن ذلك بالضبط.

قال ألفرد: "يمكن لهارولد أن يفعل ذلك، أما أنا فلا". ثم أضاف بنبرة فيها مسحة من الخبث الحسود: هارولد هو الناجح في هذه العائلة... دائماً مشغول، ولديه موعد لكل شيء، وكل شيء يسير حسب جدول زمني. حتى لو أراد ارتكاب جريمة قتل -مثلاً- فإنه سيوقت لها توقيتاً دقيقاً محكماً.

- هل لديك أي سبب لاستخدامك هذا المثل؟

- آه، لا. هذا ما تبادر إلى ذهني. إنها حماقة تامة!

- والآن، ماذا عنك؟

بسط ألفرد ذراعيه وقال: كما قلت لك... ليس عندي ذاكرة فيما يخص الأوقات والأماكن. لو سألتني عن يوم عيد الميلاد لاستطعت أن أجيب عن سؤالك؛ فقد أمضينا ذلك اليوم مع أبي في براكهامبتن. لا أعرف حقاً لماذا؛ فهو يشكو ويتذمر من نفقات استضافتنا... وكان سيتذمر ويشكو لو لم نذهب إليه ذلك اليوم. الحقيقة أننا نذهب هناك من أجل أختي.

- ولكن كان والدك مريضاً لسوء الحظ، أليس كذلك؟

كان كرادوك يتبع -عامداً- منحى جانبياً في حديثه مدفوعاً بنوع من الغريزة التي اكتسبها خلال حياته المهنية.

- كان مريضاً. إنه يعيش كعصفور الدوري من أجل قضية الاقتصاد المجيدة، وقد كان للتخمة المفاجئة تأثيرها عليه.

- أكان الأمر بسبب ذلك فقط؟

- بالطبع، وماذا غيره؟

- فهمت أن طبيبه كان... قلقاً.

تحدث ألفرد بسرعة وازدراء: آه، ذلك الأحمق كويمبر.
لا فائدة من الإصغاء إليه أيها المفتش... إنه من أسوأ المتلذذين
بالسوء.

- حقاً؟ يبدو لي أنه رجل واعي مدرك.

- إنه أحمق تماماً. والدي ليس مريضاً حقيقة، ليس في قلبه
أي شيء غير عادي، لكنه يفهم كويمبر فهماً تاماً. ومن الطبيعي أن
والدي أحدث ضجة كبرى عندما شعر - حقيقةً - بالمرض، وجعل
كويمبر يأتي ويذهب ويسأل أسئلة عن كل شيء أكله وشربه... كان
كل شيء سخيفاً!

كان ألفرد يتكلم بحماسة غير عادية. وصمت كرادوك لبعض
الوقت صمتاً ذا تأثير معين. تمللم ألفرد ورماء بنظرة سريعة ثم قال
بفظاظة: حسناً، ما هذا كله؟ لماذا تريد أن تعرف أين كنت في يوم
جمعة معين قبل ثلاثة أسابيع أو أربعة؟

- إذن فأنت تذكر أنه كان يوم جمعة؟

- أظن أنك قلت هذا؟

- ربما قلت. على أية حال فإن يوم الجمعة العشرين من كانون

الأول هو ما أسألك عنه.

- لماذا؟

- استفسار روتيني.

- هذا هراء. هل كشفتم المزيد عن هذه المرأة؟ من أين

جاءت؟

- معلوماتنا لم تكتمل بعد.

نظر إليه ألفرد بحدة وقال: أرجو ألا تكون قد سمحت لنظرية
إيما المستهجنة تلك أن تضللك... أعني احتمال كون تلك المرأة
أرملة أخي إدموند. هذا هراء تام.

- تلك المرأة، مارتين، هل لجأت إليك قط؟

- يا إلهي! كلا. كان من شأن ذلك أن يشكل طرفة.

- هل ترى من الأرجح أن تلجأ إلى أخيك هارولد؟

- هذا مزعج أكثر؛ فاسمه يتردد في الصحف كثيراً، وهو غني.
لن أدesh إذا ما حاولت الاتصال به. وهذا لا يعني أنها ستحصل
على ما تريد؛ فهارولد بخيل مثل والده العجوز. إن إيما هي صاحبة
القلب الرقيق في العائلة، وهي الأخت المفضلة عند إدموند. ومع
ذلك فهي ليست بالساذجة. كانت تدرك احتمال أن تكون هذه المرأة
محتالة، وقد عملت على أن تكون العائلة بأكملها هناك... وكذلك
المحامي المخضرم.

قال كرادوك: عمل حكيم. هل تحدد موعد معين لذلك

اللقاء؟

- كان مقرراً بعد عيد الميلاد مباشرة... في عطلة نهاية الأسبوع
يوم السابع والعشرين من كانون الأول.

- آه، أرى أن بعض التواريخ تعني لك شيئاً.

- قلت لك... لم يتحدد موعد ثابت.

- لكنكم تحدثتم عنه. متى؟

- لا أستطيع حقاً أن أذكر.

- ألا تستطيع إخباري بالذي كنت تفعله، أنت شخصياً، يوم
الجمعة العشرين من ذلك الشهر؟

- آسف... لا أذكر شيئاً.

- ألا تحتفظ بدفتر للمواعيد؟

- لا أستطيع تحمل هذه الأشياء.

- الجمعة التي سبقت عيد الميلاد... لا ينبغي أن يكون تذكر
ذلك صعباً.

- لعبت الغولف في أحد الأيام مع زبون محتمل... لا، كان
ذلك في الأسبوع الذي قبله. إذن ربما كنت أتسكع. إنني أقضي الكثير
من وقتي في التسكع.

- ربما استطاع بعض أصدقائك المساعدة في هذا؟

- ممكن، سأسألهم... سأبذل ما بوسعي.

- بدا ألفرد - في تلك اللحظة - واثقاً من نفسه أكثر من قبل وقال:
لا أستطيع إخبارك عما كنت أفعله في ذلك اليوم، لكنني أستطيع أن
أخبرك بما لم أفعله. لم أكن أقتل أي امرأة في حظيرة منزلنا.

- ولماذا تقول هذا يا سيد كراكتشورب؟

- هيا يا عزيزي المفتش... أنت تحقق في هذه الجريمة،
أليس كذلك؟ وعندما تبدأ تسألني: "أين كنت في اليوم الفلاني في
الوقت الفلاني؟" فإنك تريد تقريب وتحديد الأمور. أود معرفة سبب
اختيارك يوم الجمعة العشرين من الشهر بين.. ماذا؟ وقت الغداء
ومتصف الليل؟ لا يمكن أن يكون ذلك نتيجة دليل طبي عن موعد
الوفاة، بعد كل هذا الوقت. هل رأى أحد القتيلة وهي تتسلل إلى
الحظيرة بعد الظهر؟ دخلت ولم تخرج أبداً... أهذا هو السبب؟

كان يراقب المفتش كرادوك بعينه السوداوين الحادثتين،
لكن المفتش كان أكثر خبرة وتمرساً من أن يتفعل من أسئلته تلك.
قال بشيء من السرور: أخشى أن علينا تركك تخمن هذا الأمر
بنفسك؟

- الشرطة يتكتمون كثيراً.

- ليس الشرطة فقط. أعتقد - يا سيد كراكتشورب - أنك تستطيع
أن تذكر ما كنت تفعله في تلك الجمعة لو حاولت. وربما كانت
لديك - بالطبع - أسبابك لعدم الرغبة في التذكر...

- لن تصيدني بهذه الطريقة أيها المفتش. إن عدم قدرتي على
التذكر تشير الريبة، تشير الريبة فعلاً. لكن هذه هي الحقيقة! انظر

قليلاً لقد ذهبت إلى ليدز ذلك الأسبوع وبقيت في فندق قريب من قاعة المدينة... لا أذكر اسمه، لكنك ستجده بسهولة. ربما كان ذلك يوم الجمعة.

قال المفتش بلهجة جافة: "ستتحقق من ذلك". ثم نهض وقال: أنا آسف لأنك لم تكن متعاوناً معنا أكثر من ذلك يا سيد كراكثورب.

- إنه أمر مؤسف جداً بالنسبة لي! سديريك يملك دفعاً بالغية عن مكان الجريمة، في إيبيزا، وهارولد بالطبع، المرتبط بمواعيد عمل ودعوات عشاء عامة كل ساعة... وها أنا ذا هنا دون دليل يثبت مكاني وقت الجريمة. أمر محزن جداً، وسخيف جداً أيضاً. لقد أخبرتك - من قبل - بأنني لا أقتل الناس. وعلى أية حال، لماذا عساني أقتل امرأة مجهولة؟ لماذا؟ حتى لو كانت الجثة هي جثة أرملة إدموند، لماذا يريد واحد منا قتلها؟ لا، بل كنا سنستمع جميعاً بجعل والدنا يتأفف ويتذمر قبل أن يعطيها معاشاً ويرسل الصبي إلى مدرسة محترمة. كان من شأن أبي أن يفقد صوابه، لكنه ما كان ليرفض فعل هذا الأمر... إنني آسف جداً لعدم استطاعتي مساعدتكم.

* * *

- اسمع يا سيدي، أتعرف ماذا حدث؟

نظر المفتش إلى رقيب المتفعل وقال: نعم يا ويذرال، ماذا

هناك؟

- لقد ضبطته يا سيدي؛ ذلك الرجل. كنت أحاول طوال الوقت حل اللغز وفجأة وجدته. كان متورطاً في حادث الأغذية المعلبة مع دكي روجرز. لم أمسك عليه أي ممسك؛ فقد كان أحرص من أن يترك عليه ممسكاً. كما كان متورطاً مع واحد أو أكثر من جماعة سوهو... قضية الساعات والهدايا الإيطالية.

بالطبع... أدرك كرادوك الآن لماذا بدا وجه ألفرد مألوماً منذ البداية. كان ألفرد يقف دائماً على هامش مواطن الشبهة ومعه ذوماً سبب بريء مقنع لعلاقاته مع المشبوهين. لكن الشرطة كانوا واثقين تماماً من أنه كان يتلقى أرباحاً ثابتة صغيرة بشكل مستمر.

قال كرادوك: هذا يلقي بعض الضوء على الأمور.

- أعتقد أنه فعلها؟

- لا أظن أنه من النوع الذي يرتكب جريمة قتل، لكنه يوضح أموراً أخرى... سبب عدم استطاعته إثبات مكان وجوده وقت الحادث.

- نعم، إنه أمر سيء بالنسبة له.

- ليس شيئاً إلى ذلك الحد. لقد اتبع خطأً ذكياً تماماً... إذ اكتنفي بالقول جازماً إنه لا يتذكر. كثير من الناس لا يمكنهم أن يتذكروا ما فعلوه وأين كانوا حتى قبل أسبوع واحد فقط. إنه عمل مفيد إذا كنت لا تريد لفت انتباه أحد إلى الطريقة التي تقضي بها وقتك... لقاءات مثيرة مع جماعة دكي روجرز على سبيل المثال.

- إذن فأنت تعتقد أنه غير مذنب؟

- لست على استعداد - حتى هذه اللحظة - للاعتقاد ببراءة أحد.
يجب أن نتحقق من هذه المسألة يا ويذرال.

عاد كرادوك فجلس عابساً على مكتبه وبدأ يسجل بعض
الملاحظات على دفتر الموضوع أمامه. كتب:

القاتل... رجل أسمر طويل القامة!

الضحية؟... قد تكون مارتين صديقة إدموند أو
أرملة.

أو: قد تكون أنا سترافنسكا. تركت العمل في فرقها
في وقت يناسب توقيت الجريمة، كما أن عمرها
وشكلها وملابسها تناسب الضحية أيضاً. لا علاقة لها
براذرفورد هول (حسبما هو معروف). هل تكون زوجة
ثانية لهارولد؟ (تهمة تعدد الزوجات!)...

إذا كانت علاقتها مع ألفرد فقد تكون علاقة ابتزاز.
أكانت تملك معلومات قد تقوده إلى السجن؟
وإذا كان سدريك... فقد تكون لها علاقة به في الخارج.
باريس؟ أو تلك الجزر في الأطلسي؟

أو: قد تكون الضحية أنا سترافنسكا وهي تتحل
شخصية مارتين.

أو: الضحية امرأة مجهولة قتلها مجرم مجهول!

ثم قال كرادوك بصوت مرتفع: "والأرجح هو الاحتمال
الأخير".

فكر في الوضع مكتئباً. لا يمكنك أن تتقدم في قضية ما ما لم
تعرف الدافع، وكل الدوافع المقترحة حتى الآن إما أن تكون غير
كافية أو بعيدة مستهجنة. لو كان الضحية هو العجوز كراكشورب
لتوفر العديد من الدوافع...

تحرك في ذاكرته شيء... كتب مزيداً من الملاحظات في
دفتره:

اسأل الدكتور كويمبر عن مرض ليلة عيد الميلاد.

سدريك... مكان وجوده ساعة الجريمة.

مراجعة الأنسة ماربل لسماع آخر الأقاويل.

قبل. السير هنري كليذرنغ هو عزابه، وهو صديق قديم لي.

- هل تريدن - يا آنسة آيلسبارو - سماع ما قاله السير هنري عنها... في أول مرة التقينا فيها؟ لقد وصفها بأنها أفضل «امرأة تحر» خلقها الله على وجه الأرض... عبقرية طبيعية نمت في بيئة مناسبة. وقد أوصاني بالآ استخف أبدأ بالسيدات المسنات وقال بأنهن يستطعن - في العادة - أن يقلن لك ماذا يمكن أن يحدث، وماذا يجب أن يحدث، وماذا حدث فعلاً، كما أنهن يستطعن معرفة أسباب حدوث الأمور. وأضاف بأن هذه السيدة - بالذات - هي القمة في ذلك.

قالت لوسي: يبدو أنها شهادة جيدة.

كانت الأنسة ماربل قد احمر وجهها وارتبكت وبدت في غاية الحرج. قالت هامسة: يا له من شخص أثير، السير هنري هذا! كان رقيق القلب دائماً. أنا لست حقاً ذكية أبدأ، وإنما قد يكون عندي شيء من المعرفة بالطبيعة البشرية... نتيجة للعيش في القرية.

ثم أضافت بهدوء أكثر: إنني عاجزة بالطبع إلى حد ما، بسبب عدم وجودي في مكان الجريمة. أشعر دائماً - عندما يذكرني الناس بأناس آخرين - بأن ذلك أمر مفيد جداً؛ لأن التماذج متشابهة في كل مكان، وهذا دليل قيم.

بدت لوسي محتارة بعض الشيء، لكن كرادوك أوما برأسه وكأنه يفهم ما تقوله. قال: لكنك ذهبت وشربت الشاي هناك، أليس كذلك؟

الفصل السادس عشر

عندما وصل كرادوك إلى المنزل رقم ٤ في شارع ماديسون وجد لوسي آيلسبارو مع الأنسة ماربل. تردد لحظة في الشروع في خطته ثم قرر أن لوسي قد تكون حليفاً ذا قيمة.

بعد تبادل التحيات أخرج دفتر ملاحظاته بهدوء وأخرج ثلاثة جنبيات دفعها على الطاولة تجاه الأنسة ماربل.

- ما هذا أيها المفتش؟

- رسوم استشارة. أنت مستشارة... في جريمة قتل! والموضوع هو ردود الفعل المحلية، والأسباب العميقة الممكنة لتلك الجريمة. أما أنا فلست إلا مفتشاً مسكيناً مرهقاً.

نظرت إليه الأنسة ماربل وطرقت عينيها فابتسم لها، أما لوسي فقد دهشت أولاً ثم ضحكت وهي تقول: ما أنت - في نهاية الأمر - إلا بشر أيها المفتش كرادوك.

- آه، لست الآن في عمل رسمي.

قالت الأنسة ماربل تخاطب لوسي: قلت لك بأننا التقينا من

- بلى، كانت زيارة رائعة بالفعل. لقد خاب أمني بعض الشيء عندما لم أتمكن من رؤية والدهم السيد كراكتشورب، لكن المرء لا يمكنه الحصول على كل ما يريد.

سألته لوسي: أنظنين أنك ستعرفين القاتل لو رأيته؟

- آه، ما كنت لأذهب إلى هذا الحد يا عزيزتي. إن المرء يميل دائماً إلى التخمين، والتخمين أمر خاطئ تماماً إذا ما تعلق الأمر بشيء خطير كجريمة القتل. كل ما أستطيع فعله هو ملاحظة الأشخاص المعنيين... أو الذين قد يكونون معنيين... لأرى بمن يذكروني.

- أمثال سدريك ومدير البنك.

صححت لها الأنسة ماربل: ابن مدير البنك يا عزيزتي. فالسيد إيد نفسه كان أشبه بالسيد هارولد، فهو رجل محافظ جداً، لكن ربما كان مولعاً ببعض الشيء بالمال. وهو مستعد لفعل أي شيء لتجنب الفضائح.

ابتسم كرادوك وقال: والفرد؟

أجابته الأنسة ماربل على الفور: يذكرني بعامل ورشة السيارات جنكز، وهو لم يكن يسرق الأدوات بمعنى الكلمة، ولكنه اعتاد أن يستبدل أحياناً بقطعة جديدة من السيارة أخرى معطلة أو مستهلكة، وأظنه لم يكن أميناً أيضاً في مسألة بطاريات السيارات، رغم أنني لا أفهم هذه الأمور جيداً. ولكنني أعرف أن ريموند تركه ولجأ إلى ورشة أخرى. وبالنسبة لإيما فإنها تذكرني كثيراً بجيرالدين وب؟

هادنة دائماً، لا تهتم بملابسها... وكانت أمها العجوز تتحكم فيها كثيراً. كانت مفاجأة كبيرة عندما توفيت فجأة وحصلت جيرالدين على مبلغ كبير من المال وذهبت وقصت شعرها وسافرت في رحلة، ثم عادت وتزوجت بمحام لطيف، وقد رزقا بطفلين.

كانت المقارنة واضحة بما فيه الكفاية. قالت لوسي بشيء من التملل: أنظننه كان مناسباً أن تقولي ما قلته بخصوص رواج إيما؟ لقد بدا أن ذلك قد ضايق الأخوة.

أومأت الأنسة ماربل وقالت: نعم، هذا الجال... لا يستطيعون رؤية ما يجري تحت أعينهم. لا اعتقد أنك لاحظت ذلك بنفسك.

اعترفت لوسي قائلة: لا، لم أفكر بهذا الأمر أبداً... كان يبدو لي...

قاطعتها الأنسة ماربل وهي تنسم: كبيراً في السن؟ الدكتور كويمبر لم يتجاوز الأربعين بكثير، رغم أن الشيب قد بدأ صدغيه، وواضح أنه مشتاق لحياة الاستقرار. أما إيما فدون الأربعة، وليست كبيرة على الزواج وتكوين عائلة. زوجة الطبيب ماتت صغيرة عندما كانت تضع مولوداً... هذا ما سمعته.

- أظن ذلك. قالت إيما شيئاً من هذا في أحد الأيام.

قالت الأنسة ماربل: لا بد أنه يشعر بالوحدة. إن طبيباً كثير الانشغال يكون بحاجة إلى زوجة؛ امرأة تتعاطف معه وترعاه، ولا تكون صغيرة السن.

قالت لوسي: ما بالك يا عزيزتي؟ هل نحن نحقق في جريمة أم أننا نؤدي دور الخاطبة؟

طرفت عينا الأنسة ماربل وقالت: أخشى أنني رومانسية بعض الشيء. ربما لأنني امرأة مسنة. بالنسبة لك يا لوسي فقد أوفيت بالعقد. إن كنت تريدان إجازة تقضيتها في الخارج قبل مباشرة عملك التالي فما زال لديك الوقت للقيام برحلة قصيرة.

- وأترك رذرفورد هول؟ أبداً! إنني شرطية سرية كاملة الآن وأكاد لا أقل اهتماماً عن الولدين. إنهما يقضيان كل وقتهما في البحث عن أدلة الجريمة، ولقد فتشا صناديق القمامة كلها بالأمس... عمل نافع جداً، كما أنهما لا يعرفان أبداً ما الذي يبحثان عنه. لو رأيتهما -أيها المفتش- وقد جاءا إليك فرحين بحملان ورقة ممزقة مكتوباً عليها: "مارتين: إن كنت تحبين الحياة فلا تقتربي من الحظيرة" فاعرف أنني أشفق عليهما وأخفيتهما هناك للتسلية.

سألتهما الأنسة ماربل باهتمام: ولماذا الحظيرة يا عزيزتي؟ هل يرتبون ماشية فيها؟

- آه، لا، ليس هذه الأيام. إنني أذهب إليها أحياناً.

احمرّ وجه لوسي لسبب معين. نظرت إليها الأنسة ماربل باهتمام متزايد، وسألها كرادوك: من في البيت الآن؟

- سدريك، وقد جاء برايان أيضاً لقضاء عطلة الأسبوع. هارولد والفرد سيأتيان في الغد؛ وقد اتصل بنا صباح اليوم. لدي انطباع -يا حضرة المفتش- بأنك أخفتهم.

ابتسم كرادوك وقال: لقد هزرتهم قليلاً. طلبت منهم سرد تحركاتهم يوم الجمعة العشرين من كانون الأول.

- وهل استطاعوا ذلك؟

- هارولد استطاع، أما ألفرد فلم يستطع... أو لم يرد.

قالت لوسي: أظن أن إثبات أماكن تواجدهم في ذلك اليوم مسألة صعبة للغاية. الأوقات والتواريخ والأماكن. ولا بد أن التحقق من ذلك صعب أيضاً.

قال: "إنه عمل يحتاج إلى وقت وصبر... لكننا نجحنا". ثم نظر إلى ساعته وقال: سأذهب إلى رذرفورد هول في الحال لأنكلم مع سدريك، لكنني أود مقابلة الدكتور كويمبر قبل هذا.

قالت لوسي: سيكون الوقت مناسباً؛ فهو يصل إلى العيادة في السادسة ويغادرها في السادسة والنصف تقريباً. حسناً. ما من العودة لأهتم بأمر العشاء.

سأل المفتش: أريد رأيك في مسألة واحدة يا أنسة ماربل؟ ما الذي يعتقده أفراد العائلة -فيما بينهم- بالنسبة لموضوع مارتين هذه؟

أجابته لوسي على الفور: كلهم غضبوا من إيما لأنها... إليك وأخبرتكم بالموضوع، كما غضبوا من الدكتور كويمبر. أما الذي شجعها -كما يبدو- على فعل ذلك. يرى كل من هارولد والفرد بأن المرأة كانت محتالة، أما إيما فغير متأكدة. وسدريك يعتقد أنها...

محتالة هو الآخر، لكنه لا يأخذ الأمر بمثل تلك الجدية التي يبديها أخواه. أما برايان فيبدو أنه واثق تماماً من صدقها.

- عجباً، لماذا يكون واثقاً هكذا؟

- برايان هكذا دائماً؛ يقبل الأمور على ظاهرها. إنه يرى أنها كانت زوجة إدموند... أو بالأحرى أرملته، وأنها اضطرت للعودة إلى فرنسا فجأة، وأنهم سيتلقون منها خبراً آخر في وقت من الأوقات، وهو يرى أن عدم كتابتها أي رسالة أمرٌ طبيعي حيث أنه نفسه لا يكتب رسائل. إن برايان رجل لطيف، وهو أشبه بكلِّ يريد من صاحبه أن يأخذه في نزهة قصيرة.

سألته الأنسة ماربل: وهل تأخذينه في نزهة يا عزيزتي؟ ربما إلى الحظيرة!

نظرت إليها لوسي نظرات حادة. وأضافت الأنسة ماربل تقول: في البيت رجال محترمون كثيرون يأتون ويذهبون.

عندما تنطق الأنسة ماربل بتعبير «رجال محترمون» فإنها تعطيه نكهته الفكتورية الكاملة؛ إذ أنك تدرك -على الفور- أنها تعني رجالاً مفعمين بالحيوية والنشاط، يكونون أوغاداً أحياناً لكنهم يتصفون بالشهامة دائماً.

أكملت الأنسة ماربل وهي تقوم لوسي: وأنت فتاة ظاهرة الحسن... أظن أنهم يولونك اهتماماً كبيراً، أليس كذلك؟

احمرَّ وجه لوسي قليلاً وطافت بخيالها ذكريات غير مترابطة: سدريك وهو يستند إلى حائط الحظيرة... برايان وهو جالس وراء

طاولة المطبخ مغموماً... ألفرد وهو يساعدها في رفع فناجين القهوة.

قالت الأنسة ماربل بنبرة من يتكلم عن فصيلة غريبة خطيرة: الرجال متشابهون كثيراً في بعض النواحي... حتى لو كانوا كباراً في السن كثيراً!

صاحت لوسي: يا عزيزتي... لو كنا قبل مئة عام لأحرقوك -بالتأكيد- بتهمة السحر!

ثم أخبرتهما بقصة السيد كراكتورب العجوز الذي طلب يدها للزواج، ومضت قائلة: والواقع أنهم جميعاً عرضوا عليّ الزواج بشكل أو بآخر. كان هارولد حذراً جداً وقد عرض عليّ وظيفة مالية مغرية في المدينة. لا أظن أن ذلك بسبب مظهري الجذاب... لا بد أنهم يظنون أنني أعرف شيئاً.

ثم ضحكت، لكن المفتش كرادوك لم يضحك بل قال: احذري؛ فقد يقتلونك بدلاً من عرض أنفسهم عليك.

وافقته لوسي قائلة: "أحسب أن ذلك ربما كان أسهل بكثير". ثم ارتعدت قليلاً وقالت: إن المرء ينسى... لقد اعتاد الصبيان على اعتبار أن الأمر لعبة يلهوان بها بحيث كاد المرء يظنه كذلك، ولكن الأمر ليس لعبة.

قالت الأنسة ماربل: "كلا... ليس القتل بلعبة". وسكتت قليلاً ثم أضافت: ألن يعود الولدان إلى المدرسة قريباً؟

- بلى، في الأسبوع القادم. وسيذهبان غداً إلى منزل جيمس ستودارت لقضاء الأيام الأخيرة من العطلة المدرسية.

قالت الأنسة ماريل بجدية: أنا مسرورة لذلك؛ فلا أود حدوث شيء وهما هناك.

- تقصدين للسيد كراكتورب العجوز. هل تظنين أنه سيكون القاتل الثاني؟

- آه، لا؛ العجوز لن يحدث له شيء. ما أعنيه هو الأولاد.

- حسناً، تقصدين ألكساندر؟ إنه يدور ويفتش بحثاً عن أدلة.

الأولاد يحبون مثل هذه الأشياء، لكنها قد تكون خطيرة.

نظر إليها كرادوك نظرات فاحصة وقال: يبدو أنك لست مستعدة للاقتناع بأنها قضية امرأة مجهولة قتلها رجل مجهول؟ أنت تربطين القضية -تحديداً- بأصحاب رذرفورد هول؟

- أظن أنها توجد صلة أكيدة، نعم.

- كل ما نعرفه عن الجريمة هو أن القاتل رجل أسمر طويل القامة... هذا كل ما أمكن لصديقتك أن تقوله. ويوجد في رذرفورد هول ثلاثة رجال سمر طوال القامة. لقد خرجت في اليوم الذي جرى فيه التحقيق فرأيت الإخوة الثلاثة ينتظرون السيارة التي كانت ستقلهم. كانوا يديرون ظهورهم لي، وقد دهشت كيف كانوا متشابهين إلى حد بعيد وهم يرتدون معاطفهم الثقيلة... ثلاثة رجال سمر طوال القامة. ومع ذلك فهم ثلاثة أنواع مختلفة من الرجال، وهذا يعقد المسألة.

تمتعت الأنسة ماريل: ترى... كنت أتساءل إن كانت المسألة أبسط مما نفترض. جرائم القتل تكون في الغالب بسيطة ذات دافع واضح خسيس.

- هل تعتقدين بوجود مارتين الغامضة هذه يا آنسة ماريل؟

- أنا أعتقد -جازمة- بأن إدموند كان متزوجاً أو كان يعتزم الزواج بفتاة تدعى مارتين. لقد علمتُ بأن إيما أرسلت رسالته. ومما رأيت منها، إضافة إلى ما أخبرني به لوسي، فإنني أرى أن إيما كراكتورب لا تستطيع أبداً تلفيق هذا الأمر... ولماذا تفعل؟

قال كرادوك متأملاً: وهكذا، إذا سلمنا بأنها مارتين، فإن لقتلها دافعاً واضحاً؛ لأن ظهورها مع ابن لها سوف يقلل من نصيب الباقيين في الإرث... رغم شعور المرء بأن ذلك لا يكاد يرقى إلى مرتبة الدافع للقتل. إنهم جميعاً في ضائقة مالية شديدة.

سألته لوسي غير مصدقة: حتى هارولد؟

- حتى هارولد الذي يبدو ثرياً في ظاهره، إلا أنه ليس رجل المال المحافظ الواعي كما يبدو عليه. إنه يورط نفسه في مغامرات مالية غير محسوبة النتائج، وحصوله على مبلغ كبير من المال قريباً قد يجنبه كارثة مالية.

قالت لوسي: "ولكن إن كان ذلك صحيحاً..."، ثم سكنت.

- نعم يا آنسة أيلسبارو؟

قالت الأنسة ماربل: أعرف يا عزيزتي... جريمة القتل الخاطئة.
هذا ما تقصدينه.

- نعم، إن وفاة مارتين لم تكن لتفيد هارولد... أو أيًا من
الآخرين... بأي شيء، إلا لدى...

- إلا لدى موت لوثر كراكتورب، بالضبط. لقد خطر لي هذا،
وقد فهمت من طبيب الأسرة بأن كراكتورب الأب في صحة أفضل
مما يمكن لأي غريب أن يتخيله.

قالت لوسي: "قد يعيش سنوات..."، ثم قطبت جبينها.

- قال كرادوك مشجعاً: نعم؟

قالت لوسي: كان مريضاً إلى حد ما في العيد، وقد قال إن
الطبيب أحدث ضجة وجلبة بسبب ذلك، وقال: "كان من شأن أي
امريء أن يظن أنه جرى تسميمي نتيجة للضجة التي أحدثتها".

نظرت إلى كرادوك نظرات تساؤل فقال: نعم، هذا بالضبط ما
أردت سؤال الدكتور كويمبر عنه.

قالت لوسي: يجب أن أذهب الآن. لقد تأخر الوقت كثيراً.

وضعت الأنسة ماربل صنارتها وأخذت جريدة التايمز وبها
كلمات متقاطعة لم يُستكمل حلها، ثم قالت: أتمنى لو كان معي
قاموس هنا. «تونتاي» و«توكيه»... دائماً أخلط بين هاتين الكلمتين.
أظن أن إحداهما اسم لشراب هنغاري.

التفت لوسي لدى الباب وقالت: الشراب الهنغاري هو توكيه،

ولكن هذه الكلمة من خمسة أحرف والأخرى من سبعة أحرف. ما
هو المطلوب في الكلمات المتقاطعة؟

قالت الأنسة ماربل بشيء من الغموض: آه، هذا ليس في
الكلمات المتقاطعة... إنه في رأسي.

حذق كرادوك إليها بثبات، ثم ودعها وخرج.

* * *

بالمجيء إليّ لتخبرني عن أمر تلك الرسالة التي يفترض أنها وصلتها
من أرملة أخيها.

- آه، هل فيها شيء؟ لم أنصحها بالذهاب إليك بالضبط؛
فهي التي أرادت ذلك. كانت قلقة، وبالطبع حاول كل إخوتها ثنيها
عن ذلك.

- ولماذا؟

رفع الطبيب كتفيه حيرة وقال: أحسبهم كانوا خائفين من أن
تثبت صحة دعوى السيدة.

- وهل تعتقد أن الرسالة كانت حقيقية؟

- لا أعرف، والواقع أنني لم أرها أبداً. أظن أن كاتبة الرسالة
تعرف الحقائق وقد أرادت تحقيق اتصال ما، ولعلها كانت تأمل
التأثير على مشاعر إيما. وقد كانت مخطئة تماماً في ذلك؛ فإيما
ليست بالحمقاء، وما كانت لتقبل الثقة بزوجة أخ مجهولة قبل أن
تسألها بعض الأسئلة العملية.

ثم أضاف بنوع من الفضول: ولكن لماذا تسألني عن رأي أنا؟
ليست لي علاقة بالأمر؟

- الحق أنني جئت لأسألك عن شيء مختلف تماماً... لكنني
لا أعرف تماماً كيف أعتبر عنه.

بدا الاهتمام على الدكتور كويمبر فقال المفتش: لقد علمت أن

الفصل السابع عشر

اضطر كرادوك للانتظار بضع دقائق ريثما ينهي الطبيب عمله
في العيادة مساء ذلك اليوم.

وأخيراً جاء كويمبر متعباً ومكتئباً فقدم لكرادوك فنجاناً من
الشاي وأخذ هو الآخر فنجاناً له، وقال وهو يجلس على كرسي
هزاز: مساكين... خائفون جداً وأغبياء جداً... بلا عقل! كانت عندي
حالة مؤلمة هذا المساء؛ امرأة كان يجب أن تأتي إليّ قبل عام، ولو
جاءت في ذلك الوقت لنجحت عملياتها، أما الآن فقد فات الوقت.
إنه أمر يثير جنوني. الحقيقة أن الناس خليط عجيب من الشجاعة
والجبن. لقد عانت من آلام مبرحة وتحملت ذلك دون أن تتكلم
بكلمة واحدة لمجرد أنها كانت خائفة من المجيء إليّ حتى لا تتأكد
من أن الذي كانت تخاف منه قد يكون حقيقة. وفي الناحية المقابلة
يأتيني أناس ويضيعون وقتي بدعوى وجود انتفاخ في إصبعهم الصغير
يسبب لهم ألماً شديداً يعتقدون أنه السرطان فيظهر في النهاية أنه
تقرح عادي. أرجو أن تعذرني... لقد نفست عن غضبي. والآن، ما
الذي تريد رؤيتي من أجله؟

- أولاً، جئت أشكرك لأنك أشرت على الأنسة كراكثورب

السيد كراكتورب تعرض قبل فترة ليست بالطويلة، في عيد الميلاد كما أظن... لتوبة مرضية شديدة.

رأى أن وجه الطبيب قد تغير على الفور؛ فقد تصلبت ملامحه، وقال: نعم.

- فهمت أنها كانت اضطرابات معوية؟

- نعم.

- ولكن كان السيد كراكتورب يتباهى بصحته ويقول إنه لن يموت إلا بعد وفاة أولاده. وقد أشار إليك... أرجو أن تعذرني أيها الطبيب...

- آه، لا تهتم بشأنني؛ أنا لا أتحسس مما يقوله عني مرضاي.

- قال إنك تبالع وتهول الأمور، وقال إنك سألته جميع أنواع الأسئلة، ليس فقط عما أكله ولكن أيضاً عما أعد الطعام.

تغير وجه الطبيب مرة أخرى وقال: أكمل.

- لقد استخدم عبارة مثل: "تحدث كما لو أنه كان يظن أن شخصاً قد وضع لي السم في الطعام". وسكت المفتش قليلاً ثم قال: هل كانت لديك أية شكوك من هذا النوع؟

لم يجبه كويمير على الفور. نهض وسار في الغرفة جيئة وذهاباً، وأخيراً التفت إلى كرادوك وقال: ما الذي تتوقع مني قوله؟

أنظن أن بإمكان طبيب أن يلقي بالاتهامات هكذا جزافاً عند حدوث تسمم هنا وهناك دون وجود أي دليل حقيقي؟

- أردت أن أعرف - بشكل غير رسمي - إن كانت... تلك الفكرة قد خطرت على بالك؟

قال الدكتور كويمير محاولاً التملص: إن كراكتورب العجوز يعيش حياته مقتصداً جداً. وعندما تأتي العائلة لزيارته، فتزيد إيما كمية الطعام. النتيجة... أوجاع في المعدة. كانت أعراض المرض متلازمة مع ذلك التشخيص.

ألح عليه كرادوك: فهمت. هل كنت مقتنعاً تماماً؟ ألم يحيرك الأمر أبداً؟

- حسناً، حسناً. بلى، لقد احترت. هل يرضيك هذا؟

- إنه يشير اهتمامي. ما الذي كنت تشك فيه أو تخشاه حقيقة؟

- إن أمراض المعدة تتنوع بالطبع، ولكن كانت توجد مؤشرات معينة تظهر عادة نتيجة وجود تسمم بالزرنيخ أكثر من ظهورها في حالات الاضطرابات المعدية العادية. تذكر بأن الحالتين متشابهتان كثيراً؛ وقد فشل أطباء أفضل مني في التعرف على وجود تسمم بالزرنيخ وأعطوا شهادات بذلك عن حسن نية.

- وما الذي أسفرت عنه تحرياتك.

- بدا لي أن ما اشتبهت فيه لا يمكن أن يكون صحيحاً. وقد أكد السيد كراكتورب لي بأن نوبات مرضية مشابهة قد داهمته قبل أن

أتولي أنا العناية به... وقال إنها كانت تنتج عن نفس السبب؛ تحدث دائماً عندما يوضع على المائدة دسم كثير.

- وهذا ما يحدث عندما يكون البيت مليئاً بأفراد العائلة أو بالضيوف؟

- نعم، إنه يبدو أمراً معقولاً. ولكنني -بصراحة- لم أكن مرتاحاً، حتى إنني كتبت إلى الدكتور موريس (الذي كان شريكى الأكبر وتقاعد بعد أن انضممت إليه بوقت قصير). كان كراكثورب مريضه بالأصل، وقد سألتني عن تلك النوبات السابقة التي عانى منها العجوز.

- وماذا كانت إجابته؟

كشر كويمبر وقال: لقد وبخني بشدة. قال لي بالآ أكون مغفلاً. ربما كنت مغفلاً فعلاً.

- أمر محير.

جلس كرادوك متأملاً ثم قرر أن يتكلم صراحة: نريد أن نتخلى عن التحفظ يا دكتور ونقول بأنه يوجد أناس يستفيدون من وفاة لوثر كراكثورب استفادة كبيرة.

أوما الطبيب برأسه فأكمل كرادوك يقول: إنه رجل عجوز ولكنه في صحة جيدة، وقد يعيش حتى يتجاوز التسعين؟

- ممكن. إنه يقضي حياته في الاهتمام بنفسه، كما أن بنيته الجسمية سليمة.

- وإن أولاده... وابنته... يتقدمون في العمر، وهم جميعاً يشعرون بالغضب، أليس كذلك؟

- استثنِ إيما من هذا الأمر؛ فهي ليست ممن يدسون سماً. هذه النوبات لا تحدث له إلا عندما يكون أولاده الآخرون عنده.

قال المفتش في نفسه: "إن كانت هي الفاعلة فإنه إجراء احترازي لإبعاد الشبهة عنها". لكنه كان حريصاً على ألا يفصح عما في نفسه. سكت وهو يختار كلماته بعناية ثم قال: أنا جاهل بمثل هذه الأمور بالتأكيد، ولكن لنفترض -جداً- بأن الزرنيخ قد وضع لكراكثورب. ألم يكن محظوظاً لأنه لم يمت؟

أجابه الطبيب: إنها -بالضبط- الحقيقة التي جعلتني أرى بأنني أحمق كما وصفني العجوز موريس. واضح أنها ليست قضية جرعات صغيرة من الزرنيخ توضع بانتظام (وهي ما يمكنك تسميته بالأسلوب الكلاسيكي للتسمم بالزرنيخ). إن كراكثورب لم يعان من أية مشكلات مزمنة في المعدة. وبمعنى آخر، هذا ما يجعل نوبات المرض العنيفة والمفاجئة هذه تبدو غير مفهومة. وهكذا، إذا افترضنا أنها لا ترجع إلى أسباب طبيعية، فإن الأمر يبدو وكأن الذي يضع السم يخفق في كل مرة في عمله... وهو ما يبدو أمراً لا معنى له!

- هل تقصد بأنه يعطيه جرعة غير كافية؟

- نعم. ومن ناحية أخرى فإن بنية كراكثورب الجسمية قوية والجرعة التي يمكنها قتل رجل غيره قد لا تقتله. توجد دائماً صفات شخصية خاصة يجب أن يحسب لها حساب. لكنك ستقول بأن الذي

يضع السم لا بد أن يزيد من الجرعة بعد كل هذه التجارب... ما لم يكن جباناً جباناً غير عادي. فلماذا لم يفعل ذلك؟

ثم أضاف يقول: هذا إذا كان في الأمر فعلاً مجرم يضع السم، وهو أمر قد لا يكون صحيحاً. ربما كان هذا من فعل خيالي الشرير من البداية وحتى النهاية.

وافقه المفتش قائلاً: إنها مشكلة غريبة ولا يبدو لها أي معنى.

* * *

- مفتش كرادوك!

جفل المفتش من الصوت الهامس الذي يناديه حين كان على وشك ضرب جرس الباب. خرج ألكساندر وصديقه جيمس ستودارت من وراء الأشجار بحذر.

- سمعنا صوت سيارتك وكنا نريد الحديث معك.

- لندخل إذن.

مد كرادوك يده إلى الجرس ثانية، لكن ألكساندر جذبته من معطفه بلهفة شديدة وقال هامساً: لقد وجدنا دليلاً.

كرر صديقه جيمس العبارة: نعم، لقد وجدنا دليلاً.

قال كرادوك في نفسه: "تباً لتلك الفتاة!"، ثم قال دون مبالاة:

رائع، هيا ندخل البيت لنلقي عليه نظرة.

ألح عليه ألكساندر قائلاً: كلا، سيقاطعنا شخص دون شك. تعال إلى غرفة عدة الخيول... سنرشدك إليها.

سمح كرادوك لنفسه كارهاً بأن يأخذه الصبيان إلى حيث أرادوا، فداروا حول البيت وذهبوا إلى ساحة الإسطبلات. دفع جيمس باباً ثقيلاً وفتحته على مصراعيه ثم أضاء مصباحاً كهربائياً خافتاً. كانت غرفة عدة الخيل مستودعاً كثيباً لكل شيء لا يريده الإنسان، بعد أن كانت -فيما مضى- قمة في الترتيب الفكتوري القديم؛ كراسي حدائق مكسرة، وخردوات قديمة صدئة، وجزازة عشب قديمة مهترئة وفرشات، صدئت نوابضها، ومراجيح شبكية، وشباك تنس متفسخة.

قال ألكساندر: إننا نأتي إلى هنا كثيراً؛ إذ يمكن للمرء هنا المحافظة على الخلوة فعلاً.

كانت توجد علامات معينة على شغل هذه الغرفة؛ فقد كانت الفرشات البالية مصفوفة بعضها فوق بعض لتشكيل نوعاً من الأريكة، وكانت هناك طاولة قديمة صدئة عليها علبة بسكويت بالشكلاطة، وكان هناك -أيضاً- عدد من حبات التفاح وعلبة حلويات ولعبة الصور المقطعة.

قال جيمس بحماسة وعيناه تلتصقان خلف نظارته: إنه حقاً دليل يا سيدي... لقد عثرنا عليه بعد ظهر اليوم.

- كنا نبحث منذ أيام. بين الأشجار...

- وداخل جذوع الأشجار المنخورة...

زوجة خالي إدموند الفرنسية... المرأة التي ثارت كل هذه الضجة حولها. لا بد أنها كانت هنا ثم اختفت في مكان ما. هكذا يبدو، أليس كذلك؟

قاطع جيمس: يبدو أنها هي القتيلة. أقصد... ألا تعتقد يا سيدي أنها هي التي وجدت جثتها في التابوت؟

ثم انتظرا إجابته بفارغ الصبر. وجاراهما كرادوك فقال: ممكن... ممكن جداً.

- أليس هذا المغلف مهماً؟

- هل ستفحصونه بحثاً عن بصمات الأصابع يا سيدي؟

قال كرادوك: بالطبع.

تنهد جيمس وقال: لقد حاللنا الحظ، أليس كذلك؟ وفي آخر يوم لنا هنا أيضاً.

- آخر يوم؟

قال ألكساندر: نعم، سأذهب إلى بيت جيمس غداً لفضاء الأيام الأخيرة من العطلة هناك. عائلته تملك بيتاً رائعاً... طراز «الملكة آن»، أليس كذلك يا جيمس؟

قال جيمس: بل طراز «وليم وميري».

- كنت أظن أن والدتك قالت...

- أمي فرنسية، ولا تعرف من العمارة الإنكليزية شيئاً.

- كما فتشنا صناديق القمامة...

- وقد وجدنا - في الواقع - الكثير من الأشياء المشيرة...

- ثم ذهبنا إلى غرفة المرحل...

- هيلمان يحتفظ هناك بحوض كبير مليء بأوراق قمامة...

- لكي يستخدمها في إشعال المرحل...

- يلتقط أي ورقة متطايرة عن الأرض ويحتفظ بها في ذلك الحوض...

- وهناك وجدنا دليلنا...

قاطعهما كرادوك: وجدتما ماذا؟

- الدليل. احذر يا جيمس، البس قفازيك.

لبس جيمس قفازين متسخين كما يحدث في الروايات البوليسية وأخرج من جيبه حافظة صور، ومن الحافظة أخرج بحذر شديد مغلفاً مكوراً علاه التراب وسلمه إلى المفتش وهو يشعر بالفخر والعجب.

حبس الولدان أنفاسهما من شدة الإثارة. وأخذ كرادوك المغلف بما يناسب الموقف من جدية، فقد أحب الولدين وكان مستعداً للتفاعل مع موقفهما. كان المغلف مرسلاً بالبريد ولم تكن بداخله أي رسالة... كان مجرد مغلف ممزق لرسالة وُجّهت إلى الأنسة مارتين كراكشورب، ١٢٦ إلفرز كرسنت، رقم ١٠.

قال ألكساندر لاهناً: هل ترى؟ إنه يوضح أنها كانت هنا. أقصد

- ولكن والدك قال بأنه بنى...

كان كرادوك يتفحص الظرف. كان عملاً ذكياً من لوسي آيلسبارو، ولكن كيف نجحت في تزيف خاتم البريد؟ نظر إليه عن قرب لكن الضوء كان خافتاً جداً. كان متعة كبيرة للولدين بالطبع ولكنه كان مزعجاً له. تباً للوسي! إنها لم تفكر في هذه الناحية. إن كان هذا الظرف حقيقياً فإنه يفرض سلسلة من الإجراءات. كان يدور بجانبه نقاش ساخن بين الولدين حول العمارة، لكنه لم يسمع منه شيئاً.

- هيا يا أولاد، سنذهب إلى البيت. لقد ساعدتاني كثيراً.

* * *

الفصل الثامن عشر

رافق الولدان كرادوك وأدخلاه إلى البيت من الباب الخلفي الذي يبدو أنه كان باب الدخول المتعارف عليه بينهما. كان المطبخ لامعاً ونظيفاً، وكانت لوسي ترتدي مريلة بيضاء كبيرة وتعجن الفطائر، وكان برايان يستند إلى الخزانة ويرتبها باهتمام شديد وهو يعبث بشاربه الكبير الأشقر بيده.

قال ألكساندر: مرحباً يا أبي. جئت إلى هنا مرة ثانية؟

قال برايان: إنني أحب المجيء إلى هنا، والأنسة آيلسبارو لا تمنع.

قالت لوسي: آه، ليس عندي مانع. مساء الخير أيها المفتش كرادوك.

سأله برايان باهتمام: هل جئت لتفتيش المطبخ؟

- ليس كذلك بالضبط. أما زال السيد سدريك هنا؟

- آه، نعم، سدريك موجود. هل تريده؟

- أريد الحديث معه... نعم، أرجوك.

قال برايان: سأذهب لأرى إن كان في الداخل. ربما خرج في جولة في المنطقة.

قالت لوسي: شكراً لك كثيراً. إنني مشغولة بهذا العجين، وإلا لذهبت بدلاً منك.

سألها جيمس بلهفة: ماذا تصنعين؟

- فطائر الخوخ.

- لذیذة.

سألها ألكساندر: هل اقتررب موعد العشاء؟

- لا.

- يا إلهي! إنني جائع جداً.

- توجد في الخزانة بقية كعكة الزنجبيل.

اندفع الولدان نحو الخزانة بقوة فتصادما عند الباب. قالت

لوسي: إنهما جائعان دائماً.

قال كرادوك: تهانني لك.

- على ماذا... بالضبط؟

- عبقريتك؟ بخصوص هذا.

- بخصوص ماذا؟

أشار كرادوك إلى مغلف الرسالة وقال: عمل متقن.

- ما الذي تتحدث عنه؟

قال: "هذا يا عزيزتي... هذا". وأخرج نصف المغلف من جيبه، فحملقت فيه لا تفهم ما يقوله. أحس كرادوك بالارتباك فجأة وقال: ألم تزيفي هذا الدليل وتضعيه في غرفة المرجل من أجل أن يكشفه الأولاد؟ أخبريني... بسرعة.

- لا أدري عمّاذا تتكلم. هل تعتقد أن...؟

أعاد كرادوك المغلف إلى جيبه بسرعة عندما عاد برايان قائلاً: "سدريك في المكتبة؛ يمكنك الذهاب إليه". ثم عاد ووقف مستنداً إلى الخزانة من جديد، فيما ذهب المفتش كرادوك إلى المكتبة.

* * *

بدأ سدريك مسروراً لرؤية المفتش الذي طمأنه قائلاً: أظن أن بإمكاننا القول بأننا تقدمنا قليلاً يا سيد كراكتورب.

- هل عرفتم صاحبة الجثة؟

- لم نستطع تحديد هويتها بدقة بعد، ولكن لدينا فكرة قوية حول الموضوع.

- جيد.

- بناء على آخر معلومات حصلنا عليها فإننا نود الحصول على بعض الأقوال، وسأبدأ معك بحكم أنك موجود هنا الآن.

- لن أبقى هنا طويلاً؛ بل سأعود إلى إيبيزا خلال يومين. هيا، قل ما عندك.

- كنت أريد سرداً تفصيلياً دقيقاً عن كل ما عملته يوم الجمعة العشرين من كانون الأول.

نظر سدريك إليه نظرة حادة وسريعة، ثم استند إلى ظهر كرسيه وتثاءب وتظاهر بعدم المبالاة وبدا وكأنه مستغرق في التفكير.

- كما قلت لك من قبل، لقد كنت في إيبيزا، والمشكلة هي أن الأيام هناك تشابه كثيراً. الرسم في الصباح، القيلولة من الثالثة وحتى الخامسة بعد الظهر، وربما قمت برسم تخطيطي إن كان الضوء كافياً. بعد ذلك أتناول وجبة خفيفة. وأذهب في معظم الأمسيات إلى مقهى سكوتي مع أصدقائي من أبناء الطبقة الكادحة. هل يكفيك هذا؟

- أفضل الحقيقة يا سيد كراكثورب.

انتصب سدريك في جلسته وقال: إنها أكثر الملاحظات إساءة أيها المفتش.

- هل تعتقد ذلك؟ لقد أخبرتني -يا سيد كراكثورب- بأنك غادرت إيبيزا يوم الحادي والعشرين من كانون الأول ووصلت إلى إنكلترا في نفس اليوم؟

- نعم، هذا صحيح. إيم... تعالي يا إيم.

جاءت إيم كراكثورب من باب غرفة صغيرة مجاورة ونظرت إلى سدريك والمفتش نظرات تساؤل.

- اسمعيني يا إيم. لقد وصلتُ إلى هنا لقضاء عيد الميلاد يوم السبت الذي سبق عيد الميلاد، أليس كذلك؟ وقد جئت من المطار مباشرة؟

قالت إيم متحيرة: بلى، وصلت إلى هنا وقت الغداء تقريباً.

قال سدريك يخاطب المفتش: هذا يكفيك.

قال المفتش كرادوك مرحاً: لا بد أنك تعتقد بأننا أغبياء يا سيد كراكثورب. نحن نستطيع أن نتحقق من هذه الأشياء. أعتقد أنك لو أريتني جواز سفرك...

ثم سكت متوقفاً إجابة منه. قال سدريك: لم أتمكن من العثور على هذا الجواز اللعين. كنت أبحث عنه هذا الصباح؛ فقد أردت إرساله إلى شركة كوك.

- أظن أنك تستطيع العثور عليه يا سيد كراكثورب، لكنه ليس ضرورياً في الحقيقة؛ فالسجلات تُظهر أنك دخلت البلاد فعلاً مساء يوم التاسع عشر من كانون الأول. ربما أمكنك الآن أن تخبرني عن تحركاتك بين ذلك الوقت وساعة الغداء يوم الحادي والعشرين من الشهر عندما وصلت إلى هنا.

بدا سدريك مضطرباً أشد الاضطراب وقال بغضب: هذه هي لعنة الحياة هذه الأيام. كل هذا الروتين وتعبئة النماذج والاستمارات... هذا ما يأتي من الدولة البيروقراطية. لا نستطيع أن نذهب حيث نشاء ونفعل ما نريد؛ فالكل يطرح عليك الأسئلة! وبالمناسبة، ما كل هذه

الضجة التي تدور حول يوم العشرين من كانون الأول؟ ما الذي يميز هذا اليوم عن غيره من الأيام؟

- لقد صدف أن كان ذلك هو اليوم الذي نرى أن الجريمة ارتكبت فيه. يمكنك رفض الإجابة بالطبع، ولكن...

- من الذي يقول إنني أرفض الإجابة؟ أعطني الوقت الكافي. لقد كنتم غير واضحين في جلسة التحقيق حول تاريخ حدوث الجريمة، فما هو الجديد الذي ظهر منذ ذلك اليوم؟

لم يجبه كرادوك.

قال سدريك وهو ينظر إلى إيما بطرف عينه: هل نذهب إلى الغرفة الأخرى؟

أسرعت إيما تقول: "سأترككما". وعند الباب توقفت والتفتت تقول: هذا أمر جدي يا سدريك كما تعلم... إن كان يوم العشرين هو اليوم الذي وقعت فيه الجريمة فيجب أن تخبر المفتش كرادوك عما كنت تفعله بالضبط.

فتحت الباب المجاور وخرجت ثم أغلقتها وراءها. قال سدريك: إيم الطيبة... حسناً، هذا ما جرى. نعم، غادرت إبيزا يوم التاسع عشر بالفعل، وقد أمضيت اليومين التاليين في لندن بصحبة امرأة كانت تربطني بها علاقة سابقة، وقد أقمت في فندق كينغزوي بالاس... هذا إذا لم يكشف جواسيسك هذا بعد! وقد انتحلت اسم جون براون؛ فلا يمكن للرجل استخدام اسمه الحقيقي في مثل هذه المواقف. وبعد يومين انطلقت إلى هنا متظاهراً بأنني وصلت من

مطار هيثرو لتوي. رأيت أنه لا حاجة بي لإزعاج إيما؛ فأتت تعرف طبيعة النساء... يتضايقن إذا لم تأت إلى البيت مباشرة. وقد نعين علي اقتراض نقود منها لأدفع أجرة السيارة لأنني كنت مفلساً تماماً. لم يكن من المفيد طلب ذلك من والدي فهو لا يدفع أبداً؛ إنه رجل عجوز بخيل. حسناً أيها المفتش، هل اقتنعت؟

عادت إيما وهي تحمل دفتر مواعيد صغيراً وقالت: هل تريد معرفة ما فعله كل واحد يوم العشرين من الشهر أيها المفتش؟ ها هي تحركاتي أنا.

- حسناً، نعم... آنسة كراكثورب.

- في يوم العشرين ذهبت إلى براكهامبتن وتناولت الغداء مع الليدي أدينغتن والأنسة بارتليت في مقهى كادينا. ثم قمت بشراء بعض الأغراض والهدايا لعيد الميلاد. ذهبت إلى محلات غرين فورد ولايال وسويت وعدة محلات أخرى، ثم تناولت الشاي في مقهى في الساعة الخامسة إلا ربعاً، وبعدها ذهبت إلى المحطة لاستقبال برايان الذي كان قادماً بالقطار. وصلت إلى البيت في الساعة السادسة تقريباً، ووجدت والدي في حالة مزاجية سيئة. كنت قد تركت له الغداء جاهزاً لكن السيدة هارت التي كان يفترض أن تأتي بعد الظهر وتقدم له الشاي لم تصل. كان غاضباً جداً بحيث أغلق على نفسه باب غرفته ولم يسمح لي بالدخول أو يتكلم معي. لم يكن يحب خروجي من البيت بعد الظهر ولكنني أتعمد فعل ذلك من وقت لآخر.

- أنت امرأة حصيفة. أشكرك يا آنسة كراكثورب.

لم يستطع إخبارها -بأنها نتيجة كونها امرأة- فإن حركاتها بعد ظهر ذلك اليوم لم تكن تعنيه كثيراً.

سألته هي: "هل يمكنني معرفة..."، ترددت قليلاً ثم أكملت: ما الذي جدّ من أحداث تطلبت إجراء هذه التحريات؟

أخرج كرادوك المغلف من جيبه باستخدام أطراف أصابعه وقال: لا تلمسيه من فضلك، ولكن، هل رأيت هذا؟

حملت إيما وهي تقول محتارة: ولكن... هذا خطي أنا. إنها الرسالة التي كتبتها لمارتين.

- هذا ما ظننته أيضاً.

- ولكن كيف حصلت عليها؟ هل هي... هل وجدتموها؟

- يبدو ممكناً أننا... وجدناها. هذا الظرف الفارغ عُثر عليه هنا.

- في البيت؟

- في ملحقاته.

- إذن فقد جاءت إلى هنا بالفعل! إنها... أعني... أن مارتين هي التي وجدت هناك... في الثابوت؟

قال كرادوك: يبدو ذلك محتملاً.

وقد بدا الأمر أكثر احتمالاً عندما عاد إلى المدينة؛ فقد كانت في انتظاره رسالة من صديقه دوسان، وكان فيها:

واحدة من صديقات أنا سترافنسكا تلقت منها بطاقة معايدة. واضح أن قصة الرحلة كانت صحيحة؛ فقد وصلت إلى جامايكا وهي تقضي وقتاً رائعاً!

كور كرادوك الرسالة وألقاها في سلة المهملات!

* * *

قال ألكساندر وهو يجلس على سريريه متأملاً: أظن أن هذا أروع يوم عشته... أن تجد دليلاً حقيقياً يحل لغز جريمة!

كان صوته متفعلاً، ثم أضاف بسعادة: الواقع أن العطلة كلها كانت مثيرة. لا أظن أن هذا الأمر سيتكرر ثانية أبداً.

قالت لوسي التي كانت تقف بالقرب منه وترتب له ثيابه في الحقيبة: أرجو ألا يحدث ذلك لي ثانية. هل تريد أخذ كل هذه القصص الخرافية عن الفضاء معك؟

- لا أريد هاتين القصتين اللتين في الأعلى؛ فقد قرأتها. وكرة القدم وحذاء اللعب يمكن أخذهما فيما بعد.

- أتم -أيها الأولاد- تسافرون حاملين معكم أشياء لا نطاق!

- لا يهم. سيرسلون لنا سيارة الرولر. لديهم سيارة رولز راتعة، كما أن عندهم سيارة مرسيدس جديدة.

- لا بد أنهم أغنياء!

- كما أنهم لطاف جداً، ومع ذلك أتمنى لو أننا لا نغادر هذا المكان؛ فقد تظهر جثة أخرى.

- أرجو ألا يحدث هذا.

- هذا ما يحدث غالباً في القصص إذ تجددين شخصاً رأى أو سمع شيئاً فَيُقتل هو الآخر. قد يكون ذلك الشخص أنت...

- شكراً لك!

طمأنها ألكساندر قائلاً: لا أريده أن يكون أنت - إنني أحبك كثيراً وكذلك جيمس، ونحن نعتقد أنك أفضل طاهية في العالم. طعامك رائع ولذيذ... كما أنك امرأة واعية جداً.

كان واضحاً أن الكلمات الأخيرة هذه تعتبر عن استحسان كبير. فهمته لوسي هكذا وقالت: شكراً لك، لكنني لا أريد أن أقتل لمجرد إمتاعك.

قال ألكساندر: إذن من الأفضل أن تحذري.

سكت ليلتئهم بعض الشكلاطة ثم قال بعفوية: إن جاء أبي إلى هنا من وقت لآخر فإنك ستعتنين به، أليس كذلك؟

أجابته لوسي وقد فوجئت بعض الشيء: بلى، بالطبع.

قال ألكساندر: "مشكلة والدي هي أن حياة لندن لا تناسبه". ثم هز رأسه والضيّقُ بادٍ عليه وأضاف: أنا أحبه كثيراً، ولكنه يحتاج لمن يهتم به. إنه يتسكع ويختلط بأناس غير لائقين. من المحزن أن تموت والدي في ذلك الوقت... إن والدي بحاجة لحياة عائلية صحيحة.

نظر إلى لوسي نظرات وقار ومد يده لأخذ قطعة شكلاطة أخرى. قالت لوسي: لا تأخذ قطعة رابعة يا ألكساندر؛ سوف تمرض.

- آه، لا أظن ذلك. لقد أكلت ست قطع ذات مرة ولم أمرض؛ فلست من أصحاب الأجسام الضعيفة.

سكت قليلاً ثم قال: إن أبي معجب بك.

- هذا لطف بالغ منه.

قال ألكساندر عن أبيه: أحياناً يبدو مغفلاً بعض الشيء، لكنه كان مقاتلاً شجاعاً. إنه شجاع جداً، كما أنه طيب جداً.

سكت. ثم رفع عينيه إلى السقف وقال وكأنه يخاطب نفسه: اعتقد أنه سيكون عملاً طيباً لو تزوج ثانية... بامرأة محترمة. أنا -شخصياً- لا أمانع في أن تكون لي زوجة أب، على أن تكون محترمة بالطبع.

أدركت لوسي -بشيء من الصدمة- بأن حديث ألكساندر له مغزى واضح. وأكمل ألكساندر قوله وهو لا يزال يخاطب السقف: كل هذا الكلام الفارغ عن زوجة الأب قد بات قديماً. الكثير من الأولاد الذين أعرفهم لهم زوجات أب، وعلاقاتهم بهن جيدة. الأمر يعتمد على زوجة الأب بالطبع، كما أن الأمر يؤدي إلى القليل من الاضطراب عند الخروج معهم لحضور احتفال في المدرسة أو اليوم الرياضي أو غير ذلك... أقصد إن حضرت الأم وزوجة الأب في آن واحد. ولكن قد تكون في ذلك فائدة إذا ما أراد المرء جمع المال من الطرفين!

ثم سكت وهو يفكر بمشكلات الحياة العصرية، وعاد ليقول:
جميل أن يكون للإنسان بيته الخاص ووالداه... ولكن إذا ماتت
أمك... فهذا خارج عن إرادة المرء، أنفهميني؟ عندها لا بأس بامرأة
الأب، إن كانت امرأة محترمة.

قالها ألكساندر للمرة الثالثة.

أحست لوسي بالتأثر وقالت: أظن أنك فتى واعي يا ألكساندر.
يجب أن نحاول العثور على زوجة لطيفة طيبة لوالدك.

رد عليها ألكساندر بشكل آلي: "نعم". ثم أضاف يقول بعفوية:
لقد حسبت أنني ذكرت لك ذلك لتوي. إن والدي معجب بك كثيراً.
هو قال لي ذلك...

فكرت لوسي في نفسها: "حقاً! الكثير من محاولات الخطوبة
تجري هنا. أولاً الأنسة ماربل، والآن ألكساندر!... ولسبب أو آخر
تذكرت لوسي الحظائر. وقفت وقالت: طابت ليلتك يا ألكساندر،
لم يبقَ لديك إلا أدوات الاغتسال ولباس النوم تضعها في حقيبتك
في الصباح. تصبح على خير."

قال ألكساندر: "تصبحين على خير". ثم انسل تحت الغطاء
ووضع رأسه على الوسادة وأغمض عينيه معطياً صورة مثالية لملاك
نائم، وغط على الفور في سبات عميق.

الفصل التاسع عشر

كان في رذرفورد هول اجتماع لعائلة كراكثورب حيث كان
هارولد وألفرد قد وصلا من لندن لهذا الغرض، وسرعان ما علت
الأصوات وازداد التوتر.

وبمبادرة منها، أعدت لوسي الشراب وأخذته إلى المكتبة.
كانت الأصوات مسموعة من الصالة بوضوح وكانت تشير إلى أن
أفراد العائلة يوبخون إيما توبيخاً قاسياً.

كان هارولد يقول غاضباً: كل ما حدث نتيجة خطئك أنت يا إيما.
لا أدري كيف يمكن أن تكوني على هذا القدر من الحماسة وقصر
النظر. لو لم تأخذي تلك الرسالة إلى شرطة سكوتلانديارد...

قال ألفرد بصوته العالي: لا بد أنك فقدت عقلك وقتها!

قال سدريك: كفاكم هجوماً عليها. ما حدث قد حدث. كان
أمراً مشيراً للريبة أكثر لو تعرفوا إلى الجثة باعتبارها لمارتين بينما سكنتنا
جميعاً ولم نعترف أننا تلقينا منها رسالة.

رد هارولد غاضباً: كل شيء جيد بالنسبة لك يا سدريك؟ فقد

كنت خارج البلد يوم العشرين من الشهر، وهو ما يبدو اليوم الذي يقومون بالتحري عنه. لكن الوضع محرج جداً بالنسبة لألفرد ولي. ولحسن الحظ، فإنني أستطيع أن أتذكر أين كنت بعد ظهر ذلك اليوم وماذا كنت أفعل.

قال ألفرد: أنا واثق من استطاعتك ذلك. إذا كنت قد خططت لجريمة قتل - يا هارولد - فأنا واثق أنك ستخطط بكل عناية لتلقيق دليل غياب عن مكان الجريمة.

- إذا كنت تلمح أنني قتلت المرأة...

صاحت إيما: آه، اسكتوا أرجوكم، كلكم. لم يقتلها أي واحد منكم بالطبع.

قال سدريك: ولمعلوماتكم، فإنني لم أكن خارج إنكلترا يوم العشرين، وقد عرف الشرطة ذلك! ولذلك فإننا جميعاً في دائرة الشبهات.

- لولا أن إيما...

صاحت إيما: آه، لا تبدأ بلومي من جديد يا هارولد.

خرج الدكتور كويمبر من المكتب حيث كان يتحدث مع السيد كراكثورب العجوز على انفراد فوقعت عينه على إبريق الشراب الذي كانت تحمله لوسي: ما هذا؟ احتفال؟

- شراب لتهنئة غضبهم؛ إنهم في حالة هيجان وصراخ.

- تبادل اتهامات؟

- معظم كلامهم تقريع لإيما.

ارتفع حاجبا الدكتور كويمبر وقال: "حقاً؟". ثم أخذ الإبريق من يد لوسي وفتح باب المكتبة ودخل.

- مساء الخير.

- آه، دكتور كويمبر... كنت أود الحديث معك.

كان ذلك صوت هارولد عالياً وغاضباً. أكمل يقول: أنا أرغب في معرفة قصدك من التدخل في مسألة خاصة وعائلية، ومن نصيحتك لأختي بالذهاب إلى سكوتلانديارد بخصوص هذا الأمر.

رد عليه الدكتور كويمبر بهدوء: لقد طلبت الأنسة إيما نصيحتي، فنصحتها، وباعتقادي فإن الذي فعلته هو عين الصواب.

- أنت تجرؤ على القول أن...

- يا بنت!

كانت تلك هي تحية العجوز كراكثورب المعتادة، وقد قالها وهو يخرج رأسه من باب المكتب خلف لوسي. التفتت لوسي بشيء من التردد وقالت: نعم يا سيد كراكثورب؟

- ماذا ستقدمين لنا على العشاء هذه الليلة؟ أريد الكاري. إن الكاري الذي تصنعيه ممتاز. لقد مضى علينا وقت طويل لم نتناول فيه الكاري.

- الأولاد لا يحبون الكاري كثيراً.

- الأولاد... الأولاد. وماذا بهم الأولاد؟ أنا الذي بهم. وعلى أية حال فقد ذهب الأولاد... وحسناً فعلوا.

- حسناً يا سيد كراكتورب، لك ما تريد.

- جيد، أنت فتاة طيبة يا لوسي. إنك تعنين بي، وسوف أعنتي بك.

عادت لوسي إلى المطبخ. تخلت عن فكرة الدجاج الذي أرادت عمله وبدأت في إعداد الكاري. سمعت صوت الباب الأمامي وهو يغلق وشاهدت من النافذة الدكتور كويمبر وهو يمشي غاضباً إلى سيارته ثم ينطلق بها. تنهدت لوسي. لقد اشتاقت إلى الأولاد، كما اشتاقت -على نحو- ما إلى برايان أيضاً.

آه، جيد. جلست وبدأت بتقشير الفطر. ستقدم للعائلة عشاء لذيذاً على أية حال؛ فهي تريد أن تطعم هذه الوحوش!

* * *

كانت الساعة الثالثة صباحاً عندما أوقف الدكتور كويمبر سيارته وأغلق أبوابها ودخل ثم أغلق الباب وراءه بضجر. لقد ساعد السيدة سيمبكنز في ولادة توأمين جميلين لتضيفهما إلى عائلتها المكونة من ثمانية. ولم يعبر السيد سيمبكنز عن فرحته بقدوم التوأمين، بل قال غامباً: "توأمين؟ ما فائدتهما؟ لو كانوا أربعة توأمين لوجدنا لهم بعض الفائدة؛ إذ ستصلنا عندها مختلف أنواع الهدايا، وستأتي الصحافة إلى بيتي وينشرون صورنا في الصحف... ويقال إن صاحبة الجلالة ترسل برقية تهنئة في مثل هذه الحالات".

صعد الدكتور كويمبر إلى غرفة نومه وبدأ يحلج زابيه. الساعة... الثالثة وخمس دقائق. لقد كانت عملية إخراج الزابيه... الحياة دقيقة جداً وتطلبت حذراً شديداً، لكن كل شيء... الزابيه... يرام. ثناء؛ إذ كان مرهقاً... مرهقاً جداً، ونظر إلى... اشتياق.

ثم رن جرس الهاتف. شتم الدكتور كويمبر ١٠٠٠ م ١٠٠٠ م السماعه.

- دكتور كويمبر؟

- معك.

- أنا لوسي آيلسبارو من رذرفورد هول. من الضرورى، أنا... إلينا. يبدو أن الجميع سقطوا مرضى.

- سقطوا مرضى! كيف؟ ما هي الأعراض؟

أخبرته لوسي عن الأعراض بالتفصيل، فردت قائلاً: "أنا... عندكم فوراً. وفي غضون ذلك..."، ثم أعطها بعض العا... القصيرة.

أسرع إلى ارتداء ثيابه ثانية وألقى ببعض الأشياء الإضافية. حقيبة الطوارئ التي يحملها ونزل إلى سيارته مسرعاً.

* * *

بعد ثلاث ساعات تقريباً كان الطبيب يجلس مع لوسي.

وكلاهما في حالة من التعب والإعياء الشديدين، وراء طاولة المطبخ
ليشربا فنجانين كبيرين من القهوة.

قال الدكتور كويمبر بعد أن شرب فنجاناً ووضع على الطاولة:
كنت بحاجة لهذا. والآن يا آنسة آيلسبارو، هيا تناقش الوقائع التي
حدثت.

نظرت إليه لوسي. كانت خطوط الإجهاد واضحة على وجهه
مما جعله يبدو أكبر سناً من حقيقته. قال: يمكنني القول إنهم
سيكونون بخير الآن. ولكن كيف حدث ذلك... هذا ما كنت أريد
معرفته. من الذي طبخ العشاء؟

قالت لوسي: أنا.

- وماذا كان؟ بالتفصيل.

- حساء الفطر، ودجاج بالكاري وأرز، وقشدة محلاة،
ومتبلات من كبدة الدجاج واللحم.

- حسناً، لنناقش الأمر. حساء الفطر... أحسب أن الفطر كان
معلباً؟

- كلا بالتأكيد؛ أنا طبخته.

- أنت طبخته من ماذا؟

- نصف رطل فطر ومرق الدجاج وحليب وزبدة ودقيق وعصير
الليمون.

- آه، يُفترض أن يقول المرء أن المشكلة بسبب الفطر.

- لم تكن من الفطر. لقد شربت بنفسني من هذا الحساء. وأنا
بخير ولم أشعر بشيء.

- والدجاج بالكاري... هل تناولت منه شيئاً؟

- لا. عندما تطبخ شيئاً بالكاري فإنك تشبع من الحساء. أنا
تذوقته بالطبع؛ تناولت شيئاً من الحساء والقشدة المحلاة.

- وكيف قدمت القشدة؟

- في أكواب مستقلة.

- والآن، كم من هذه الأطباق قد رفع عن المائدة؟

- إن كنت تقصد غسلها، فقد غُسلت كل الأطباق. وأما
في الخزانة.

قال الدكتور كويمبر متأففاً: هذا ما يسمونه وسوسة النظافة.

- نعم، أستطيع أن أرى ذلك الآن، ولكن هذا ما حدث.

- ما الذي بقي عندك؟

- لقد بقي شيء من الكاري، وكنت أريد استخدامه في إعداد
حساء الدجاج هذا المساء، كما بقي بعض من حساء الفطر. لم يبق
من القشدة شيء ولا من المقبلات.

- سأأخذ الكاري والحساء. ماذا عن الصلصة؟ هل تناولوا
صلصة مع الطعام؟

- نعم، في واحد من هذه الأطباق الفخارية.

- سأخذ شيئاً منها أيضاً.

نهض وقال: سأصعد لألقي عليهم نظرة أخرى. بعد ذلك، هل يمكنك المحافظة على الأشياء كما هي حتى الصباح؟ راقبها جيداً! سأرسل ممرضة مع كل التعليمات الساعة الثامنة.

- أرجو أن تصارحني. هل تظن أنه تسمم غذائي عارض أم... أم عملية تسميم؟

- الأطباء لا يمكنهم الظن، يجب أن يتأكدوا. إذا ظهرت نتيجة من عينات الطعام هذه أستطيع مواصلة العمل، وإلا...

كررت لوسي قائلة: وإلا؟

وضع الدكتور كويمبر يده على كتفها وقال: اعتني باثنين على وجه الخصوص. اعتني بإيما؛ فلا أريد أن يحدث لها أي شيء.

كان في صوته عاطفة ليس بالإمكان إخفاؤها، ثم أكمل قائلاً: إنها تعني لي الكثير. أنا لم أخبرها بهذا لكنني سأفعل... أرجو أن تعتني بها.

قالت لوسي: تأكد أنني سأفعل.

- واعتني بالرجل العجوز أيضاً. لا يمكنني القول إنه كان مريض المفضل، لكنه مريض. وتباً لي إذا تركته يموت لأن بعض أولاده يريدون موته حتى يحصلوا على المال.

* * *

بدا المفتش بيكون مترجعاً. قال: الزرنبخ؟ الزرنبخ؟

- نعم، كان في الكاري. ها هي بقيته حتى تفحصوه. لقد اختبرت شيئاً بسيطاً منه اختباراً سريعاً، لكن النتيجة كانت قاطعة تماماً.

- يوجد - إذن - قاتل بدس سمومه؟

قال الدكتور كويمبر: يبدو الأمر كذلك.

- كلهم تأثروا - كما تقول - باستثناء الأنسة آيلسبارو؟

- باستثناء الأنسة آيلسبارو.

- يبدو أمراً يشير الريبة حولها.

- وما هو الدافع الذي قد يكون عندها؟

قال بيكون: ربما كانت مجنونة، فبعض المجانين يبدوون طبيعيين، ولكنهم يفقدون عقولهم أحياناً.

- الأنسة آيلسبارو لم تفقد عقلها. إذا أردت شهادتي كطبيب، فإنني أقول بأنها عاقلة مثلي ومثلك. إذا كانت الأنسة آيلسبارو تطعم العائلة زرنبخاً في الكاري فإنها تفعل ذلك لسبب. وبسبب كونها فتاة ذكية جداً، فإنها ستكون حريصة على ألا تكون هي الوحيدة التي لم تتأثر به. إن ما كانت ستفعله أو ما سيفعله أي قاتل ذكي هو أن يتناول شيئاً قليلاً جداً من الكاري المسموم ثم يبالغ في إظهار الأعراض.

- وعندها لن تستطيع معرفة الحقيقة؟

- حقيقة أن شخصاً قد تناول كمية من الزرنيخ أقل من الآخرين؟ ربما لا.

- إذن قد يكون...

سكت المفتش ليكون ليعزز فكرته ثم قال: قد يكون واحد من العائلة يبالغ في مرضه أكثر من الطبيعي... شخص يشاطر الآخرين المرض ليبعد عن نفسه الشبهة؟ ما رأيك بهذا؟

- لقد خطرت لي هذه الفكرة، وهذا ما جعلني أبلغك. القضية بيدك الآن. لقد أحضرت ممرضة أثق بها لتقوم على رعايتهم، ولكنها لا تستطيع أن تكون في أكثر من مكان واحد في وقت واحد.

- إن أحداً منهم لم يتناول كمية تكفي لقتله، فهل أخطأ القاتل في عمله؟

- كلا. يبدو لي أن الأكثر احتمالاً أن الفكرة هي وضع كمية من الزرنيخ في الكاري كافية لإحداث علامات تسمم غذائي... حتى يواجه اللوم إلى شرائح الفطر؛ فالناس يتتابهون دائماً هاجس التسمم من تناول الفطر. ثم قد تسوء حالة واحد منهم ويموت.

- بعد أن يُعطى جرعة ثانية من السم؟

أوما الطبيب موافقاً وقال: نعم، وهذا ما جعلني أضع ممرضة خاصة لرعايتهم وأبلغك على الفور.

- وهل تعرف ممرضتك عن الزرنيخ؟

- بالطبع، وكذلك الأنسة آيلسبارو.

رن الهاتف على مكتب المفتش. رفع السماعه وقال حمداً، صلني بها.

ثم قال يخاطب كويمبر: ممرضتك على الهاتف. نعم، مرحباً أنا معك. ماذا تقولين؟ انتكاسة خطيرة... نعم، الدكتور كويمبر معي الآن... إذا كنت تريدني الحديث معه.

سلم السماعه للطبيب.

- كويمبر معك... فهمت... نعم، سنأتي فوراً.

وضع السماعه والتفت إلى بيكون وقال: عمن تتكلم؟

- عن ألفرد... وقد مات.

* * *

العجوز كراكتشورب قد أحدث ضجة كبيرة وقال بأنه يموت فذهبت إليه لتهدئته، ثم عادت وأعطت الفرد بعض الشاي مع الغلوكوز... شربه وحدث ما حدث.

- الزرنيع مرة أخرى؟

- يبدو ذلك. قد تكون انتكاسة بالطبع، لكن كويمبر لا يعتقد هذا.

قال كرادوك بارتياح: أنساءل إن كان مقصوداً أن يكون الفرد هو الضحية!

بدا بيبكون مهتماً بالأمر. قال: أنعني بأن وفاة الفرد لا تفيد أحداً بشيء وأن وفاة العجوز ستفيدهم جميعاً؟ نعم، أظن أنها قد تكون غلطة، فربما اعتقد الفاعل بأن الشاي سيقدم للرجل العجوز.

- هل تم التأكد من أن تلك هي الطريقة التي دُسَّ فيها السم؟

- كلا؛ فالمرضة (مثل أي ممرضة جيدة أخرى) غسلت كل الأدوات المستعملة: الفناجين والملاعق وإبريق الشاي وكل شيء... لكنها تبدو الطريقة الوحيدة الممكنة.

- هل تعني أن واحداً من المرضى لم يكن مريضاً كالآخرين وانتهاز فرصته فوضع السم في الفنجان؟

قال المفتش بيبكون عابساً: حسناً، لن يحدث مزيد من الأعمال الغريبة بعد الآن. لقد وضعنا ممرضتين في البيت الآن ناهيك عن الأنسة آيلسبارو، كما أن لدي رجلين أيضاً هناك. هل أنت قادم؟

الفصل العشرون

جاء صوت كرادوك عبر الهاتف حاداً ويبدو أنه لم يصدق ما سمعه. قال: الفرد؟ الفرد؟

قال بيبكون وهو يبعد سماعة الهاتف قليلاً: ألم تتوقع هذا؟
- لم أفعل. الواقع أنني حسبته القاتل!

قال المفتش بيبكون: نعم، إن هذا سيء. لقد بدا وكأننا قد عثرنا على الشخص المطلوب.

قال كرادوك ببرود: حسناً، كنا مخطئين.

سكت الاثنان لحظة، ثم سأله كرادوك: كانت هناك ممرضة مسؤولة. كيف أخطأت؟

- لا تستطيع لومها. كانت الأنسة آيلسبارو مرهقة وذهبت للنوم بعض الوقت، وكانت ممرضة تسهر على خمسة مرضى في وقت واحد: الرجل العجوز، وإيما، وسدريك، وهارولد، والفرد. لم يكن باستطاعتها السهر عليهم جميعاً في وقت واحد، ويبدو أن

- في أسرع وقت!

* * *

جاءت لوسي آيلسبارو إلى الصالة للقاء المفتش كرادوك وقد بدت شاحبة مرهقة. قال كرادوك: لا شك أنك عشت أوقاتاً عصيبة.

- بدا الأمر أشبه بكابوس طويل مخيف. الحق أنني اعتقدت في الليلة الماضية بأنهم يُحتضرون جميعاً.

- بخصوص هذا الكاري...

- أكان ذلك من الكاري؟

- نعم، وقد أضيف إليه الزرنيخ بطريقة بارعة.

- إن كان هذا صحيحاً فلا بد... يجب أن يكون الفاعل واحداً من العائلة.

- هل يوجد أي احتمال آخر؟

- كلا، لقد بدأت أعد ذلك الكاري النعس في وقت متأخر... بعد الساعة السادسة... لأن السيد كراكتشورب طلب الكاري على وجه الخصوص. وكان عليّ فتح علبة جديدة من مسحوق الكاري؛ ولذلك فإن المسحوق لا يمكن أن يكون قد تم العبث به. أحسب أن من شأن الكاري أن يخفي طعم الزرنيخ، أليس كذلك؟

رد عليها كرادوك وهو شارد الذهن: الزرنيخ ليس له أي طعم.

أيّ منهم كانت له فرصة للوصول إلى الكاري أثناء طبخه؟

- الواقع أن أي واحد منهم كان يوسعه التسلل إلى المطبخ بينما كنت أجهز المائدة في غرفة الطعام.

- فهمت. من كان في البيت وقتها؟ السيد كراكتشورب الأب، إيما، سدريك...

- هارولد وألفرد، وقد وصلا من لندن بعد الظهر. آه، وبرايان أيضاً.

قال كرادوك متأملاً: قد يرتبط هذا بمرض الرجل العجوز ليلة العيد، ولقد شك كويمير بأن ذلك كان بسبب الزرنيخ. هل بدا الجميع على نفس الدرجة من المرض ليلة أمس؟

فكرت لوسي ثم قالت: أعتقد أن السيد كراكتشورب الأب بدا أسوأهم، وقد توجب على الدكتور كويمير أن يعالجه كالمجنون. سدريك كان أكثرهم ضجة إلى حد بعيد... إن أصحاب الصحة الجيدة يفعلون ذلك دائماً.

- وماذا عن إيما؟

- كانت في حالة سيئة جداً.

قال كرادوك: ترى لماذا ألفرد؟

قالت لوسي: أتساءل إن كان ألفرد هو المقصود؟

- غريب... لقد تساءلت - أنا أيضاً - هذا التساؤل!

- يبدو ذلك تصرفاً لا هدف له إلى حد ما.

- لو أتيح لي فقط أن أعرف الدافع وراء ذلك كله... لا يبدو أن بين الأمور رابطاً؛ فلو فرضنا أن المرأة القتيلة هي مارتين أرملة إدموند كراكثورب (وقد ثبت هذا إلى حد بعيد الآن) فلا بد من وجود صلة بين ذلك وبين وضع السم عمداً لألفرد. الأمر كله هنا... في العائلة.

- هذا صحيح.

قال كرادوك محذراً: حسناً، حذارٍ على نفسك. تذكرني أن في هذا البيت قاتلاً، كما أن واحداً من مرضاك الراقدين في الطابق العلوي ربما لا يكون مريضاً كما يتظاهر.

صعدت لوسي إلى الطابق العلوي مرة أخرى بخطوات متاقلة بعد مغادرة كرادوك. ناداهما صوتٌ بنبرة أمرة قد أضعفها المرض عندما مرت من أمام غرفة السيد كراكثورب الأب.

- يا بنت... يا بنت... أهذا أنت؟ تعالي هنا.

دخلت لوسي الغرفة. كان السيد كراكثورب راقداً على سريره وتحت رأسه عدد من الوسائد، ولاحظت لوسي أنه بدا فرحاً بالنسبة لرجل مريض. قال متذمراً: البيت مليء بالمرضى الفظيعة. يمشين ويتبخترون هنا وهناك، ويأخذون درجة حرارتي، ولا يقدمون لي ما أريد أن أكله... لا بد أن ذلك يكلف كثيراً. أخبرني إيما بأن تطردهن. بوسعك أنت أن تعتني بي جيداً.

قالت لوسي: الجميع مريض سيد كراكثورب. لا أستطيع السهر على الجميع كما تعرف.

قال الرجل العجوز: "الفطر... الفطر طعام خطير جداً. إنه الحساء الذي شربناه الليلة". ثم أضاف على صورة اتهام: أنت التي صنعتته.

- لم يكن بالفطر أي شيء يا سيدي.

- أنا لا ألومك يا فتاة... لا ألومك. لقد حدث ذلك من قبل. تدخل في المطبخ خطأً حبة فطر لعينة مسمومة فيحدث ما يحدث... لا أحد يمكنه أن يعرف. أعرف أنك فتاة جيدة وما كنت ستفعلين ذلك متعمدة. كيف حال إيما؟

- تحسنت حالتها كثيراً بعد ظهر اليوم؟

- آه، وهارولد؟

- تحسن هو الآخر.

- ما هذا الذي يقال عن ألفرد بأنه مات؟

- يُفترض أن أحداً لم يخبرك بذلك يا سيد كرادوك.

ضحك السيد كراكثورب ضحكة مدوية عالية باسمه المسموع. وقال: إنني أسمع... لا يمكنكم منع الرجل العجوز من ما يجري... لقد حاولوا ذلك. إذن فقد مات ألفرد، السيد العجوز، إن يعيش عائلة علي بعد الآن، كما أنه لن يحصل على أي مال، هم... ما...

ينتظرون موتي، وألفرد على وجه الخصوص، وها هو قد مات الآن.
إنني أسمى ذلك طرفة جيدة.

قالت لوسي بعنف: هذا ليس لطفاً من جانبك يا سيد
كراكتورب.

ضحك السيد كراكتورب ثانية وصاح يقول: سأعيش حتى
يموتوا جميعاً... سترين ذلك يا فتاتي، سترين.

ذهبت لوسي إلى غرفتها لتبحث في قاموس المترادفات عن
معنى «تونتائين»... وجدت الكلمة؛ إنها مرادف لعبارة «التأمين
التكافلي». ثم أغلقت الكتاب وهي تتأمل.

* * *

قال الدكتور موريس غاضباً: لا أفهم ماذا تريد مني.

رد عليه المفتش كرادوك: كنت تعرف عائلة كراكتورب منذ
فترة طويلة.

- نعم، نعم، كنت عرفت العائلة كلها. أتذكر العجوز جوسيا
كراكتورب؛ كان رجلاً ذكياً كادحاً وجمع ثروة كبيرة.

نظر إلى المفتش كرادوك نظرات ارتياب وقال: إذن فقد
استمعت إلى كلام ذلك الطبيب الأحق الشاب كويمبر. يا لهؤلاء
الأطباء الشبان المتحمسين؛ دائماً تدور أفكار غريبة في أذهانهم! لقد
وضع في رأسه أن شخصاً حاول تسميم لوثر كراكتورب. هراء...

ميلودراما! لقد عانى من نوبات معوية بالطبع، وقد عالجتة منها،
ولم يكن فيها ما يريب.

قال كرادوك: يبدو أن الدكتور كويمبر يشبه في الأمر.

- ليس من المستحسن بالنسبة للطبيب أن يقطن ويفكر. ومع
ذلك كنت أستطيع كشف وجود تسمم بالزرنيخ لو رأيته.

- كثيرٌ من الأطباء المشهورين لم يلحظوه، ولدينا - في
سجلاتنا - كثير من مثل هذه الحالات.

- حسناً، حسناً، تريد أن تقول بأنني ربما أخطأت. لا أعتقد
ذلك. على أية حال فإن مبدئي هو عدم الاشتباه بالأشياء دون وجود
سبب معقول يدعو لذلك... سبب معقول. أعتز أن ما قلته لي - قبل
قليل - قد هزني قليلاً... دسٌ للزرنيخ بكمية كبيرة. لكنني ما زلت
لا أفهم سبب مجيئك إلي.

قال كرادوك: ما أحتاجه - حقيقةً - هو أن أعرف المزيد عن
عائلة كراكتورب. هل يوجد فيهم أحد مريض مرضاً عصبياً غريباً...
من أي نوع؟

نظر إليه الدكتور موريس نظرات حادة وقال: نعم، أرى أن
أفكارك تسير في ذلك الاتجاه. حسناً، كان العجوز جوسيا سليم
العقل تماماً وكان قاسي القلب جداً. كانت زوجته مصابة بمرض
العصاب وتميل إلى الاكتئاب وماتت بعد ولادة ابنها الثاني مباشرة.
أعتقد أن ابنها لوثر ورث منها نوعاً معيناً من عدم الاستقرار، ولعلك

تلاحظ - إذا ما تحدثت معه - بأنه يحمل كراهية شديدة لجميع أولاده (باستثناء ابنتيه ؛ إيما وإدث التي توفيت).

- حسب معرفتك، هل يوجد في الأولاد أي نزعة غريبة؟

- سدريك من النوع غريب الأطوار، متمرد بطبعه، ولا أظن أنه شخص طبيعي تماماً (ولكن لا يوجد أحدٌ كذلك!). أما هارولد فهو متزمت كثيراً ويارد القلب ويبحث عن الفرص، ولا أرى فيه شخصية محبوبة. أما ألفرد ففيه شيء من الانحراف! آه، لقد مات هذا المسكين، ولا يُفترض بي أن أغتابه. ولكن لماذا يريد أي شخص أن يموت ألفرد أو يموت العجوز كراكثورب؟

- ربما كان شخصاً جشعاً يريد الحصول على الثروة كلها.

- لو كان كذلك فإنه أحمق مغفل؛ إذ أنه سيدفع ضرائب لا تصدق على الدخل الذي يأتي منها.

* * *

قالت السيدة كيدر: الفطر هذا طعام بغيض.
كانت السيدة كيدر قد قالت العبارة هذه أكثر من عشر مرات في الأيام القليلة الماضية، لكن لوسي لم ترد عليها.

قالت السيدة كيدر: أنا لا أقترّب منه أبداً؛ فهو خطير جداً. إن العناية الإلهية هي التي جعلت واحداً فقط يموت. كان يمكن أن تموت العائلة كلها، وأنت أيضاً يا آنسة. لقد نجوت من الموت بأعجوبة.

قالت لوسي: لم يكن من الفطر، لم يكن في الفطر أي شيء.

- لا تصدقي هذا الكلام... إن الفطر خطير؛ حبة واحدة سامة من بينها فيحدث ما يحدث.

أكملت السيدة كيدر وهي منكبة على الأطباق في الحوض: غريب كيف تأتي المصائب معاً. أولاً جريمة القتل الفظيعة تلك والآن السيد ألفرد قد مات من تسمم الفطر. ترى من سيكون التالي؟
أحست لوسي بالقلق لأنها هي أيضاً تريد معرفة الجواب.

- لا يريدني زوجي أن آتي إلى هذا البيت؛ يعتقد أنه بيت مشؤوم، لكنني قلت له بأنني أعرف الآنسة كراكتشورب منذ زمن طويل وهي امرأة طيبة وتعتمد علي، كما لا أستطيع ترك الآنسة آيلسبارو المسكينة تعمل كل شيء في البيت وحدها، وبالنسبة للممرضات هنا فإنهن لا يساعدن بشيء. كل ما يرذنه هو أن يُقدم لهن الشاي والطعام... لقد تعبنا!

كانت تتكلم عن قناعة تامة رغم أن عملها لم يزد إلا قليلاً. قالت لوسي: أنت لا ترحمين نفسك يا سيدة كيدر.

بدأت السيدة كيدر مسرورة مما سمعت، وحملت لوسي صينية الطعام الأولى وصعدت بها الدرج.

قال السيد كراكتشورب مستاءً: ما هذا؟

قالت لوسي: مرق اللحم وكاستر بالفرن؟

- أبعديه عني؛ لن أكل منه شيئاً. لقد قلت لتلك الممرضة بأنني أريد لحماً.

- يعتقد الدكتور كويمبر بأنك لا ينبغي أن تأكل لحماً في الوقت الحالي.

تأفف السيد كراكتشورب وقال: أنا في صحة جيدة الآن وسأغادر الفراش غداً. كيف حال الآخرين؟

- لقد تحسن السيد هارولد كثيراً وسيعود إلى لندن غداً.

- ستتخلص منه. وماذا عن سديك... هل من أمل في ذلك إلى جزيرته غداً؟

- لم يحن وقت ذهابه بعد.

- مؤسف! وماذا تفعل إيما؟ لماذا لا تأتي لرؤيتي؟

- ما زالت ترقد في سريرها يا سيدي.

- النساء يدللن أنفسهن دائماً. لكنك فتاة قوية؛ تركضين طوال اليوم، أليس كذلك؟

- إنني أتدرب كثيراً.

أوما السيد كراكتشورب باستحسان وقال: أنت فتاة جيدة وقوية، ولا تظني أنني نسيت ما تحدثت معك بشأنه من قبل. سترين في يوم من الأيام ما سترينه... ولا تصغي إلى الآخرين عندما يقولون لك بأنني عجوز بخيل. إنني أحرص على مالي فقط، وقد جمعت ثروة لا بأس بها وأعرف على من سأنفقها عندما يحين الوقت.

خرجت لوسي من الغرفة بسرعة متجنباً يده التي أرادت الإمساك بها. وكانت الصينية التالية إلى غرفة إيما.

- آه، شكراً لك يا لوسي. أشعر بأنني استعدت ما بقي الآن. أنا جائعة، وهذه علامة جيدة، أليس كذلك؟

وعندما وضعت لوسي الصينية على ردها أذاعت تقول: يا إلهي! إنني قلقة جداً على عمك؛ فليس لديك أي وقت لك في تذهبي لزيارتها.. أخشى أن تكون قد افتقدتك.

- آه، لا تقلقي يا آنسة كراكشورب. إنها تفهم المحنة التي نعيشها.

- هل اتصلت بها.

- لا، لم أتصل بها في الفترة الأخيرة.

- اتصلي بها... اتصلي بها كل يوم. إن معرفة كبار السن بالأخبار يغير من حالتهم.

- هذا لطف بالغ منك.

وخزها ضميرها قليلاً وهي ذاهبة لإحضار الصينية الثالثة. لقد جعلتها أحداث المرض الأخيرة في البيت منهمكة تماماً ومشغولة ولم يكن لديها وقت للتفكير بأي شيء آخر. وقررت أن تتصل بالآنسة ماربل حالما تقدم الطعام لسدريك.

كان سدريك يجلس على سريره بشكل مرتب ومتأنق جداً، وكان مشغولاً في الكتابة على بعض الأوراق.

قال: مرحباً يا لوسي. ما الذي أحضرته لي اليوم؟

قالت لوسي: تبدو مسروراً جداً. بماذا أنت مشغول؟

- خطط. خطط حول ما سنفعله بهذا البيت عندما ينتهي المعجوز. إنها أرض جيدة هنا كما تعرفين، ولا أستطيع تقرير ما إذا كنت سأطور جزءاً منها أو أبيعها بالكامل. قد أبيع نصف الأرض وأستخدم المال في مشروع خيالي على النصف الآخر. ما رأيك؟

ردت عليه لوسي ببرود: أنت لم تحصل عليها بعد.

- سوف أحصل عليها. إنها لن تقسم كغيرها من التركة، وسأحصل عليها دون شك.

- لقد فهمت دوماً أنك تحتقر المال إلى حد ما.

- إنني أحتقر المال - بالطبع - عندما لا يكون عندي منه شيء؛ فهو الموقف الوحيد الذي يحفظ الكرامة.

تركته لوسي ومضت إلى المطبخ. وقبل أن تتناول غداءها ذهبت إلى الهاتف واتصلت بالآنسة ماربل.

- أنا آسفة جداً لعدم تمكني من الحضور إليك، لكنني مشغولة جداً.

- بالطبع يا عزيزتي بالطبع. كما أنه لا يمكن عمل أي شيء في الوقت الحالي... علينا أن ننتظر.

- نعم. ولكن ماذا ننتظر؟

قالت الآنسة ماربل: لا بد أن تكون إلست ماغليكدي في بيتها عملاً قريباً؛ فقد كتبت إليها رسالة لتعود على الفور. قلت لها بأن هذا واجب عليها. لذلك لا تقلقي كثيراً يا عزيزتي.

كان صوتها رقيقاً ومطمئناً.

قالت لوسي: "هل تعتقدين...؟"، لكنها سكنت ولم تكمل.

- تقصدين إن كان سيقع مزيد من الوفيات؟ آه، أرجو ألا

يحدث ذلك يا عزيزتي. ولكن من يدري؟ أقصد عندما يوجد شخص شرير. وأظن أنه يوجد الكثير من الشر هنا.

- أو الجنون.

- أعرف أن هذه هي النظرة الحديثة إلى مثل هذه الأمور، لكني شخصياً - لا أتفق مع هذا الرأي.

وضعت لوسي السماعة وذهبت إلى المطبخ وأخذت صينية غدائها. كانت السيدة كيدر على وشك المغادرة، قالت للوسي: هل ستكونين على ما يرام يا آنسة؟

- طبعاً سأكون على ما يرام.

لم تأخذ صينيتها إلى غرفة الطعام الكبيرة الكثيرة ولكن إلى المكتب الصغير، وقد كانت على وشك الانتهاء من وجبتها عندما فُتح الباب ودخل منه برايان. قالت: مرحباً، إنها زيارة غير متوقعة.

- أظن ذلك. كيف الجميع؟

- أفضل بكثير. سيعود هارولد إلى لندن غداً.

- ما رأيك بكل ما حدث؟ هل كان من الزرنيخ حقاً؟

- لا شك أنه من الزرنيخ.

- لم تنشر الصحف ذلك بعد.

- أظن أن الشرطة يريدون الإبقاء على الأمر سراً حالياً.

- لا بد أنه شخص يحقد على العائلة كثيراً. من يمكن أن يكون قد تسلل إلى المطبخ وعبث بالطعام؟

- أظن أنني أكثر الأشخاص احتمالاً.

نظر إليها برايان نظرة قلق ثم سألها: قد صدم بعض الشيء: لكنك لم تفعلي ذلك، أليس كذلك؟

قالت: "لم أفعل بالطبع". وفكرت في نفسها: لا أحد يمكن أن يكون قد عبث بالكاربي؛ فقد أعدته وحدها في المطبخ. أحضرته إلى المائدة بنفسها، والشخص الوحيد الذي كان في المطبخ العبث به هو واحد من الأشخاص الخمسة الذين جلسوا حول المائدة. الطعام.

قال برايان: أرجو ألا تؤاخذيني على عودتي بها. الطعام هنا؟

- لن أؤاخذك بالطبع. هل جئت لتبغى؟

- أود ذلك، إن لم يكن ذلك عبثاً كبيراً عليك.

- كلا، كلا. يمكن تدبير الأمر.

- كما تعرفين، فإنني لا أعمل الآن، وقد شعرت بال... أم لا أنت واثقة فعلاً من أنك لا تمانعين؟

- آه، على أية حال فلست الشخص المعني بهذا! إنها... آه... تخص إيما.

- إن كانت إيما فلا بأس. إنها طيبة معي دائماً... على طريقتها الخاصة، والواقع أنها تخفي أشياء في نفسها. إنها امرأة غامضة، على أن العيش هنا والعناية برجل عجوز يصيب معظم الناس بالاكئاب. من المؤسف أنها لم تتزوج أبداً... أظن أن الوقت قد فاتها الآن.

قالت لوسي وهي تنهض حاملة معها الصينية: لا أظن الوقت قد فات... أبداً.

قال برايان وهو يأخذ منها الصينية: سأحملها عنك.

ثم ذهبوا إلى المطبخ معاً. قال برايان: "أيمكنني مساعدتك في غسل الأطباق؟ أنا أحب هذا المطبخ. الواقع أنني أعرف أن الناس لا يحبون مثل هذا البيت في وقتنا الحاضر، ولكني أحبه، وهو ذوق غريب ولكنه الواقع". ثم أضاف بحماسة: يستطيع الواحد أن يحفظ بطائرته في حديقة هذا البيت.

ثم أمسك بقطعة قماش وبدأ بتنشيف الملاعق والسكاكين. قال: يبدو لي أن توريث هذا المنزل لسدريك فيه مضجعة له. إن أول شيء سيفعله هو بيعه ليرحل - من ثم - إلى الخارج من جديد. أنا لا أفهم لماذا لا يكتفي أي امرئ بأنكثراً! كما أن هارولد لا يريد هذا البيت، وهو كبير جداً على إيما بالطبع. أما إذا حصل ألكساندر عليه فسأعيش فيه معه ونكون سعيدين معاً. ومن الجميل أن توجد معنا في البيت امرأة.

قالها وهو ينظر إلى لوسي نظرة تأمل، ثم أضاف: آه، وما هي فائدة الحديث؟ إذا كان ألكساندر سيحصل على هذا المكان فإن على جميع أفراد العائلة أن يموتوا قبل ذلك. وهو أمر غير محتمل،

أليس كذلك؟ رغم أن ما رأيته من العجوز يؤكد أنه سيعيش حتى يبلغ المئة عام، وذلك لمجرد إزعاجهم جميعاً. لا أظن أنه حزن كثيراً لوفاة ألفرد، أليس كذلك؟

قالت لوسي باختصار: بلى، لم يحزن.

قال برايان: إنه شيطان عجوز مشاكس!

* * *

- آه، نعم آلمني كثيراً، وقد قلت هذا لرومي!

دق الجرس، فقالت كيدر: جاء الطبيب يا أنسة. هل أفتح الباب
أنا أم تفتحينه أنت؟

قالت لوسي: سأذهب إليه.

لكنه لم يكن الطبيب، فقد وقفت على عتبة الباب امرأة أنيقة
طويلة القامة ترتدي معطفاً من الفراء، وكانت تقف وراءها سيارة
رولز بقودها سائق.

- هل يمكنني رؤية الأنسة إيما كراكثورب، من فضلك؟

كان صوتها جذاباً مع لثغة خفيفة في حرف الراء. وكانت في
نحو الخامسة والثلاثين من عمرها، سوداء الشعر وقد جمّلت وجهها
بمساحيق التجميل.

قالت لوسي: أنا آسفة؛ فالآنسة كراكثورب مريضة في فراشها
ولا يمكنها رؤية أحد.

- أعرف أنها مريضة، نعم. ولكن من الضروري أن أراها.

- أخشى أن...

قاطعتها الزائرة قائلة: "أظنك الآنسة آيلسبارو، أليس كذلك؟".
وابتسمت لها ابتسامة جذابة ثم أضافت تقول: لقد تحدث ابني عنك
ولذلك عرفت. أنا الليدي ستودارت وألكساندر يقيم الآن عندي.

- آه، فهمت.

الفصل الثاني والعشرون

قالت السيدة كيدر: إن ما يقوله الناس شيء فظيع. أنا لا أصغي
لهذا الكلام قدر استطاعتي، ولكن المرء لا يكاد يصدق ما يقال.

انتظرت رد فعل لوسي التي اكتفت بالقول: "نعم، أظن
ذلك"، فأكملت تقول وهي تجثو على يديها وركبتيها تمسح
الأرض: بخصوص الجثة التي عثر عليها في الحظيرة... يقولون إنها
كانت صديقة للسيد إدموند أثناء الحرب، وقد عادت الآن إلى هذا
المكان فتبعها زوجها الغيور وقتلها. إنه أمر غير ممكن بعد كل هذه
السنوات، أليس كذلك؟

- يبدو لي أمراً أبعد ما يكون عن الاحتمال.

- أنا لم أصغ لتلك الأقوال بالطبع. إنني لا أصدق مثل هذه
القصص. لكن ما يحيرني هو كيف يفكر الناس بمثل هذه الأشياء
ناهيك عن قولها.

كانت السيدة كيدر تتحدث باستمتاع كبير. قالت لوسي: لا بد
أن سماعك لذلك قد ألمك كثيراً.

- ومن الضروري فعلاً أن أرى الآنسة كراكثورب. أعرف كل شيء عن مرضها، وأؤكد لك أنها ليست زيارة اجتماعية. إنها بسبب شيء قاله الولدان لي... أو قاله ابني لي. أعتقد أنها مسألة في غاية الخطورة، وأريد التحدث مع الآنسة كراكثورب بخصوصها. هلا سألتها من فضلك؟

- تفضلي.

أشارت لوسي إلى زائرتها بالدخول إلى الصالة ثم إلى غرفة الاستقبال، وقالت: سأذهب لأسأل الآنسة كراكثورب. صعدت الدرج ثم طرقت على باب غرفة إيما ودخلت. قالت: جاءت الليدي ستودارت، وهي تريد رؤيتك بكل إلحاح. فوجئت إيما وقالت: "الليدي ستودارت؟!". ظهر الخوف على وجهها ثم أضافت: هل حدث للأولاد شيء... أعني ألكساندر؟ طمأنتها لوسي: لا، لا. الأولاد بخير. يبدو أن الأمر يدور حول شيء قاله الأولاد لها.

ترددت إيما قبل أن تقول: حسناً، ربما كان من الأفضل أن أراها. هل أبدو في مظهر حسن يا لوسي.

قالت لوسي: أنت تبدين طبيعية جداً. هل أحضرها؟

- نعم، أرحوك.

نزلت لوسي الدرج ثانية حيث رافقت الزائرة إلى الطابق العلوي وفتحت لها الباب حتى دخلت الغرفة، ثم أغلقت الباب. اقتربت

الليدي ستودارت من السرير ومدت يدها: الآنسة كراكثورب؟ أرجو أن تعذرني على اقتحامي عليك غرفتك بهذه الطريقة. أعتقد أنني رأيتك يوم النشاط الرياضي في المدرسة.

قالت إيما: نعم، أذكرك جيداً. اجلسي من فضلك.

جلست الليدي ستودارت على كرسي بجانب السرير، ثم قالت بصوت منخفض جداً: لا بد أنك تعتقدين أن قدومي إليك بهذه الطريقة أمر غريب، ولكن لدي سبب حقيقي، وأظن أنه سبب مهم. لقد سمعت من الولدين أشياء. تعلمين أنهما كانا متفعلين بجريمة القتل التي حدثت هنا، وأعترف بأنني كرهت ذلك وقتها وأردت إعادة جيمس إلى البيت على الفور، ولكن زوجي ضحك وقال إن من الواضح أن جريمة القتل لا علاقة لها بالعائلة، وقال إن جيمس وألكساندر يستمتعان استمتاعاً شديداً وبالتالي فإن من القسوة إعادتهما. ولذلك استسلمت ووافقت على بقائهما لحين الموعد المتفق على عودتهما فيه إلى بيتنا.

- هل تعتقدين أنه كان يتوجب علينا إعادة ابنك إليك قبل ذلك الوقت؟

- لا، لا، لم أقصد هذا أبداً... يصعب عليّ توضيح الأمر، ولكن ما أريد قوله لا بد أن يُقال. كما تعلمين، فقد فشلت وبحثنا كثيراً... أقصد الولدين، وأخبراني بأن الشرطة يظنون أن هذه المرأة القتيلة قد تكون فتاة فرنسية كان يعرفها أخوك الأكبر الذي قُتل في الحرب في فرنسا. هل هذا صحيح؟

قالت إيما وقد تفتت صوتها قليلاً: إنه احتمال نحن مرغمون على التفكير فيه... قد يكون الأمر كذلك.

- أوجد سبب يدعو للاعتقاد بأن الجنة هي لهذه الفتاة، مارتين؟

- قلت لك بأنه احتمال.

- ولكن لماذا؟ لماذا يعتقدون بأنها مارتين؟ هل كانت تحمل معها جواز سفر أو أوراقاً ثبوتية؟

- لا، لا شيء من ذلك، ولكنني تسلمت منها رسالة.

- هل استلمت رسالة... من مارتين؟

- نعم، رسالة تخبرني فيها أنها موجودة في إنكلترا وتريد أن تأتي لرؤيتي. وقد دعوتها لزيارتنا هنا، لكنني تلقيت منها بعد ذلك برقية تقول إنها ستعود إلى فرنسا. وربما عادت إلى فرنسا فعلاً... لا نعرف، ولكن وجد هنا مغلف الرسالة التي أرسلتها إليها، وهذا يظهر أنها جاءت إلى هنا. إنني لا أفهم...

أسرعت الليدي ستودارت بالتدخل قائلة: أنت لا تدريين سبب اهتمامي بهذا الموضوع، أليس كذلك؟ ولو كنت مكانك لما أدركت هذا السبب. لكنني عندما سمعت هذا (أو بالأحرى عندما سمعت رواية محرفة عنه) توجب علي أن آتي حتى أتأكد من أن الأمر كذلك بالفعل. فإن كان...

- نعم؟

- إذن لا بد أن أقول لك شيئاً لم أكن أنوي قوله لك، أنا مارتين دوبرو.

حدقت إيما إلى صيفتها وكأنها لم تفهم معنى كلماتها. قالت: أنت... أنت مارتين!

أومأت المرأة بحماسة وقالت: نعم. أعرف أن هذا فاجأك لكنها الحقيقة. التقيت أخاك إدموند في أول أيام الحرب حين كان يأوي في بيتنا، وأنت تعرفين بقية القصة... أحب كل منا الآخر وعزمنا على الزواج، ثم كان الانسحاب إلى دنكيرك واعتُبر إدموند مفقوداً، ثم أبلغونا عن مقتله. لن أتكلم معك عن تلك الفترة، فقد مضى على ذلك زمن طويل وقد انتهت. لكنني أريد أن أقول بأنني أحيت أخاك كثيراً... ثم جاءت التطورات المؤسفة في الحرب. احتل الألمان فرنسا وانضمت للمقاومة، وكنت من الذين وكلت إليهم مهمة تهريب الإنكليز من فرنسا إلى إنكلترا. وأثناء ذلك التقيت زوجي الحالي، فقد كان ضابطاً في سلاح الجو وهبط في فرنسا ليقوم بمهمة خاصة، وعندما انتهت الحرب تزوجنا. لقد فكرت -أكثر من مرة- أن أكتب لك رسالة أو آتي لزيارتك، لكنني قررت عكس ذلك. كانت لي حياتي الجديدة ورأيت أنه من غير المفيد إثارة ذكريات الماضي.

سكتت قليلاً ثم قالت: لكنني شعرت بسعادة غريبة عندما عرفت أن صديق جيمس المقرب في المدرسة ولد عرفت فيما بعد أنه ابن أخت إدموند. وأظن أن ألكساندر يشبه خاله كثيراً كما أظنك تعلمين. ويدأ لي أن صداقة جيمس وألكساندر تبعث على السرور.

مالت بجسدها إلى الأمام ووضعت يدها على ذراع إيما

وقالت: لكنني -يا عزيزتي إيما- عندما سمعت هذه القصة شعرت بأن من الضروري أن آتي لأخبرك بالحقيقة، إما أن أبلغك أو أبلغ الشرطة بذلك؛ المرأة القتيلة ليست مارتين.

قالت إيما وهي تهز رأسها: ولكنني لا أفهم. إذن هل أنت التي كتبت لي الرسالة؟

هزت الليدي ستودارت رأسها نافية بقوة وقالت: لا، لا. لم أكتب لك أي رسالة بالطبع.

قالت إيما: "إذن..."، ثم سكنت ولم تكمل.

قالت الليدي ستودارت: إذن إحداهن كانت تتظاهر بأنها مارتين، وربما أرادت الحصول على مال منك؟ لا بد أن ذلك ما حدث. ولكن من عساها تكون؟

قالت إيما ببطء: أظن أن أناساً في ذلك الوقت... كانوا يعرفون؟

- ربما كان ذلك صحيحاً في ذلك الوقت البعيد، ولكن أنا لم أتحدث عن قصتي هذه منذ قدومي لإنكلترا. ثم لماذا انتظرت كتابة الرسالة كل هذا الوقت؟ شيء غريب جداً!

قالت إيما: "أنا لا أفهم ما يجري. علينا أن نرى ما يقوله المفتش كرادوك". ثم نظرت إلى زائرتها فجأة وقالت: إنني سعيدة جداً بتعرفي إليك أخيراً يا عزيزتي.

- وأنا كذلك. كان إدموند يكثر الحديث عنك وقد أحبك كثيراً. إنني سعيدة في حياتي الجديدة، لكنني مع ذلك -لم أنس.

استندت إيما إلى وسادتها وتنهدت ثم قالت: لقد ارتحت كثيراً، فطالما كنا نخشى أن تكون المرأة العاهة هي مارتين. وقد بدت الجريمة مرتبطة بالعائلة، ولكن الآن -اعلموا- أراح عن كاهلي عبء كبير. لا أعرف من تكون تلك المسكينة التي لها أية علاقة بنا!

* * *

لا يزال يشعر بالتعب، لكنه أراد أن يأتي إلى مكتبه. كان يريد معرفة كيف تجري الأمور هنا؛ فالوضع دقيق وحرص. كل هذا... نظر حوله إلى المكتب الفخم وما فيه من أثاث يبدو فخماً مترفاً. في هذه النقطة كان ألفرد مخطئاً دوماً! إذا كنت تبدو مترفاً فإن الناس سيعتقدون بأنك غني. لم تظهر أية شائعات حتى الآن حول استقراره المالي، ولكن لم يكن من الممكن تأخير الكارثة وقتاً طويلاً. لو أن والده هو الذي مات بدلاً من ألفرد... كان يجب أن يحدث هذا بالتأكيد. إنه يبدو -عملياً- وكأن الزرنينغ يزيده قوة! نعم، لو أن والده مات لما بقي ما يقلق عليه، ومع ذلك فإن الأمر المهم هو عدم إظهار القلق... المهم هو مظهر الرخاء، وليس مثل ألفرد المسكين الذي كان يبدو دائماً رث الثياب قليل الحيلة، واحداً من أولئك المضاربين الصغار الذين يكتفون بالفتات ولا يجرؤون على خوض المغامرات للوصول إلى الثروات الكبرى؛ يرتبط بمجموعة مشبوهة هنا، ويقوم بصفقة مريبة هناك. صحيح أنه لم يكن يعرض نفسه مباشرة للمسؤولية القانونية، ولكنه كان يقترب من دائرة الشبهة كثيراً. وإلى أين أودى به هذا؟ فترة قصيرة من البحيوحة ثم العودة إلى الثياب الرثة البالية. لم تكن لديه سعة الأفق أبداً. وإجمالاً لا يمكنك أن تقول بأن رحيل ألفرد كان خسارة كبيرة؛ إذ لم يكن يحبه كثيراً... ومع وفاة ألفرد فإن المال الذي سيحصل عليه من جده العجوز الراحل سيزيد بشكل كبير، حيث لن يقسم إلى خمس حصص وإنما إلى أربع، وذلك أفضل بكثير.

أشرق وجه هارولد قليلاً. نهض عن مقعده وأخذ قبعته ومعطفه وغادر المكتب. يحسن أن يأخذ راحةً ليوم أو يومين؛ فهو ما زال

الفصل الثالث والعشرون

أحضرت السكرتيرة المنظمة فنجان الشاي المعتاد للسيد هارولد كراكثورب.

- شكراً لك يا آنسة إيلس. سأعود إلى البيت اليوم مبكراً.

قالت الآنسة إيلس: كان يجب ألا تأتي أبداً؛ ما زلت تبدو واهناً مريضاً.
- أنا بخير.

لكن هارولد كان يشعر بالضعف والمرض، لا شك في ذلك. وفكر في نفسه -عائساً- كيف مات أخوه ألفرد بينما ظل العجوز على قيد الحياة بعد كل هذا. كم كان عمره؟ ثلاثاً وسبعين... أربعاً وسبعين؟ كان مريضاً منذ سنوات، ولو كان شخصٌ يُحتمل أن يموت لكان هو الرجل العجوز. ولكن لا، كان الموت من نصيب ألفرد... ألفرد الذي كان هارولد يعرف بأنه رجل معافى لا يتعب ولم يكن فيه أي شيء.

استند إلى ظهر كرسيه يتنهد. كانت تلك الفتاة على حق؛ إنه

يشعر بالضعف. كانت سيارته في انتظاره في الشارع، وفي الحال ركبها وانطلق بها في شوارع لندن إلى بيته. فتح الباب له خادمه داروين وقال: ها هي سيدتي قد وصلت لتوها.

حذق إليه هارولد بعض الوقت. زوجته! يا إلهي، هل اليوم هو موعد وصولها؟ لقد نسي ذلك كله. أمر جيد أن يكون داروين قد نبهه لهذا؛ فلن يكون الحال جيداً إذا ما صعد إلى غرفته وبدت عليه المفاجأة لرؤيتها هناك. وهذا لا يعني أن المسألة مهمة إلى ذلك الحد؛ فلا هو ولا زوجته يخدعان نفسيهما بخصوص مشاعر كل واحد منهما نحو الآخر.

ربما كانت هي تحبه... لم يكن يعرف. ولكن، إجمالاً، كانت خيبة أمل كبيرة بالنسبة له. لم يكن يحبها بالطبع، ولكن رغم قبحها كانت امرأة مريحة تبعث على السرور، كما أن عائلتها وعلاقاتها كانت مفيدة له دون شك. ولكنه لم يرزق بأي ولد، لا بنت ولا صبي، وكل ما بقي من ذلك الزواج هو أنه كان يكبر في السن مع زوجته دون أن يكون بينهما الكثير ليتحدثا به معاً ودون متعة حقيقية بحياتهما معاً. كانت تسافر لفترات طويلة لتقيم عند أقاربها، وكان من عاداتها أن تذهب إلى الريفييرا في الشتاء. كان ذلك يسعدها ولم يكن هو ليتضايق من ذلك.

صعد إلى الطابق العلوي ودخل غرفة الاستقبال وسلم عليها سلاماً شكلياً خالياً من الحماسة: إذن فقد عدت يا عزيزتي. أنا آسف لأنني لم أتمكن من استقبالك، لكنني كنت مشغولاً في المدينة وقد عدت بأسرع ما أمكنني. كيف كانت رحلتك؟

كانت زوجته امرأة نحيفة صفراء الشعر ذات أنف مقوس وعينين عسليتين غامضتين، ومضت تتكلم بصوت مهذب رتيب ونبرة خشية. كانت رحلة العودة جيدة ومريحة إلا أن بحر القنال كان هائجاً بعض الشيء، والجمارك في ميناء دوفر كانت متعبة كالعادة.

قال هارولد (كما كان يقول دائماً): كان يجب أن تأتي بالطائرة. فهي أسهل بكثير من الباخرة.

- هذا صحيح، لكنني لا أحب السفر بالطائرة لأنها تجعلني عصبية المزاج.

- لكنها توفر الكثير من الوقت.

لم تحبه الليدي كراكنثورب... ربما لم تكن مشكلتها في الحياة توفير الوقت بقدر ما كانت شغل الوقت. سألت زوجها عن صحته بأسلوب مهذب قائلة: لقد أزعجتني برقية إيما؛ علمت أنكم جميعاً أصبتم بالمرض.

- نعم، نعم.

- قرأت في الصحف قبل أيام عن إصابة أربعين شخصاً بالتسمم الغذائي في أحد الفنادق. أظن أن حفظ الأطعمة بالثلاجة خطير جداً، فالناس يخزنون فيها الطعام لفترات طويلة.

- ربما.

ترى هل كان عليه أن يذكر موضوع الزرنيخ أم لا؟ عندما نظر إليها أحس بعجزه عن ذلك. ذهب إلى غرفته واستلقى مدة ساعة أو

نظر إليها. كانت ترتقبه، وتساءل لبعض الوقت... لم يكن يتساءل كثيراً عن الذي كانت تفكر فيه بالضبط، فنظراتها الباردة تلك لم تكن تعني له شيئاً. كانت عيناها مثل النوافذ في البيت الخالي. ما الذي كانت تشعر به تجاهه؟ هل سبق لها أن أحبت ذات يوم، أم أنها تزوجته لأنها ظنت أنه كان ناجحاً في عمله وسئمت من الحياة التي كانت تعيشها؟ إجمالاً، لقد استفادت تماماً من هذا الزواج. لقد حصلت على سيارة وبيت في لندن، وتستطيع أن تسافر إلى الخارج عندما تريد ذلك وتشتري لنفسها ثياباً غالية الثمن (رغم أن الملابس لا تبدو جميلة عندما تلبسها!). نعم، لقد استفادت جيداً من الزواج منه. تساءل إن كان هذا ما تشعر به. ربما لم تكن تحبه لكنه لم يكن يحبها هو الآخر. لم يكن بينهما أي شيء مشترك، لا شيء يتحدثان حوله، ولا ذكريات يتقاسمانها. لو كان لهما أطفال! ولكنهما لم يُرزقا بأطفال... غريب أن لا يوجد في العائلة أطفال سوى ابن إدي الصغيرة. إدي الصغيرة... كانت فتاة سخيفة إذ أقدمت على زواج أحق في زمن الحرب!

تململ هارولد في كرسيه بقلق. إن وصية جده ظالمة حقاً؛ فقد أبقتهم جميعاً معلقين بحبل في الهواء! إن الوصية لم ترض أحداً أبداً... لم ترض الأحفاد كما أثارت حنق الأب. لقد أصّر العجوز على ألا يموت، وهذا ما جعله يهتم بنفسه كثيراً، لكنه لا بد أن يموت عمّا قريب. بالتأكيد، سيموت في وقت قريب. وإلا...

انتابت هارولد -مرة أخرى- جميع المخاوف مما جعله يشعر بالتعب والإرهاق والغثيان. لاحظ أن زوجته ما زالت ترتقبه بعينها

الشاحبتين مما جعله يشعر بالتململ والقلق بطريقة ما. قال: أريد أن أنام؛ إنه أول يوم أخرج فيه إلى المدينة.

- نعم، أعتقد أنها فكرة جيدة. أنا واثقة من أن الطبيب قد أخبرك أن لا تتعب نفسك كثيراً في البداية.
- الأطباء يقولون هذا دائماً.

- ولا تنس أن تتناول دواءك يا عزيزي.

أمسكت بالعلبة وأعطتها له فودّعها وذهب إلى غرفته. نعم، كان بحاجة إلى الأقراص، وكان من الخطأ الامتناع عن تناولها بهذه السرعة. أخذ قرصين وبلعهما مع كأس من الماء.

* * *

عن هذه الملصقات شيئاً. لا، إن علبة الدواء تلك جاءت من رذرفورد هول.

- هل تعرف يقيناً أنها جاءت من رذرفورد هول؟

- نعم، قمنا بتحقيق شامل في هذا الأمر. والواقع أنها العلبة التي كانت تحتوي على الأقراص المهدئة التي وصفها الطبيب لإيما.

- آه، فهمت... لإيما.

- نعم، عليها بصمات أصابعها، بالإضافة إلى بصمات الممرضتين والصيدلي الذي جهزها. ومن الطبيعي أن لا يكون عليها بصمات أحد غيرهم، فقد كان الشخص الذي أرسلها حذراً.

- وقد استبدلت بالأقراص المهدئة أقراص أخرى، أليس كذلك؟

- بلى. هذا ما يخيف في أمر هذه الأقراص بالطبع؛ إنها متشابهة كلها.

وافقته الأنسة ماريل: أنت محق. أتذكر جيداً -أيام شبابي- المركب الأسود والمركب البني (كان دواء يستخدم للسعال) والأبيض والوردي... لم يكن الناس يخلطون بين أنواع الحبوب إلى هذا الحد، والواقع أننا ما زلنا نحب استخدام تلك الأدوية في قريتنا سينت ميري ميد. ماذا كان في تلك الأقراص؟

- سم الأكونيتين؛ وهي مادة تخفف -عادةً- بنسبة واحد في المئة للاستعمال الطبي.

الفصل الرابع والعشرون

قال ديرموت كرادوك مكتئباً: يبدو أنني كنت أكثر من اختلطت عليه الأمور مما حدث.

كان يجلس كالتائه ينظر إلى غرفة فلورنس المكتظة بالأثاث، وكان مرهقاً تماماً ومتضايقاً ومكتئباً.

عارضته الأنسة ماريل بكلمات مهدئة لطيفة وقالت: لا، لقد قمت بعمل جيد يا ولدي العزيز؛ كان عملاً جيداً فعلاً.

- هل قمت بعمل جيد فعلاً؟ لقد تركت العائلة كلها تتسمم. ألفرد مات أولاً والآن هارولد مات هو الآخر. ما الذي يجري؟ ليتني أعرف ما يجري.

قالت الأنسة ماريل: أقراص مسمومة؟

- نعم، عمل شيطاني! بدت تماماً كالأقراص التي كان يتناولها، وقد أرسلت معها ورقة مطبوعة جاء فيها: «بناء على تعليمات الدكتور كويمبر»، ولكن كويمبر لم يأمر بها أبداً. لقد استخدمت عليها ملصقات الصيدلية، والصيدلي يقول بأنه لا يعرف

- وهكذا تناول هارولد منها ومات.

أصدر كرادوك صوتاً كنوع من التأفف وقال: أرجو ألا
تؤاخذيني في التنفيس عن مشاعري معك. إن قلبي يقول لي: "قل
كل ما عندك للعممة جين!"

- هذا جميل منك، وأنا أقدر هذا فعلاً.

ابتسم كرادوك في وجهها وقال: لكن الحقيقة تبقى أنني وقعت
في أخطاء رهيبية وخلطت الحابل بالنابل منذ البداية. لقد اتصل قائد
الشرطة هنا بسكوتلانديارد للتدخل في القضية، فماذا فعلوا؟ لقد
جعلوني أبدو كالمغفل الساذج!

- كلا، كلا.

- نعم، نعم. إنني لا أعرف من الذي وضع السم لألفرد، ولا
أعرف من الذي سمم هارولد... والأدهى من ذلك أنني لا أعرف
شيئاً عن شخصية المرأة القتيلة! لقد بدا أن الافتراض القائل إنها
مارتين كان مريحاً ويتناسب مع وقائع القضية الأخرى. والآن ما
الذي حدث؟ ظهرت مارتين الحقيقية بطريقة غير متوقعة وظهر أنها
زوجة السير روبرت ستودارت. إذن من هي المرأة القتيلة الآن؟ الله
وحده يعلم. في البداية اعتقدت بأنها أنا سترافنسكا، ثم تبين أنها
خارج الموضوع...

لفتت انتباهه سعلة خفيفة ذات مغزى خاص اعتادت الأنسة
ماريل إطلاقها عندما تريد التدخل بملاحظة، ثم قالت: ولكن أهي
حقاً خارج الموضوع؟

حملق فيها كرادوك وقال: بطاقة المعايدة تلك التي أرسلتها
من جامايكا...

- نعم، ولكن البطاقة ليست دليلاً حقيقياً، أليس كذلك؟ أقصد
أن أي شخص يمكنه أن يرسل بطاقة معايدة من أي مكان. أذكر امرأة
تدعى السيدة بريلي أصيبت بانهايار عصبي كبير فقرروا إرسالها إلى
أحد المصحات العقلية للملاحظة، وكانت قلقة من معرفة أولادها
الصغار لهذه الحقيقة ولذلك كتبت أربع عشرة بطاقة معايدة ودبرت
أمر إرسالها في البريد من أماكن مختلفة خارج البلاد وأخبرتهم أنها
مسافرة في عطلة.

ثم أضافت تقول وهي تنظر إلى ديرموت كرادوك: هل فهمت
ما أعنيه؟

قال كرادوك وهو يحملق فيها: نعم، بالطبع. كان من شأننا
طبعاً أن نتحقق من بطاقة المعايدة تلك لولا أننا وجدنا بأن موضوع
مارتين هذه ينسجم مع أحداث القضية أكثر.

- منسجم جداً.

- كان حلاً منطقياً مع وجود الرسالة التي استلمتها إيما
والموقعة باسم مارتين. ولكن الليدي ستودارت لم ترسلها، بل
فعل ذلك شخص آخر... ربما امرأة كانت تريد الحصول على المال
باتتحتها شخصية مارتين. لا يمكنك إنكار هذه الحقيقة.

- لا، لا.

- وماذا عن ظرف الرسالة التي كتبتها إيما إليها وعليها عنوانها

في لندن؟ لقد وُجد في رذرفورد هول، مما يظهر بأنها كانت موجودة هناك فعلاً.

أشارت الأنسة ماربل: لكن المرأة القتيلة لم تكن هناك... ليس بالمعنى الذي تقصده. لقد جاءت إلى رذرفورد هول بعد مقتلها! ألقيت جثتها من القطار تحت جسر السكة الحديدية.

- آه، نعم.

- إن ما يشبه الظرف هو أن القاتل كان موجوداً هناك. ربما أخذ الظرف منها مع أوراق وأشياء أخرى ثم سقط منه الظرف خطأ... وأنا أتساءل الآن إن كان ذلك خطأ بالفعل؟ إن المفتش سيكون ورجالك أيضاً قد قاموا بتفتيش دقيق وشامل للمكان لكنهم لم يعثروا على ذلك الظرف. ثم ظهر - بعد ذلك - في بيت المرحل.

- هذا مفهوم. فقد كان البستاني العجوز يحتفظ بأي شيء غريب متطاير في أرجاء الحديقة ويلقيه في ذلك البيت.

- وهو ما كان سهلاً على الأولاد أن يجدوه!

- هل تعتقدين أنه كان مقصوداً أن تعثر عليه؟

- إنه مجرد تساؤل. لقد كان سهلاً معرفة المكان الذي سيذهب الأولاد ليفتشوا فيه بعد ذلك... نعم، إنني أتساءل. لقد جعلكم ذلك تنصرفون عن التفكير بأننا سترافنسكا من بعد، أليس كذلك؟

- وهل تظنين أن الجثة ربما كانت جثتها منذ البداية؟

- أظن أن شخصاً ما قد اتبه وخاف عندما بدأت تحريراتكم

عنها، هذا كل ما في الأمر... أعتقد أن شخصاً لا يريد أن يفهموا بهذه التحريات.

- دعينا نقف عند الحقيقة الأساسية وهي أن إحداهن كانت مرماً. انتحال شخصية مارتين، لكنها - لسبب معين - لم تفعل. لماذا؟

- إنه سؤال مثير جداً.

- أرسل أحدهم رسالة تقول إن مارتين ستعود إلى فرنسا ثم سافر معها وقتلها في الطريق. هل توافقين على هذا الرأي حتى هذه النقطة؟

- ليس تماماً. لا أظن أنك تعلل الأمور بهذه الطريقة.

صاح كرادوك شاكياً: تعليل! أنت تشوشين علي أفكاري!

ردت عليه الأنسة ماربل - بنبرة كثيفة - بأنها ما كانت لتفكر في أمر كهذا، فقال: هيا أخبريني، هل تعرفين أم لا تعرفين من تكون هذه المرأة القتيلة؟

تنهدت الأنسة ماربل وقالت: الأمر صعب جداً إذا ما أردنا أن نضعه في إطاره الصحيح. أريد أن أقول إنني لا أعرف من تكون، ولكنني - في نفس الوقت - متأكدة إلى حد بعيد من معرفتي لها... إن كنت تعرف ما أقصده.

ألقي كرادوك برأسه إلى الوراء وقال: أعرف ما تقصدينه؟ إنني لا أعرف شيئاً من ذلك أبداً.

نظر عبر النافذة وقال: ها هي لوسي آيلسبارو جاءت لرؤيتك.

سأرحل الآن؛ إن احترامي لذاتي قد ضعف اليوم وقدوم امرأة شابة تتألق كفاءة ونجاحاً أمر أكثر مما أطيق.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

قالت لوسي: لقد بحثت عن معنى كلمة «نونتاين» في القاموس.

كانت الزائرة قد تبادلّت التحية مع مضيفتها وبدأت لوسي تدور في الغرفة دون هدف واضح، تلمس حلية فخارية هنا ودراسة هناك. قالت الأنسة ماربل: هذا ما ظننتُ أنك ستفعلينه.

قالت لوسي ببطء وهي تحاول تذكّر الكلمات: إنها مرادف «امبارة» «التأمين التكافلي»، وهي كلمة منسوبة إلى «لورنزو تونتي» الذي كان مصرفياً إيطالياً ابتدعها عام ١٦٥٣، وهي شكل من أشكال المال السنوي الذي يتلقاه المرء مدى الحياة تُضاف فيه حصص العشرة من الذين يموتون إلى أرباح حصص الباقيين على قيد الحياة.

سكنت قليلاً ثم قالت: هذا ما تعنيه الكلمة، أليس كذلك؟ ليس كذلك! ينطبق على الواقع بشكل كافٍ، وقد كنت تفكرين بذلك حين أوفاة هذين الاثنين.

ثم استأنفت دوراتها القلق حول الغرفة دون هدف تقريباً،

جلست الأنسة ماربل ترقبها. لقد كانت لوسي الآن مختلفة تماماً عن التي كانت تعرفها من قبل.

قالت لوسي: أظن أن صيغة الوصية كانت تفرض الجرائم بهذه الطريقة. إن وصية كهذه تنتهي بحيث يحصل من يبقى على قيد الحياة على المال كله... ولكن كان يوجد الكثير من المال، أليس كذلك؟ ويشعر المرء أن المال كان سيكفي حتى لو تم اقتسامه بينهم...

سكتت بعد أن خذلتها الكلمات.

قالت الأنسة ماربل: المشكلة أن الناس جشعون؛ وغالباً ما تبدأ المشكلات هكذا. إن الأمر لا يبدأ بجريمة قتل أو عزم على ارتكاب جريمة قتل أو حتى التفكير بها، بل هو يبدأ بالجشع والرغبة في حيازة المزيد من الأموال.

قالت لوسي: لقد وقعت عندنا ثلاث جرائم حتى الآن؛ المرأة التي انتحلت شخصية مارتين والتي كان من شأنها أن تتمكن من المطالبة بحصة لابنها، ثم ألفرد ثم هارولد. والآن بقي شخصان فقط، أليس كذلك؟

- هل تقصدين أنه بقي سدريك وإيما؟

- ليس إيما؛ فهي ليست رجلاً أسمر طويل القامة. كلا. أقصد سدريك وبرايان. إنني لم أفكر ببرايان أبداً لأنه أبيض البشرة، ولكن بالأمس...

ثم سكتت، فأسرعت الأنسة ماربل تقول: نعم، استمري، أخبريني. لقد أزعجك شيء ما كثيراً، أليس كذلك؟

- كان ذلك عندما كانت الليدي ستودارت تعادو البيت ودعنتا، ثم التفتت إليّ فجأة عندما كانت تهتم بدخول السيارة وسألتني: من هو ذاك الرجل الطويل الأسمر الذي كان يقف على المصطبة الخارجية عندما دخلت؟

لم أتخيل من الذي قصده في البداية لأن سدريك كان لا يزال راقداً على سرير، لذلك قلت لها محتارة: "لا أظنك تعنين برايان إيستلي؟"، فقالت: "بالطبع، إنه هو، إيستلي قائد سرب الطيران. كان مختبئاً في عليّة بيتنا في فرنسا أثناء المقاومة. لقد تذكرت الطريقة التي كان يقف فيها وشكل كتفيه".

لم تقل الأنسة ماربل شيئاً، بل انتظرت. قالت لوسي: ثم نظرت إليه بعد ذلك.. كان يقف وهو يدبر لي ظهره وشاهدت ما كان يجب أن أشاهده من قبل. حتى لو كان الرجل أبيض البشرة فإن شعره يبدو أسود إذا ما مشده بملمع. أظن أن شعر برايان يميل إلى البني بعض الشيء، ولكنه يمكن أن يبدو أسود. وهكذا قد يكون برايان هو الذي رأيته صديقتك في القطار... ربما...

- نعم، لقد فكرت في هذا.

قالت لوسي بمرارة: أعتقد أنك تفكرين في كل شيء!

- لا بد من ذلك يا عزيزتي.

- لكنني لا أفهم ما الذي سيحدث برايان من عمله هذا. أقصد أن الأموال ستؤول إلى ألكساندر وليس إليه. أظن أن ذلك سيجعل

حياتهما سهلة ويمكنهما العيش في رفاهية لكنه لن يستطيع الحصول على رأس المال لتنفيذ خطته ومشاريعه.

- ولكن إن حدث شيء لألكساندر قبل بلوغه الحادية والعشرين فإن برايان سيحصل على الأموال كونه والده وأقرب المقربين إليه.

نظرت إليها لوسي نظرة رعب: لا يمكن ذلك أبداً... لا يمكن أن يفعل ذلك بابه من أجل المال!

تنهدت الأنسة ماربل وقالت: الناس يفعلون ذلك يا عزيزتي... إنه عمل محزن وفظيع، لكنهم يفعلونه! الناس يفعلون أشياء فظيعة جداً. أعرف امرأة قتلت ثلاثة من أطفالها بالسم لكي تحصل على مبلغ ضئيل من التأمين! والآن، هل يساعدك كلامي هذا في شيء يا عزيزتي لوسي؟

سألتها لوسي متحيرة: ما الذي يساعدني؟

- الذي كنت أقوله لك. يجب ألا تقلقي... يجب ألا تقلقي فعلاً؛ ستحضر السبب ماغليكدي إلى هنا خلال أيام معدودة.

- لا أفهم ما هي علاقة هذا بما يحدث.

- كلا يا عزيزتي، ربما لا توجد علاقة. لكنني شخصياً أظن أن حضورها مهم.

- لا أستطيع إلا أن أشعر بالقلق. لقد أصبحت مهتمة بأمور العائلة.

- أعرف يا عزيزتي، إنه أمر شاق عليك لأنك... أعرف... أعرف... أعرف... ليس كذلك؟ وإن كان بطريقة مختلفة.

قالت لوسي بنبرة حادة: ماذا تفصدين؟

- كنت أتحدث عن الرجلين في البيت؛ ابن كراكنثورب وروح ابنته. من سوء الحظ أن الولدين المكروهين في العائلة قد ماتا بينما ظل الاثنان الآخران الأكثر جاذبية. أرى أن سدريك جذاب جداً. إنه يميل إلى جعل مظهره يبدو أسوأ من حقيقته، كما أن له أسلوباً استغنياً.

قالت لوسي: أحياناً يجعلني أصاب بالجنون.

- نعم، وأنت تستمتعين بالأمر، أليس كذلك؟ إنك فتاة مليئة حيوية ونشاطاً وتستمتعين بالمعركة. نعم، أستطيع أن أرى سبب ذلك الانجذاب. أما السيد إيسلي فمن النوع الحزين، إنه أشبه بولد بائس صغير. وهذه - بالطبع - نقطة جذب أيضاً.

قالت لوسي بمرارة: وقد يكون القاتل أياً منهما. والحق أنه لا يوجد شيء يجعلني أختار واحداً منهما. سدريك لم يأبه أبداً لموت أخيه ألفرد أو أخيه هارولد، وبدلاً من ذلك جلس مسروراً بضع الخطط لما سيفعله بالمنزل. أعرف أنه من النوع الذي يبالغ في إظهار قسوة قلبه لكن ذلك قد يكون غطاءً أيضاً. أقصد أن الجميع يقولون إن فلاناً يبدو قاسي القلب أكثر من حقيقته، لكنه قد لا يكون كذلك وإنما العكس؛ أي قد يكون قاسي القلب أكثر مما يبدو عليه!

- أنا آسفة جداً يا لوسي على كل هذا.

أكملت لوسي تقول: أما برايان فمن الغريب أن يبدو أنه يريد فعلاً العيش هناك. يعتقد أنه سيجد متعة كبيرة في العيش مع ألكساندر في البيت، كما أن لديه مخططات كثيرة جداً.

- لديه دائماً مخططات ومشاريع لأموار عديدة مختلفة، أليس كذلك؟

- بلى، أظن ذلك. كلها مخططات تبدو رائعة... ولكن لدي إحساس بعدم الارتياح لإمكانية نجاحها فعلياً، أقصد أنها غير عملية. الفكرة تبدو معقولة... لكنني لا أعتقد أنه يفكر في الصعوبات العملية أثناء التنفيذ.

- فهي - إذن - مشاريع معلقة في الهواء إذا صح التعبير؟

قالت لوسي: "نعم، بأكثر من معنى... كلها مخططات هوائية. ربما لا يستطيع الطيار المحارب الجيد النزول إلى أرض الواقع من جديد". ثم أضافت: كما أنه يحب رذرفورد هول كثيراً لأنه يذكره بالبيت الكبير القديم الذي كان يعيش فيه عندما كان طفلاً صغيراً.

قالت الأنسة ماربل: "فهمت. نعم، لقد فهمت..."، ثم قالت وهي تنظر إلى لوسي بطرف عينها نظرة سريعة: لكن هذا ليس كل ما في الأمر يا عزيزتي، أليس كذلك؟ يوجد شيء آخر.

- آه، بلى، يوجد شيء آخر... شيء لم أدركه إلا قبل يومين فقط. ربما كان برايان - عملياً - في ذلك القطار.

- قطار الساعة الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة القادم من بادنغتن؟

- نعم، فقد ظنت إما أنها مطالبة بالإبلاغ عن تحركاتها يوم العشرين من الشهر، فسردتها بحرص شديد: اجتماع لجنة في الصباح ثم تسوق بعد الظهر وتناول الشاي في مقهى، ثم قالت إنها ذهبت لاستقبال برايان في المحطة. كان القطار الذي استقبلته هو قطار الساعة الرابعة وخمسين دقيقة القادم من بادنغتن. لكنه يمكن أن يكون قد وصل في القطار الذي قبله ثم تظاهر أنه جاء في القطار الأخير. لقد أخبرني - بطريقة عرضية - بأن سيارته تعطلت وأنه أرسلها للإصلاح ولذلك اضطر للقدوم بالقطار، وقال بأنها رحلة متعبة، فهو يكره القطارات. كان يبدو طبيعياً جداً وهو يتكلم. قد لا يكون في الأمر شيء أبداً، لكنني أتمنى لو أنه لم يأت في قطار.

- في القطار المطلوب.

- هذا لا يثبت أي شيء. الشيء الفظيع هو كل هذا الشك... عدم القدرة على المعرفة. وربما لا يُقدَّر لنا أن نعرف أبداً.

قالت الأنسة ماربل بسرعة: سنعرف - بالطبع - يا عزيزتي. إن الشرطة يقومون بعمل كل ما يستطيعونه... كما أن الأهم من ذلك كله أن السبب ماغليكدي ستصل إلى هنا قريباً جداً.

* * *

- أنا آسفة لهذا، ولكن لم يكن باستطاعتي عمل شيء آخر،
فشخص يمكن أن يُقتل في أي لحظة. أعرف أن الكل حذرون وأن
الشرطة أخذوا كل الاحتياطات الضرورية، ولكن يمكن دائماً أن
يكون القاتل أذكى من كل الاحتياطات. ولذلك كان واجبك يقضي
منك العودة. لقد تربينا - أنت وأنا - على ضرورة القيام بالواجب،
أليس كذلك؟

- بالتأكيد. لم يكن في ذلك أي تهاون أيام شبابتنا.

قالت الأنسة ماربل وقد سمعت صوت السيارة وهي تقف
خارج البيت: إذن لا بأس، وها هي سيارة الأجرة قد وصلت.

ارتدت السيدة ماغليكدي معطفها الأرقط الثقيل ولفت الأنسة
ماربل نفسها بأكثر من وشاح صوفي، ثم ركبت السيدتان السيارة التي
انطلقت بهما إلى رذرفورد هول.

قالت إيما وهي تطل برأسها من النافذة عندما توقفت سيارة
الأجرة أمام المنزل: من هذا القادم بالسيارة الآن؟ يبدو أنها عمّة
لوسي العجوز.

قال سدريك: يا لها من امرأة مملّة!

كان سدريك مستلقياً على كرسي طويل ينظر إلى مجلة «حياة
الريف» وقدماه مستقرتان على الموقد. مضى قائلاً: قولي لها إنك
لست في البيت.

الفصل السادس والعشرون

- والآن يا إلسبت، هل فهمت تماماً ما أريد منك فعله؟

قالت السيدة ماغليكدي: فهمت تماماً، لكنه يبدو عملاً غريباً
جداً يا جين.

- ليس غريباً أبداً.

- أظنه كذلك. أن أذهب إلى البيت وأطلب منهم - على الفور -
أن يأخذوني إلى الطابق العلوي.

أشارت الأنسة ماربل تقول: الجو بارد جداً، ويمكن القول إنك
تناولت طعاماً لم يناسب معدتك ولذلك تريد استخدام المرافق
في الطابق العلوي.

قالت السيدة ماغليكدي: ليتك تقولين لي ما الذي تريد
التوصل إليه يا جين.

- هذا بالضبط ما لا أريد فعله.

- يا لك من مزعجة يا جين! أولاً طلبت مني القدوم وقطع كل
هذه المسافة إلى إنكلترا قبل أن...

- هل تعني أن عليّ الخروج لأقول ذلك، أم أقول للوسي كي تخبر عمته به.

قال سدريك: لم أفكر بهذا. أظن أنني كنت أفكر بأيام كان لدينا فيها كبير خدم وخدام استقبال.

في تلك اللحظة فتحت السيدة هارت الباب ودخلت الأنسة ماربل بارتباك وهي تلف حول عنقها الشالات والأوشحة وخلفها امرأة لا تعرف للحلول الوسط طريقاً.

قالت الأنسة ماربل وهي تمسك بيد إيما: أرجو ألا نكون قد تطفلنا عليك، لكنني سأعود إلى قريتي بعد غد ولذلك لم أطق العودة دون القدوم لرؤيتك لتوديعك ولأشكرك ثانية على حسن معاملتك للوسي. آه، لقد نسيت... هل لي أن أقدم لك صديقتي، السيدة ماغليكدي، التي تقيم معي؟

قالت السيدة ماغليكدي وهي تنظر إلى إيما باهتمام كامل: "تشرفنا بمعرفتك". ثم نظرت إلى سدريك الذي نهض الآن واقفاً. وفي تلك اللحظة دخلت لوسي الغرفة.

- عمتي جين، لم أكن أعرف.

التفتت إليها الأنسة ماربل وقالت: أردت أن آتي لوداع الأنسة كراكتورب التي كانت طيبة جداً معك يا لوسي.

قالت إيما: لوسي هي التي كانت طيبة معنا.

قال سدريك: نعم، بالفعل. لقد جعلناها تعمل عمل الإماء

عندنا؛ تسهر علينا أثناء مرضنا، وتركض مساعدة نازلة وتطبخ لنا طعام المرضى التعيس...

قاطعت الأنسة ماربل قائلة: لقد أسفت جداً... أنا... أنا... أنا... مرضكم. أرجو أن تكونوا شفيتم تماماً يا آنسة كراكتورب؟

قالت إيما: نعم، لقد شفينا تماماً الآن.

- أخبرني لوسي أنكم كنتم مرضى جميعاً. إن التسمم الغذائي خطير جداً، أليس كذلك؟ فهمت أنه من الفطر.

قالت إيما: يظل السبب غامضاً بعض الشيء.

قال سدريك: لا تصدقي هذا... أنا واثق من أنك سمعت الإشاعات التي تدور يا آنسة...

- ماربل.

- حسناً، أنا واثق من أنك سمعت الإشاعات التي تدور. لا شيء مثل الزرنينخ يمكن أن يكون موضوعاً شيقاً للأقاويل.

قالت إيما: سدريك، لبتك لا تتكلم. أنت تعرف أن المفتش كرادوك قال...

قال سدريك: "ها! الجميع يعرفون". ثم التفت إلى الأنسة ماربل وصاحبته وقال: حتى أنتما سمعتما أشياء، أليس كذلك؟

قالت السيدة ماغليكدي: أنا - شخصياً - عدت من الخارج لتوي... أول أمس.

- إذن فأنت لا تعلمين عن الفضيحة التي حدثت بعد زرنخ في الكاري... هذا هو السبب، وأراهن على أن عمّة لوسي تعرف كل شيء عن الأمر.

قالت الأنسة ماربل: لقد سمعت فقط... أقصد كان ذلك مجرد تلميح، لكنني لم أرد إحراجكم بأي شكل.

قالت إيما: أرجو ألا تأبهي لأخي؛ إنه يحب إحراج الناس.

كانت تبسم وهي تتكلم. وفتّح الباب ودخل كراكتورب المعجوز وهو يضرب الأرض بعصاه غاضباً، وقال: "أين الشاي؟ لماذا لم يجهز الشاي؟"، ثم خاطب لوسي قائلاً: أنت! يا فتاة، لماذا لم تجلي لي الشاي؟

- لقد جهز لتوه يا سيد كراكتورب وسأحضره الآن. لقد كنت أعد المائدة.

خرجت لوسي من الغرفة ثانية وقُدّم السيد كراكتورب إلى الأنسة ماربل والسيدة ماغليكدي.

قال السيد كراكتورب: أحب تناول وجباتي في الوقت المحدد. أحب الدقة في المواعيد والاقتصاد؛ هذا هو شعاري.

قالت الأنسة ماربل: هذا ضروري جداً، خصوصاً في هذه الأوقات، مع فرض الضرائب وما إلى ذلك.

تأفف السيد كراكتورب قائلاً: الضرائب! لا تكلميني عن هؤلاء اللصوص، إنني فقير بائس، وسيزداد وضعي بؤساً.

ثم خاطب ابنه سدريك: انتظر يا بني، فعندما تحصل على هذا البيت سينتزع الاشتراكيون منك على الأغلب ويحولونه إلى ملكية عامة، ثم يأخذون أموالك ليحافظوا بها على المنزل!

عادت لوسي وهي تحمل صينية الشاي وتبعها برايان حاملاً صينية أخرى عليها شطائر وخبز وزبدة وكعك.

فتش السيد كراكتورب الصينية وقال: ما هذا؟ ما هذا؟ هل لدينا حفلة اليوم؟ لم يخبرني أحد بذلك.

احمّر وجه إيما وقالت: الدكتور كويمبر سيأتي لتناول الشاي يا أبي. إن اليوم هو عيد ميلاده...

رد المعجوز متأففاً: عيد ميلاده؟ ماذا سيفعل بعيد ميلاده؟ عيد الميلاد للأطفال فقط. أنا لم أحسب أبداً أعياد ميلادي، ولن أضع أحداً غيري يحتفل بها.

وافقه سدريك قائلاً: هذا أرخص بكثير. إنك بذلك توفر ثمن الشموع التي تضعها على الكعكة!

قال السيد كراكتورب: يكفي هذا منك يا ولد.

كانت الأنسة ماربل تصافح برايان وتقول له: لقد سمعت عنك بالطبع، من لوسي. أنت تذكرني كثيراً بشخص كنت أعرفه في سينت ميري ميد؛ القرية التي عشت فيها سنوات طويلة. إنك تذكرني بروني ويلز ابن المحامي. عندما توفي والده لم يستطع متابعة عمله فرحل إلى شرق أفريقيا وبدأ يدير سلسلة من قوارب الشحن في البحيرة هناك، ويؤسفني القول إنه لم يحقق نجاحاً في عمله ففقد كل رأس ماله. أمر

مؤسف جداً! لا أحسب أن بينك وبينه قرابة؛ فبينكما شبه كبير.

قال برايان: لا، لا أظن أن لي أقارب باسم ويلز.

قالت الأنسة ماربل: كان خاطباً لفتاة لطيفة جداً وواعية جداً، وحاولت ثنيه عن مشروعه ولكنه لم يصغ إليها... كان مخطئاً بالطبع. إن النساء واعيات جداً في أمور المال، لا أقصد الماليات الكبرى بالطبع. فليس من امرأة تفهم في هذا كما كان يقول والدي، ولكنني أعني الأمور المالية اليومية. إن لديكم منظرأ طبيعياً رائعاً من هذه النافذة...

قالت عبارتها الأخيرة تلك وهي تتجه إلى النافذة. وانضمت إيما إليها، فمضت الأنسة ماربل تقول: إنها حديقة واسعة. كم يبدو منظر القطعان جميلاً وخلفه الأشجار!

أسقطت الأنسة ماربل حقيبتها فرفعها برايان عن الأرض بهدوء، وفي نفس اللحظة اقتربت السيدة ماغليكدي من إيما وهمست في أذنها بصوت متألم وتمتمت قائلة: ترى... هل أستطيع الصعود إلى الطابق العلوي لبعض الوقت؟

قالت إيما: بالطبع.

قالت لوسي: سأخذك.

غادرت لوسي الغرفة مع السيدة ماغليكدي، وقالت الأنسة ماربل بأسلوب تبريري: كانت رحلة السيارة اليوم في جو بارد.

قال برايان: آه، ها هو كويمبر.

وصل الطبيب بسيارته ودخل وهو يفرك يديه شاعراً بالبرودة الشديدة. قال: ستلج... هذا ظني. مرحباً يا إيما، كيف حالك؟ يا إلهي، ما هذا كله؟

قالت إيما: لقد عملنا لك كعكة عيد ميلاد. هل تذكر؟ لقد قلت لي إن اليوم هو عيد ميلادك.

قال كويمبر: لم أتوقع كل هذا. لقد مضت سنوات... أظن أنها ستة عشر عاماً، لم يتذكر أحد خلالها عيد ميلادي.

بدا متأثراً إلى حد الحرج. وقدمته إيما قائلة: هل تعرف الأنسة ماربل؟

قالت الأنسة ماربل: آه، نعم، لقد التقيت الدكتور كويمبر هنا من قبل، كما جاء وفحصني عندما أصبت بنزلة برد شديدة قبل أيام وكان طبيباً جداً.

قال الطبيب: أرجو أن تكوني بخير الآن؟

طمأنته الأنسة ماربل إلى أنها بخير الآن.

قال السيد كراكنثورب: لكنك لم تأت لزيارتي أنا يا كويمبر منذ فترة. ربما كنت أموت شوقاً لعنايتك بي!

قال الدكتور كويمبر: لا أرى أنك ستموت قريباً.

قالت الأنسة ماربل: آه، أرجوكم لا تنتظروا صديقتي. إنها مستضايق كثيراً لو انتظرتموها.

جلسوا وبدؤوا يشربون الشاي. أخذت الأنسة ماريل قطعة من الخبز والزبدة أولاً ثم تناولت شطيرة، ولكنها ترددت وهي تسأل: هل هذه...؟

أجابها برايان: شطائر سمك، لقد ساعدت في إعدادها.

ضحك السيد كراكتورب وقال: صلصة سمك مسمومة! كليها على مسؤوليتك.

- أرجوك يا أبي!

قال السيد كراكتورب يخاطب الأنسة ماريل: عليك أن تكوني حذرة في هذا البيت. لقد قتل اثنان من أولادي كالحشرات! من الذي يقوم بذلك... هذا ما أود معرفته.

قال سدريك وهو يقدم الطبق للأنسة ماريل مرة أخرى: لا تدعيه يصدك عن الطعام... إن مسحة من الزرنخ تحسن البشرة -كما يقولون- ما دامت الجرعة صغيرة.

رد عليه والده العجوز: كل أنت واحدة منها يا ولد.

قال سدريك: أتريدني أن أكون الذواق الرسمي؟ أنا موافق.

تناول فطيرة ووضعها كلها في فمه. ضحكت الأنسة ماريل ضحكة خفيفة وتناولت فطيرة.

قضمت منها قضة ثم قالت: أظن أن من شجاعتكم جميعاً أن تمزحوا هكذا حول هذا الموضوع. نعم، إنكم شجعان جداً، وأنا تعجبني الشجاعة.

شهقت فجأة وبدأت تتحسرج، ثم قالت وهي تشهق بصعوبة: عظمة سمكة... في حنجرتي.

نهض الدكتور بسرعة وذهب إليها وطلب منها فتح فمها. أخرج من جيبه علبة وأخذ منها ملقطاً، ثم انكب على فم الأنسة ماريل بمهارة وسرعة.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخلت السيدة ماغليكدي وتبعتها لوسي. أطلقت السيدة ماغليكدي شهقة مفاجئة عندما وقعت عيناها على المشهد أمامها، حيث الأنسة ماريل تستند على الكرسي وتميل إلى الورا بينما كان الطبيب ممسكاً بحنجرتها ويهز رأسها.

صاحت: إنه هو... إنه الرجل الذي كان في القطار!

أفلتت الأنسة ماريل من قبضة الطبيب بخفة ورشاقة وجاءت نحو صديققتها. قالت: لقد ظننت أنك ستعرفين عليه يا إلسيث! كلا، لا تقولي كلمة أخرى.

ثم التفتت إلى الدكتور كويمبر بنشوة وقالت: أنت لم تعرف -أيها الطبيب- عندما خنقت تلك المرأة في القطار أن شخصاً قد رآك فعلاً وأنت تقوم بذلك! إنها صديقتي هذه، السيدة ماغليكدي. لقد رأتك. هل تفهم؟ لقد رأتك بأم عينها، وكانت تركب قطاراً آخر يسير موازياً للقطار الذي كنت فيه.

تقدم الدكتور كويمبر باتجاه السيدة ماغليكدي بخطوة سريعة وهو يقول: ما هذا الذي يجري؟

لكن الأنسة ماريل أسرعت وحالت بينهما ثم قالت: نعم، لقد

رأتك وميزتك، وسوف تقسم على هذا في المحكمة. نادراً ما يرى شخص شخصاً آخر وهو يقوم بجريمة قتل فعلية، ولكن الظروف في هذه القضية كان غير عادية أبداً؛ فقد وُجد شاهد عيان على جريمة قتل!

قال الدكتور كويمبر: أيتها العجوز الشيطانة!

اندفع بقوة نحو الأنسة ماربل، لكن سدريك هو الذي أمسك به من كتفه هذه المرة. قال سدريك وهو يديره نحوه: إذن فأنت القاتل المجرم؟ لم أحبك أبداً وكنت أظن دائماً بأنك رجل غير سوي، ولكن يشهد الله أنني لم أشتبه بك.

أسرع برايان لمساعدة سدريك، ودخل المفتش كرادوك والمفتش بيكون الغرفة من الباب الأبعد.

قال بيكون: دكتور كويمبر، لا بد أن أحذرك من أنك...

قال الدكتور كويمبر: تباً لك ولتحذيرك! أنظن أن أحداً سيصدق ما تقوله امرأتان عجوزان؟ منذاً سمع بكل هذا الهراء عن القطارات؟

قالت الأنسة ماربل: لقد أبلغتُ السبب ماغليكدي الشرطة عن الجريمة فور وقوعها يوم العشرين من كانون الأول وأعطت أوصاف الرجل.

قال الدكتور كويمبر: ولماذا أقتل امرأة غريبة تماماً؟

قال المفتش كرادوك: إنها لم تكن غريبة... بل كانت زوجتك!

* * *

الفصل السابع والعشرون

قالت الأنسة ماربل: وهكذا، كما رأيتم، فقد ظهر أن التقنية بسيطة جداً كما ظننت في البداية. أبسط أنواع الجريمة؛ كثير من الرجال يقتلون زوجاتهم.

نظرت السيدة ماغليكدي إلى الأنسة ماربل والمفتش ثم قالت: سأكون شاكراً لكما لو وضعتما في صورة آخر المستجدات.

قالت الأنسة ماربل: لقد جاءته فرصة للزواج بامرأة غنية؛ وهي إيما كراكتورب. لكنه لم يستطع الزواج بها لأنه متزوج بامرأة أخرى. كانا منفصلين منذ سنوات لكنها لم تقبل الطلاق. كان ذلك ينطبق جيداً على ما حدثني به المفتش كرادوك حول هذه الفتاة التي كانت تسمى نفسها أنا سترافنسكا؛ لقد أخبرت إحدى صديقاتها بأنها متزوجة برجل إنكليزي، وقيل أيضاً بأنها كاثوليكية ملتزمة (بحيث لا تؤيد الطلاق). ولم يستطع الدكتور المجازفة بزواجه بإيما حتى لا يواجهه بتهمة تعدد الزوجات. وكونه رجلاً قاسياً وصاحب دم بارد فقد قرر التخلص من زوجته. والحق أن فكرة قتل زوجته في القطار ثم وضع جثتها بعد ذلك داخل التابوت في الحظيرة فكرة ذكية... لقد

تعتمد ذلك حتى ترتبط الجريمة بعائلة كراكتورب. وقبل ذلك كتب رسالة إلى إيما كان يفترض أن تكون من مارتين التي تحدث إدموند عن رغبته في الزواج بها (وكانت إيما قد أخبرت الدكتور كويمبر بكل شيء عن أخيها)... وحين جاءت اللحظة المناسبة شجعها على الذهاب إلى الشرطة لتحكي لهم قصتها. كان يريد إيهام الشرطة بأن صاحبة الجثة هي مارتين. وأظن أنه سمع عن التحريات التي كان شرطة باريس يقومون بها حول أنا سترافنسكا، ولذلك عمل على إرسال بطاقة معايدة منها من جامايكا.

كان من السهل تدبير لقاء مع زوجته في لندن ليقول لها بأنه يريد مصالحتها ويريدها أن تأتي لمقابلة «عائلته». لن نتحدث عن الجزء التالي لتلك الأحداث وهو جزء كريمة. كان رجلاً جشعاً بالطبع... بدأ ينشر شائعات عن محاولة شخص تسميم السيد كراكتورب الأب ليهيئ لنفسه الأرضية المناسبة، ثم انتهى به الأمر إلى وضع الزرنيخ في طعام العائلة. ولم تكن كمية كبيرة بالطبع لأنه لم يرد قتل العجوز السيد كراكتورب.

قال كرادوك: لكنني ما زلت لا أفهم كيف نجح في ذلك، فهو لم يكن موجوداً في البيت عندما كانت لوسي تعد الكاري.

قالت الأنسة ماربل: ولكن لم يكن في الكاري زرنيخ وقتها. لقد أضافه إلى الكاري فيما بعد عندما أخذه للفحص. ربما وضع الزرنيخ في إبريق العصير قبل ذلك... وبالطبع، كان يسهل عليه -كونه الطبيب المعالج- تسميم الفرد وقتله، وأيضاً إرسال أقراص الدواء إلى هارولد في لندن بعد أن حفظ لنفسه خط الرجعة بإخبار هارولد

أنه لا يحتاج إلى مزيد من الأقراص. إن كل ما فعله كان واضحاً وجريئاً وقاسياً ويكشف عن حقيقته الجشعة. والواقع أنني آسفة جداً جداً لأنهم ألغوا عقوبة الإعدام؛ لأنني أعتقد أنه لو لم يوجد إلا شخص واحد يستحق الإعدام لكان هو الدكتور كويمبر.

قال المفتش كرادوك: هوني على نفسك.

أكملت الأنسة ماربل: لقد خطر لي أن بالإمكان تمييز المرء من منظره الخلفي؛ لأن المنظر الخلفي للشخص يكون مميزاً جداً. وقد ظننت أنه لو قُدر لإلسيث أن ترى الدكتور كويمبر من نفس الموضع الذي رآته فيه وهو في القطار (أي ظهره باتجاهها مائلاً على امرأة كان يمسك بها من رقبتها) فستعرفه. وهذا ما جعلني أضع خطتي الصغيرة بمساعدة لوسي.

قالت السيدة ماغليكدي: اعترف بأنني شعرت بالرعب؛ فقد قلت: "هذا هو" آلياً دون تفكير، رغم أنني لم أكن قد رأيت وجه الرجل.

قالت الأنسة ماربل: وقد كنت أخشى كثيراً أن تصرحي بذلك يا إلسيث.

أجابتها صديقتها: كنت على وشك أن أقول إنني لم أر وجهه بالطبع.

قالت الأنسة ماربل: كان من شأن ذلك أن يكون أمراً بالغ الخطورة؛ فقد ظن كويمبر أنك حقاً تعرفت عليه. أعني ما كان له أن يعرف بأنك لم تري وجهه.

قالت السيدة ماغليكدي : كان تصرفاً جيداً أنني أمسكت لسانني وقتها.

قالت الآنسة ماربل : ما كنت لأسمع لك بأن تنفوهي بأية كلمة أخرى.

ضحك كرادوك فجأة وقال : يا لكما من زوج رائع ! وماذا بعد ذلك يا آنسة ماربل ؟ ما هي النهاية السعيدة ؟ ماذا سيحدث للمسكينة إيما كراكثورب على سبيل المثال ؟

- ستتغلب على موضوع الطبيب بالطبع ، وأعتقد أنه لو مات والدها (ولا أظنه قوياً كما يظن نفسه...) فإنها ستسافر إلى الخارج في رحلة طويلة ، وربما ظهر في تلك الرحلة حدث سعيد. أرجو أن يكون رجلاً أكثر لطفاً من الدكتور كويمبر.

- وماذا عن لوسي ؟ هل يوجد مشروع زواج أيضاً ؟

- ربما... لن يفاجئني ذلك.

قال كرادوك : ومن ستختار منهما ؟

- ألا تعرف ؟

- نعم ، لا أعرف. هل تعرفين أنت ؟

قالت الآنسة ماربل : آه ، نعم... أظن ذلك.

ثم غمزته بعينها.

the end *